

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

# الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان

الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري

عميد البحث العلمي  
جامعة إربد الأهلية - الأردن



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

**الحنين والغربة**

في الشعر العربي

**الحنين إلى الأوطان**

رَفَعُ  
عبد الرحمن الجبوري  
أسكنه الله الفردوس

# الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان

الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري

عميد البحث العلمي  
جامعة إربد الأهلية - الأردن



حقوق التأليف محفوظة، ولا يجوز إعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه  
على أية هيئة أو بأية وسيلة إلا بإذن كتابي من الناشر.

الطبعة الأولى

1428هـ - 2008م

المملكة الأردنية الهاشمية رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2007/7/1959)

811.9

الجبوري، يحيى

الحنين والغربة في الشعر العربي: الحنين إلى الأوطان/

يحيى وهيب الجبوري. - عمان: دار مجدلاوي، 2007

( ) ص.

ر.أ.: (2007/7/1959)

الوصفات: / الشعر العربي // العصر الحديث // النقد الأدبي //

التحليل الأدبي /

\* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

ISBN 978-9957-02-301-0 (ردمك)

Dar Majdalawi Pub.& Dis.

Telefax: 5349497 - 5349499

P.O.Box: 1758 Code 11941

Amman- Jordan



دار مجدلاوي للنشر والتوزيع

تليفون: ٥٣٤٩٤٩٧ - ٥٣٤٩٤٩٩

ص. ب. ١٧٥٨ الرمز ١١٩٤١

عمان - الأردن

[www.majdalawi-books.com](http://www.majdalawi-books.com)

E-mail: [customer@majdalawibooks.com](mailto:customer@majdalawibooks.com)

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر دار الناشره.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي

أسكنه الفردوس

## المقدمة

الحنين إلى الأوطان غريزة في النفوس سواء أكان عند الإنسان أم الحيوان، يتجلى ذلك في حنين الإبل إلى أوطانها ومعطنها، وحنين الطير إلى عشه مهما أخذ وبعده، يعود إلى وكره قاطعاً مئات الأميال بل الآلاف حتى يجد قرارة نفسه في وطنه، وكذلك يقال في بقية الحيوانات، كالقطة والكلاب، والكلاب أشد حنيناً ووفاء من بقية الحيوان، فإذا كان هذا حنين الحيوان فكيف لا يحن الإنسان إلى أرضه ووطنه مهما عاش في حرمان وبؤس، وعانى من الظلم والجور والفاقة، وخير دليل على ذلك هؤلاء المهاجرون إلى بلاد الدنيا الجديدة، وقد كسبوا المال والجاه والترف، ولكنهم يحنون أبداً إلى أوطانهم، ويتحسرون على ما يجري فيها من مصائب وضيم ونكبات وعدوان، وفي الآيات الكريمة دلالة على حب الناس لأوطانهم ولو قتلوا في سبيلها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَّا عَلَىٰ سَبِيلِ مَن آتَيْنَاهُمُ الْبُكْرَةَ وَالشَّرَّ لَمَا لَجَّوْا فِي سَبِيلِهَا﴾ (النساء 66) وفي الحديث النبوي: (حب الأوطان من الإيمان)، وكان رسول الله ﷺ يحن إلى مكة ووطنه، فكان إذا جاء أحد منها يسأله عنها فتغرورق عيناه بالدموع، وكذلك كان الصحابة يحنون إلى ديارهم، ولزوم الأوطان غبطة، قيل لبعض الأعراب: «ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان، قيل فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان، والتنحي عن الأوطان»، ولمكانة الوطن في نفوس الناس فقد ألف المؤلفون في التراث العربي أكثر من ستة عشر كتاباً وصل بعضها.

والحنين إلى الأوطان ظاهرة إنسانية عامة في نفوس البشر، وإن كان حب الأوطان عند العرب أكثر وضوحاً لأن الشعر سجل هذه الظاهرة، منذ الجاهلية وحتى العصر الحديث، مع اختلاف يسير فيما بين البدوي والحضري، وللوطن في كل بيئة أثر واضح في سلوك الإنسان وتفكيره ومظهره من حيث الملبس والمأكل والطبائع والعادات

والمثل العليا، ولكل شعب صفاته وعاداته ومثله، ولذلك فمن الجور على المنهج أن تطبق النظريات الغربية في الحنين إلى الأوطان، والغربة والاعتراب على المجتمعات العربية، حيث كثر التأليف في هذا العصر وأسبغوا النظريات الأوروبية على المجتمعات العربية، مع الاختلاف الكبير في الحياة والتفكير والعادات والمثل والمعتقد. وإذا كنا نستأنس ببعض الأفكار، فهذا لا يعني تطبيقها بحذافيرها على مجتمعاتنا العربية، وتناولت هذه الدراسة الحنين والغربة في الحياة العربية والإسلامية منذ العصر الجاهلي حتى العصور المتأخرة، ولم نتناول الغربة في الشعر الحديث، فقد كثر دارسوه، إلا ما يخص العراق وبغداد خاصة من حنين المغتربين والمحبين، وكان دليلنا في كل ذلك ما ضفرنا به من النصوص الشعرية أولاً والثرية ثانياً.

وقد قامت الدراسة في هذا الكتاب على موضوعات وقفنا عندها ودرسنا ظواهرها ومعطياتها، تتمثل في:

الوقوف عند موضوع الحنين والغربة وآراء القدامى في المعنى والمدلول، وتعرفنا على المؤلفات التي تناولت الحنين إلى الأوطان، ومفهوم الغربة والاعتراب ومظاهرها على مدى العصور من الجاهلية حتى العصور المتأخرة، ودرسنا الغربة ودواعيها في كل عصر ومدى المعاناة التي مثلها الشعراء، وخاصة الصعاليك الذين كانوا يعانون من غربة اللون والانتماء ورفض المجتمع للصوص والخلعاء، وهناك من الشعراء من عبر عن غربته ولوعته عند الموت سواء أكان بين أهله وقومه أو كان غريباً أدركه الموت، أو غريباً في الأسفار والحروب، وقد تميزت قسوة الاعتراب لدى الجند الفاتح في ديار الأعاجم، حين تطول الأيام والشهور أو تنقطع بهم السبل، وكان للمرأة دورها في معاناة الحنين وقسوة الغربة حين تتزوج في غير قبيلتها أو يرحل عنها زوجها، وتتغير أحوالها بين حياة البادية والحاضرة، فتكثر وحشتها ويزداد حنينها إلى البادية.

وكان للظلم السياسي والاقتصادي الذي يفرضه السلاطين والولاة على القبائل أو الأحزاب أن ظهرت آثاره في شعر الشعراء وكثر التذمر والشكوى. ووقفت الدراسة عند كل شاعر من

الشعراء الذين عانوا من الحنين والغربة في شعرهم مع بيان الحالات والظروف التي كان يقاسيها كل شاعر وتميزه عن الآخرين، في كل عصر وخاصة في العصرين الأموي والعباسي.

ووقفت الدراسة عند ظاهرة المغتربين الذين نأوا عن ديارهم لسبب ماء، وصاروا يحنون إلى أوطانهم ويشكون من قسوة الاغتراب، فعبروا عن مكنونات صدورهم بكتابة الأشعار والأقوال على الأبنية والجدران، في ديار الغربة، تنفيساً عما يعانونه من شوق وحنين وهمّ دفين.

ورأينا أنّ هناك تمييزاً وخصوصية للغربة في التراث الإسلامي، فوقفنا عند مفهوم الغربة في الإسلام، والمؤلفات التي كتبت من الوجهة الإسلامية في مفهوم الغربة، وكان لأبي حيان التوحيدي تمييزاً وخصوصية في إحساسه بالغربة في مجتمعه، وقد أدى ذلك إلى أن أحرق كتبه، وظهرت آراؤه وأفكاره في كتابه الإشارات الإلهية الذي اقتبسنا بعضاً من نصوصه.

وبالعودة إلى الحياة والطبيعة وجدنا أن هناك مثيرات للحنين والغربة تثير الشعراء وتستدر أشعارهم، من ذلك دموع العين، والريح التي تهب من جهة الأهل والوطن فتثير الحنين، وكذلك البرق الذي يلعب في السماء من جهة الأهل والأوطان ونجوم السماء التي يتأمل فيها الغريب فتذكره بقومه وأحبابه، حيث تلتقي عندها نظراته بنظرات الحبيب، أما الحمام فهديله نواحاً يتعب الغريب ويثير أشجانه فيشاركه في البكاء والشجن ومثلما يحن الإنسان الغريب، فكذلك تحن الإبل إلى أوطانها وتتجه بأنظارها نحو ديار أهلها فتشير في نفس صاحبها ما يكبت من الوجد والشوق وكان للنخلة في بلاد الغربة الأثر الكبير في آثاره الحنين إلى الأوطان، وقد تميزت بعض النخلات في مواضع من البلاد التي يقل فيها النخل فتذكر المغتربين بأوطانهم، وقد اشتهرت بعض النخلات ودارت حولها أحداث وقصص وأشعار من ذلك نخلات مرن وكرمان ونخلة الرصافة بالأندلس التي أثار حنين عبدالرحمن الداخل فكان يناجيها في شعر رقيق، وتغنى الشعراء بنخلتي حلون وأثيرت حولها قصص وأشعار من قبل الخلفاء والشعراء.

وكان للمكان نصيب وافر في شعر الشعراء، وحضي نجد بمكانة كبيرة متميزة في قلوب الشعراء فتغنوا بالأرض والطبيعة ومحاسن النساء وعبروا عن حنينهم وأشواقهم

إلى تلك الديار، وكثرت الأشعار في ذكر نجد والحجاز وخاصة في شعر الصمة القشيري  
ويزيد من الطثرية، والأبيوردي والشريف والرضي، والطغرائي، وأسامة بن منقذ وقد  
عرضنا لهذه الأشعار ودونهاها اعتزازاً بما تمثله من شوق وحنين.

وكانت خاتمة المطاف ما جاء من الحنين والشوق إلى العراق بلد الحضارة والترف  
والغنى، وما تميزت بها بغداد من محاسن، فحن إليها الشعراء على مدى العصور منذ  
العصر العباسي وحتى العصر الحديث، وقد تناول الشعراء حضارة بغداد وجمال مدنها  
وأبنائها وما فيها من رقة وترف وغنى، وما كان فيها من جالس للشعر وجمال الصبايا  
والنساء، وما نزل بها من مأس وأحداث وبلايا على مر العصور.

ولم يقتصر الحنين إلى بغداد ووصف مغانيها على شعراء العراق وحسب، بل تناول  
كثرة من شعراء الأقطار العربية معالم بغداد وحضارتها، والتغني بجمالها وأجادها، ومن  
هؤلاء الشعراء، أعلام من أدباء الأمة ونوابغها وشعرائها المبدعين.

وكان للأحداث الكثيرة السارة والمحزنة التي نزلت ببغداد الأثر في كثرة شعر  
الشعراء والوفود التي كانت تزد إلى بغداد في المناسبات الوطنية والأدبية، وما زالت إلى  
عهد قريب، قبل طامة الاحتلال الذي قدم من وراء البحار، والحدق الأسود الذي تسلل  
إليها من شرقي البلاد وغربها، فظللت بغداد غمامة بغیضة كلها سواد وظلم وحقق  
وخراب ودماء.

نسأل الله سبحانه الفرج بعد الغمة وانبلاج نور الفجر بعد الليل الدامي الطويل،  
إنه سميع مجيب.

**يحيى الجبوري**

30 محرم 1428 هـ

18 شباط 2007 م

### العنوان

ص ب 150519 الرمز البريدي 211/41

هاتف- فاكس 7251193 المفتاح الدولي 009622

المحمول: 0785250227

البريد الإلكتروني: yahia\_al\_jubouri@yahoo.com

إريد- الأردن

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

## مهدات

### الحنين إلى الأوطان

الحنين إلى الأوطان طبيعة في النفس البشرية، وفي البدوية خاصة، وهو منسجم مع طبيعة العربي الحساسة في بيئته الصحراوية الواسعة، ولم يقتصر الحنين على البشر بل شمل الحيوان، فالإبل تحن إلى أولادها ومرابضها، ولذلك كان الحنين غريزة في نفس العربي في باديته، وارتبط الحنين إلى الأوطان بكرامة الإنسان واعتزازه، وكانت الغربة عن الوطن همماً شديداً، ويروى أنه قيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الأخوان، وقيل: فما الذل؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان<sup>(1)</sup>.

وقبل البدء في الحديث عن الحنين إلى الأوطان، نقف عند معنى الوطن وكيف جاء مفهومه في اللغة والشعر القديم، جاء معنى الوطن في المعجمات اللغوية بمعنى: مريض الإبل والغنم، ثم صار يعني المنزل الذي يتخذه الإنسان سواء أكان مسقط رأسه أم لم يكن، ويقول ابن سيده: «الوطن حيث أقمت من بلد أو دار»<sup>(2)</sup>، وتوسع مفهوم الوطن فصار كل مكان ينزل فيه الإنسان ويعدّه مستقراً ومقاماً وطناً، ووطن بالمكان وأوطن: أقام، وكل مقام أقام به الإنسان لأمر فهو موطن له<sup>(3)</sup>.

(1) المحاسن والأضداد- الجاحظ، ص 54 ط القاهرة، المحاسن والمساوي - البيهقي 1/ 490، ط القاهرة.

(2) المخصص 4/ 119، وانظر جمهرة اللغة لابن دريد 3/ 119، تهذيب اللغة للأزهري 4/ 28، معجم مقاييس اللغة لابن

فارس 6/ 120، الصحاح للجوهري 6/ 2214، وقد أفدنا من كتاب الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية

العصر الأموي لمحمد إبراهيم حور في مواضع كثيرة.

(3) لسان العرب: وطن.

ويختلف مفهوم الوطن في العصور القديمة عن مفهومه في العصور الحديثة، فقد كان مفهوم الوطن في القديم ضيقاً يشمل الحي ومحل الإقامة ثم صار يتسع كلما تقدم الزمن، ومنذ القديم ارتبط الشوق والحنين بالوطن، فصار الحنين إلى الأوطان شائعاً في كل العصور سواء الوطن القبيلة والحي أم الشعب والأمة الكبيرة، وسواء أكان الوطن مسقط الرأس أم لم يكن، فالحنين إلى الأوطان انتهاء وولاء وحب وحنين. ولا يقتصر هذا الحب والحنين على الإنسان بل يشمل الحيوان أيضاً، يقول ابن دريد: «حنين الإبل، نزوعها إلى أوطانها وأولادها»<sup>(1)</sup>، وفي كل هذه المعاني جاء ذكر الوطن في الشعر القديم، ففي الجاهلية قال امرؤ القيس: <sup>(2)</sup>

وما جَبَّئْتُ حَيْبِي وَلَكِنْ تَذَكَّرْتُ      مَرَابِطَهَا مِنْ بَزْبَعِيصٍ وَمَيْسِرَا

ويقول عنتره: <sup>(3)</sup>

أَحْرَقْتَنِي نَارُ الْجَوَى وَالْبِعَادِ      بَعْدَ فُقْدِ الْأُوطَانِ وَالْأَوْلَادِ

ويقول طرفه: <sup>(4)</sup>

عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الْفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى      مَتَى تَعْتَرِكُ فِيهِ الْفَرَائِصُ تَرْعِدِ

وجاء ذكر الوطن في الشعر الإسلامي في شعر عمر بن أبي ربيعة<sup>(5)</sup>

قَدْ هَاجَ قَلْبَكَ بَعْدَ السَّلْوَةِ الْوَطْنُ      وَالشُّوقُ يُجِدِّدُهُ لِلنَّازِحِ الشَّجْنُ

وقوله: <sup>(6)</sup>

(1) جمهرة اللغة 1/ 64، تهذيب اللغة 3/ 448.

(2) ديوانه امرؤ القيس ص 70.

(3) ديوانه ص 67، ط دار صادر بيروت 1968.

(4) ديوانه ص 117، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997.

(5) ديوانه ص 281، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر 1960.

(6) الديوان ص 272.

ذكر البلاط وكل ساكن قرية  
بعد اهدؤ تهبجئه أوطائه

وقوله: (1)

إن من تهوى مع الفجر ظعن  
للهوى والقلب مباح الوطن

وقال جميل بن معمر العذري: (2)

أنا جميل والحجاز وطني  
فيه هوى نفسي وفيه شجني

والشعر الذي ذكر الوطن كثير في صدر الإسلام والعصور التالية، ليس القصد عندنا استقصاءه. وكثر ذكر الوطن والحنين إلى الأوطان في التراث الإسلامي، وفي مقدمة ذلك الحديث النبوي: (حب الأوطان من الإيمان) (3)، وكان الرسول ﷺ محباً لوطنه مكة كثير الحنين إليها، إذا ذُكرت كانت عيناه تغرورقان بالدموع شوقاً وحنيناً، وكان يكره خروجه من مكة مضطراً، ويذكرها محباً، يقول في خروجه من مكة مهاجراً: (والله إنك لخير أرض الله إلى الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت) (4)، وكان إذا قدم أحد من مكة إلى المدينة سألته رسول الله ﷺ عن مكة موطنه ومرتع صباه وكله شوق وحنين، قال الغزولي: «روي أن أباان (5) قدم على رسول الله ﷺ، المدينة، فقال له: يا أباان، كيف تركت مكة؟ قال: تركتهم وقد حيدوا، وتركت الأذخيرة (6) وقد أغدق، وتركت الثمام وقد خاض (7)،

(1) ديوانه ص 279 .

(2) ديوانه ص 206، تحقيق حسين نصار، ط القاهرة 1967 .

(3) الأسرار المرفوعة 180، كشف الخفاء للعجلوني 413/1، تذكرة الموضوعات للفتني 11، الدرر المنتثرة للسيوطي 74 .

(4) سنن الترمذي 3925، مسند أحمد بن حنبل 4/305، سنن الدارمي 2/239، أخبار مكة للأزرقي 2/155، وفضائل مكة للحنين البصري، مجلة كلية الآداب 14/565-566 .

(5) هو أباان بن سعيد بن العاص، صحابي من ذوي الشرف، أسلم سنة 7 هـ أرسله الرسول ﷺ سنة 9 هـ عاملاً على البحرين، توفي سنة 13 هـ الإصابة 1/10، تاريخ الإسلام 1/378، تهذيب ابن عساكر 2/124 .

(6) الأذخيرة: الحشيش الأخضر، وحشيش طيب الريح. القاموس المحيط: ذخر .

(7) الثمام: عشب من الفصيلة النجيلية وخاض: أي كثر والتف .

فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ<sup>(1)</sup>، وكان شوق النبي ﷺ وحنينه إلى مكة شديداً حتى إنه إذا حُدث عنها يغلبه الشوق فيسأل المتحدث أن يكف، ففي رواية قدوم أصيل الغفاري من مكة وكان النبي ﷺ يسأله: (يا أصيل كيف عهدت مكة؟ قال: والله عهدتها قد اخصب جنابها، وابيضت بطحاؤها، وأغدق أذخرها، وأسلت ثمامها<sup>(2)</sup>، وأمش<sup>(3)</sup> سَلَمها فقال النبي: حسبك يا أصيل، لا تحزناً).

والروايات كثيرة في حنين أصحاب رسول الله وآله إلى الأوطان وإلى مكة خاصة، أما الشوق والحنين إلى نجد فقال فيه الشعراء منذ صدر الإسلام وحتى العصر العباسي شعراً كثيراً ذكرناه في موضعه.

كان الوطن عند الجاهلي الأهل والديار، وكل منزل ينزله ويحن إليه، ولما استقرت القبائل في القرى والمدن صار مفهوم الوطن واضحاً هو الأرض والبلد بحدوده وأهله ومغانيه، و صار الشعر يردد أسماء المدن ويتغنى بجمالها ويحن إلى مراعيها، وكثر بعد ذلك الانتساب إلى المدن والاعتزاز بها، والمدن أو اوطان.

### ما قيل في الحنين إلى الأوطان

وقد جاءت أقوال كثيرة وحكم غزيرة في الحنين إلى الأوطان، ومهد الجاحظ لرسالة الحنين إلى الأوطان بمنتخبات من أقوال الحكماء والأدباء من العرب والعجم في حب الأوطان والتعلق بها والولاء لها، من ذلك مختاراته: "

كان يقال: أرض الرجل ظئرُه، ودارُه مهده، والغريب النائي عن بلده المتنحي عن أهله، كالثور النَّادِّ عن وطنه، الذي هو لكل رام قنيسة.  
وقال آخر: الكريم يحن إلى جنابه، كما يحن الأسد إلى غابه.

(1) مطالع البدور في منازل السرور 2/ 292، مطبعة الوطن 1300 هـ .

(2) الشام: نبت، وأسل: نأ، والسلم: شجر من العضاء ورقها القرظ الذي يدبغ به، وأمش: مسح.

(3) أخبار مكة للأزرقي 2/ 155، تحقيق رشدي ملحق، ط2 دار الثقافة، مكة 1965.

(4) رسالة الحنين إلى الأوطان، رسائل الجاحظ 2/ 385-392، وانظر هوامشه.

وقال آخر: تربة الصِّبَا تغرس في القلب حُرْمَةً وحلاوةً، كما تغرس في القلب رِقَّةً وحلاوةً.  
 وقال آخر: إذا كان الطائر يحنُّ إلى أوكاره، فالإنسان أحقُّ بالحنين إلى أوطانه.  
 وقالت الحكماء: الحنين من رِقَّة القلب، ورِقَّة القلب من الرعاية، والرعاية من  
 الرحمة، والرحمة من كرم الفطرة، وكرم الفطرة من طهارة الرشد، وطهارة الرشد من  
 كرم المحتد.

وقيل لبعض الأعراب: ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع  
 الأخوان، قيل فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان، والتنحي عن الأوطان<sup>(1)</sup>.  
 وقال آخر: عُسْرُكَ في دارك، أعزُّ لك من يسرك في غُرْبَتِكَ، وانشد:

لُقْرَبُ الدارِ في الإقْطارِ خَيْرٌ      من العيشِ المَوْسِعِ في اغْتِرابِ  
 ومما يؤكد حب الأوطان قول الله عز وجل حين ذكر الديار يُخْبِر عن مواقعها من  
 قلوب عباده، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا  
 فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾<sup>(2)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نُفُوتٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ  
 أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾<sup>(3)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: عمَّر الله البلدانَ بحبِّ الأوطان.  
 وقال آخر: من إمارات العاقل برُّه لإخوانه، وحنينه لأوطانه، ومداراته لأهل  
 زمانه. وقيل: الغربة كُرْبَة، والقِلَّة ذِلَّة، وقال:

لا ترغبوا إخوتي في غربة أبدأ      إنَّ الغريبَ ذليلٌ حيثما كانا  
 وقال آخر: يحنُّ اللبيب إلى وطنه كما يحنُّ النجيب إلى عطنه<sup>(4)</sup>.

(1) رسائل الجاحظ 407/2

(2) النساء 66.

(3) البقرة 246.

(4) النجيب من الإبل: الكريم العتيق.

وكل غريب سوف يمسي بذلة إذا بان عن أوطانه وجفا الأهلا

وكان حب الأوطان والحنين إلى الأهل والديار مرتبطاً في نفس البدوي بالوفاء وحسن الخلق وكرم الأصل، يقول الغزوي: «إذا شئت أن تعرف وفاء الرجل وحسن عهده، وكرم أخلاقه، وطهارة مولده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من أزمانه»<sup>(1)</sup>.

ومن أقوال الأمم الأخرى، قالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقّة.

وقالت الهند: حُرمةٌ بلدك عليك مثل حرمة أبويك، لأنّ غذاءك منها، وغذاءهما منه. والأقوال كثيرة في الحنين إلى الأوطان وذم الغربة وما فيها من مهانة وذلة<sup>(2)</sup>.

### من ألف في الحنين والغربة وما إليها

كان موضوع الغربة والحنين إلى الأهل والديار والأوطان والشوق للحمى وصور الفراق وآلام الغربة، قد استرعت أذهان كثير من الكتاب والأدباء واهتماماتهم في التراث العربي، فمنهم من أفاض في ذلك فألف كتاباً ومنهم من أوجز فكتب رسالة ضمن كتاب ومنهم من ذكر ذلك عرضاً، وكلهم قد عرف أثر الغربة والحنين والشوق في نفوس العرب والمسلمين على مدى العصور، ونذكر من ذلك ما وقفنا عليه من المطبوع أو المخطوط أو المذكور مما ضاع، وهو غيض من فيض، وما خفي كان أعظم، وأكثر هؤلاء المؤلفين كانوا من أهل القرن الثالث الهجري سواء من علماء الأدب أو اللغة أو الحديث:

I - حب الوطن لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ)<sup>(3)</sup>.

(1) مطالع البدر في منازل السرور 2/ 292، ط القاهرة

(2) رسائل الجاحظ، مرجع سابق.

(3) فهرسة ابن خير الأشبيلي ص 385.

- 2- رسالة الحنين إلى الأوطان للجاحظ. (1)
- 3- الشوق إلى للأوطان لأبي حاتم السجستاني (ت 255 هـ) (2).
- 4- حب الأوطان لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر. (3)
- 5- الحنين إلى الأوطان لموسى بن عيسى الكسروي (ت ق 3 هـ)، وينسب هذا الكتاب للجاحظ. (4)
- 6- الحنين إلى الأوطان لأبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء (ت 325 هـ) (5).
- 7- حنين الإبل إلى الأوطان لربيعة البصري. (6)
- 8- الحنين إلى الأوطان، لمحمد بن سهل بن المرزبان البغدادي (ت حوالي 330 هـ) (7).
- 9- كتاب الشوق والفراق، لمحمد بن سهل بن المرزبان، السابق. (8)
- 10- اللقاء والتسليم، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت 336 هـ) (9).
- 11- الوداع والفراق، لأبي حاتم محمد بن حبان البُستي (ت 354 هـ) (10).
- 12- المناهل والأعطان والحنين إلى الأوطان، للحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت 360 هـ) (11).
- 13- أدب الغرباء، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت 365 هـ) (12).

- 
- (1) رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، 2/379-412، ط مكتبة الخانجي، القاهرة.
  - (2) الفهرست ص 64، إنباه الرواة 2/62.
  - (3) فهرسة ابن خير الأشبيلي. ص 423.
  - (4) مقدمة المحقق جليل العطية ص 10-12، وقد أفدنا من مراجعه.
  - (5) الفهرست ص 93، إنباه الرواة 3م262، الوافي بالوفيات 3/62.
  - (6) الفهرست ص 55.
  - (7) طبع بتحقيق جليل العطية، ط عالم الكتب، بيروت 1987.
  - (8) تحقيق جليل العطية، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.
  - (9) أدب الكتاب للصولي ص 175.
  - (10) روضة العقلاء لابن حبان ص 114.
  - (11) الفهرست ص 172، بئمة الدهر 3/421، الوافي بالوفيات 12/65.
  - (12) معجم الأدباء 13/96 - 97، نشر بتحقيق صلاح الدين المنجد، ط دار الكتاب الجديد، بيروت 1972، وذكر بروكلمان هذا الكتاب باسم (كشف الكربة في وصف الغربية). الأدب العربي، الترجمة العربية 3/70.

14- كتاب التسليم والزيارة، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384هـ)، ذكر ابن النديم أنه في أربعمئة ورقة<sup>(1)</sup>.

15- الحنين إلى الأوطان، لأبي حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس (ت 400هـ)<sup>(2)</sup>.

16- النزوع إلى الأوطان، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت 562هـ)<sup>(3)</sup>.

هذا غير ما جاء من موضوعات تتصل بالشوق والغربة والحنين ضمن فصول في الكتب، وهي كثيرة يتعذر إحصاؤها.

وفي رحاب ما وصل من هذه الكتب والدواوين والرسائل نقف على ما جاء فيها من شعر في ذكر الحنين والغربة والشوق والوداع واللقاء وما إلى ذلك.

### معنى الغربة والاعتراب،

إن مقابل كلمة الغربة والاعتراب في اللغة الانجليزية (Alienation) والفرنسية (Alienation)، وأصلهما من الكلمة اللاتينية أليئاتو (Alienatio)، ويشير الاعتراب في تلك اللغات إلى حالة تحول الكائن إلى خارج ذاته، أو تجاوز ذاته، وقد استخدمت كلمة الاعتراب في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذاتي بالغربة، أو الانسلاخ (detachment) سواء عن الذات أو عن الآخرين<sup>(4)</sup>. أما الكلمة العربية "غربة" فهي تدل - كما وردت في لسان العرب - على معنى التوى والبعد: فالغريب هو البعيد عن وطنه، والجمع غرباء، والأنثى غريبة، والغرباء هم الأبعاد، "واغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه"، وفي الحديث: (اغتربوا لا تزووا)، وأغرب: صار غريباً، والتغريب النفسي عن

(1) الفهرست ص 148. الكتاب له، أو للجاحظ، في ذلك خلاف، ينظر: الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان. السابق.

(2) معجم الأدباء 382/5، الوافي بالوفيات 22/40.

(3) الأنساب 2/348، طبقات السبكي 7/183.

(4) دراسات في سيكولوجية الاعتراب: عبد اللطيف محمد خليفة، ط دار غريب، القاهرة 2003، ص 23.

البلد<sup>(1)</sup>، فالكلمة تدل على معنيين: الأول يدل على الغربة المكانية، والثاني يدل على الغربة الاجتماعية.

والغربة أو الاغتراب في المعجمات العربية تدل على النزوح عن الوطن أو البعد والانفصال عن الآخر. وفي شعر المتلمس:<sup>(2)</sup>

ألا أبلغنا أفناء سعد بن مالك  
رسالة من قد صار في الغُربِ جانبُه

واغترب الرجل: نكح في الغرائب، وتزوج إلى غير أقاربه، وفي الحديث: ( اغتربوا لا تظنوا ) أي لا يتزوج الرجل القرابة القريبة، فيجيء ولده ضاويًا.

فالغربة: النوى والبعد والتنجي عن الناس، والتغريب النفي عن البلدان والأوطان، وغرب في الأرض وأغرب: إذا أمعن في البعد، وأغرب صار غريباً، وكثيراً ما تكون الغربة قسرية بسبب ما يتعرض له الإنسان من ظلم وخوف أو جوع، أما الاغتراب فهو طوعي يختاره الإنسان لأسباب منها عدم الانسجام مع المجتمع والعجز عن الانتقاء وعدم الرضى بالتقاليد والأعراف، والمخالفة في الفكر والمعتقد، وكثيراً ما يشعر المغترب بالوحدة والعزلة والفراغ النفسي، وكذلك شعوره بافتقار الأمن وسوء العلاقات الاجتماعية وافتقار الطمأنينة<sup>(3)</sup>. وصور الاغتراب كثيرة منها: الاغتراب عن الوطن، ومنها الاغتراب داخل الوطن، ومنها الاغتراب عن المجتمع، أو الاغتراب عن الذات، وكل هذه الأنواع مريرة وقاسية ويشعر صاحبها بالألم الوحشة والمرارة، ولعل أفسى أنواع الغربة هي الغربة داخل الوطن بسبب الظلم والاضطهاد والخوف أو الفقر والحرمان، ومن أقوال علي بن أبي طالب عليه السلام: «الفقر في الوطن غربة، والغنى في الغربة وطن»<sup>(4)</sup>.

(1) اللسان: غرب.

(2) اللسان: غرب.

(3) دراسات في سيكولوجية الاغتراب - خليفة ص 45، 140.

(4) نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده 4/ 14، ط دار المعرفة بيروت.

## مظاهر الغربة

وللغربة أبعاد ومظاهر ذكرها علماء النفس والاجتماع، وقد أجملت في خمسة مظاهر أساسية هي: العجز، واللامعنى، واللامعيارية، والعزلة الاجتماعية، والاعتراب عن الذات<sup>(1)</sup>.

### 1- العجز Powerlessness:

فأما العجز: فهو شعور الفرد بأن لا حول له ولا قوة، ولا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، ولا يستطيع أن يقرر مصيره، ومن ثم يعجز عن تحقيق ذاته أو يشعر بحالة من الاستسلام والخنوع<sup>(2)</sup>. والعجز وفقدان القدرة هو توقع الفرد بأنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسة الضبط، لأن الأشياء حوله تسيطر عليها ظروف خارجية أقوى منه، ويتولد لديه شعور بالعجز والإحباط وخيبة الأمل في إمكانية التغيير<sup>(3)</sup>.

### 2- اللامعنى Meaninglessness:

وأما اللامعنى أو فقدان المعنى: فهو توقع الفرد أنه لن يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك، كما يقول (سيان)، فالغرد يغترب عندما لا يكون واضحاً لديه ما يجب عليه أن يؤمن به أو يثق فيه، ولذلك يرى الإنسان المغترب أن الحياة لا معنى لها، لأنها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، ومن ثم يعيش حياة التفاهة واللامبالاة.

### 3- اللامعيارية Normlessness:

وتسمى (الأنوميا)، وهي حالة تصيب المجتمع، أي حالة إنهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه، وهي كما يقول (سيان): «الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة،

(1) خليفة ص 35 عن ملفن سيان.

(2) خليفة، عبد اللطيف محمد: سيكولوجية الاعتراب، ص 36، وانظر مراجعه.

(3) أحمد النكلاري: الاعتراب في المجتمع المصري المعاصر، ص 121، ط دار الثقافة العربية، القاهرة 1989.

أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعياً، غدت مقبولة تجاه أية أهداف محددة، أي أن الأشياء لم يعد لها أية ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صواباً، وما كان صواباً أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصلحة الذاتية للفرد وحججها عن المعايير وقواعد وقوانين المجتمع<sup>(1)</sup>.

#### 4- العزلة الاجتماعية Social Isolation :

ويراد بها شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي، والافتقار إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة، والبعد عن الآخرين حتى وإن وُجدَ بينهم، ويصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، والانفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعايره، وغالباً ما يستخدم هذا المصطلح عند الحديث عن الاغتراب في وصف وتحليل دور المفكر أو المثقف الذي يغلب عليه الشعور بالتجرد وعدم الاندماج النفسي والفكري بالمعايير الشعبية في المجتمع، وهؤلاء الذين يجيئون حياة عزلة واغتراب لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم التي يثمنها أفراد المجتمع<sup>(2)</sup>.

#### 5- الاغتراب عن الذات Self -- estrangement:

ويراد به عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه، وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياة الفرد بلا هدف، ويشعر بالاغتراب عندما لا يستطيع التحكم بأفعاله، ويكون سلبياً عندما يستسلم لأفعاله ونتائجها، ويشعر أن لا معنى لحياته كما يشعر باغترابه عن ذاته<sup>(3)</sup>.

ويتحدد مفهوم الاغتراب في الشخصية في عدم التكيف وعدم الثقة بالنفس

(1) أحمد الكلوي ص 105.

(2) خليفة، ص 39.

(3) خليفة، ص 40.

والمخاوف المرضية والقلق والإرهاب الاجتماعي، وغياب الإحساس بالتماسك والتكامل الداخلي في الشخصية، مع ضعف الشعور بالهوية والانتفاء وعدم الإحساس بالأمن .

وينظر إلى الاغتراب عن الذات باعتباره اضطراباً نفسياً يتمثل في اضطراب الشخصية الفصامية، ويتسم الشخص الفصامي بالعجز عن إقامة علاقات اجتماعية، والافتقار إلى مشاعر الدفء واللين أو الرقة مع الآخرين، فهناك تشابه بين اغتراب الذات واضطراب الشخصية الفصامية في أنهما يشيران إلى صعوبة استمرارية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين من أفراد المجتمع<sup>(1)</sup>.

### الغربة ومظاهرها في الجاهلية

حين يعترب الجاهلي أو يبعد عن أهله ودياره يحن إليها ويتغنى بالشوق إليها، ويبدأ قصائده بذكرها، فما وطن الجاهلي؟ وطن الجاهلي مسقط رأسه، ومكان سكنه وسكن أهله وقومه، وهم جماعة من الناس تربطهم أواصر النسب، وسواء أكان هذا السكن بيتاً من طين أم خيمة أم رباعاً، وكان لكل قبيلة منازلها ومراعيها المحددة التي ترتادها في مختلف فصول العام، «وتكون الأرض التي تحل القبيلة بها (متزلاً) لها، و(منازل) لأبنائها الذين ينزلون بها، يضربون بها خيامهم، فتكون الأرض مضارب لها، تستوطنها وتقيم بها، وتصير وطناً لها، أي دار إقامة، ما دامت تقيم بها»<sup>(2)</sup>، وإذا تركت القبيلة أرضها إلى أرض أخرى يبقى الحنين إلى الأرض الأولى، فحين يمر بها يقف عند أطلالها يبكيها ويبكي أهلها، فليس للأرض مكانة دون ساكنيها، وإذا اغترب الجاهلي عن أرضه وأهله كثر حنينه إلى الديار وإن كانت خرائب وأطلالاً، وبقي هذا الشوق والحنين حتى في الإسلام، وقد يتوسع الشعراء في الحنين إلى الوطن ويتعدى هذا الشوق أرض القبيلة فيشمل كل ما حولها، ولذلك كثر الشوق إلى نجد والتغني بها، وبمرباعها وأهلها، ويزداد هذا الحنين

(1) خليفة، ص 81-82.

(2) جواد علي: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 4/ 342.

والشوق حين يسكنون القرى والمدن، وخير تعبير عن ذلك أبيات الصمة القشيري (ت 95 هـ) حيث يقول: <sup>(1)</sup>

أقول لصاحبي والعيس هموى      بنا بين المتيففة فالضمار  
تمتع من شميم عرار نجد      فما بعد العشية من عرار  
ألا يا حَبذا نفحات نجد      ورئياً روضه بعد القطار  
وأهلك إذ يحمل الحيّ نجداً      وأنت على زمانك غير زار  
شهورٌ ينقضين وما شعرنا      بأن صاف لمن ولا يرار

ويقيم الجاهلي في أرضه مادام فيها عزيزاً، فإن شعر بالظلم والذلة غادرها رغم اعتزازه بها وحنينه إليها، وقد عبر عن ذلك أوس بن حجر (2 ق هـ) حيث يقول: <sup>(2)</sup>

أقيم بدار الحزم مادام حزمها      وأحر إذا حالت بأن انحولا  
وأستبدل الأمر القويّ بغيره      إذا عقد مأفون الرجال تحللا

ويأبى سلمة بن زيد البجلي الضيم ويفضل الغربة فأرض الله واسعة: <sup>(3)</sup>

لا خير في بلد يُضامُ عزيزه      وعن الهوان مذهبٌ ومناجح

وكذلك يرى ربيعة بن مقروم الضبي (ت 16 هـ): <sup>(4)</sup>

ودارُ الهوانِ أنفنا المقام      بها فحللنا محلاً كريماً

(1) حماسة المرزوقي 3/1340، والحماسة البصرية 2/109، وديوانه ص 94 - 95 جمع وتحقيق خالد الجبر، ط جامعة البتراء، عمان 2003.

(2) ديوانه ص 69، ط دار الأرقم، بيروت 1996.

(3) حماسة البحترى ص 146، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1999، وينظر تحقيق كمال مصطفى، ط مصر 1925.

(4) السابق نفسه.

وحين يتعرض الشاعر إلى المهانة والخطر يهاجر من بلده هارباً مغترباً على الرغم من اشتياقه لبلده، وهذا ما كان من أمر المتلمس (ت 50 ق هـ) جرير بن عبد المسيح حين لحق بالشام هارباً من الملك عمرو بن هند، يقول: <sup>(1)</sup>

إِنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ كَانُوا الْمَوَى      فإِذَا نَبَا بِكَ وَدُهُمَ فليُعْبِدِ  
فَلتَتَرَكُنَّهُمْ بليلاً نَاقَتِي      تَدْرُ السَّيَّكُ وَتَهْتَدِي بِالْفَرْقَدِ  
لِبلَادِ قَوْمٍ لَا يُرَامُ هَدْيُهُمْ      وَهَدْيِي قَوْمٍ آخِرِينَ هُوَ الرَّدِي

ويصور عمرو بن هبيرة حال الغريب في غير قومه من الذلة والمهانة، يقول: <sup>(2)</sup>

أبى الله للجيران إلا مذلةً      ومن يغترب عن قومه يتذلل

والشاعر الجاهلي عزيز داثماً في قومه، فإذا نأى عن أهله ودياره فهو غريب ذليل مهان، وقد عبر عمرو بن هبيرة عن هذا الهوان في قوله: <sup>(3)</sup>

ومن تكُّ في غير المشيرة دارةً      يُغَضَّبُ فِتْرُدُ غير مُرضى مغاضبُهُ  
يرى كلَّ صوتٍ منهم فوقَّ صوتِهِ      ولا يوجبوا منه الذي هو واجبُهُ  
وينكسرُ عليه إنَّ أرابَ بخطيةً      ولا يستطعُ تنكيرَ ما هو راببُهُ

وفي معناه يقول هرم بن حيان العبدي: <sup>(4)</sup>

وجدتُ الفتى ما كان في غير قومه      تُنصِرُ مظلوماً عليه وظالمها

ويفضلون الفاقة في الوطن على العيش الموسع في الغربة: <sup>(5)</sup>

(1) المنازل والديار ص 255، ديوانه ص 36-37 ط لبيزج.

(2) حماسة البحري ص 155.

(3) حماسة البحري ص 155.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

(5) ديوان المعاني لأبي ملال العسكري 2/536، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1994.

## كَقْرُبِ الدَّارِ فِي الإِقْتَارِ خَيْرٌ      مِنْ العَيْشِ المَوْسِعِ فِي اغْتِرَابِ

وخير من يصور آلام الغربية جبلة بن الأيهم (ت 20 هـ) الذي أنف وهو الملك أن يعتذر لأعرابي ويلطمه مثلما لطمه، فرحل إلى بلاد الروم وتنصر، ولكنه بعد ذلك صار يعاني آلام الغربية ويحن إلى أهله ودياره، وصار يتمني لو عاد وصار رجلاً من عامة الناس يرعي الإبل في البوادي، ويرضى أن يعيش فقيراً في دياره بالشام، أو حتى أسيراً لدى قبيلة عربية، بعيداً عن غربته في بلاد الروم: (1)

تَنْصَرَّتِ الأَشْرَافُ مِنْ عَارِ لَطْمَةٍ	وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا صَبْرٌ
تَكْتَفِنِي فِيهَا بَجَاجٌ وَنَخْوَةٌ	وَيَعِثُ بِهَا العَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالعَوَزِ
فِيالَيْتِ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي	رَجَعْتُ إِلَى القَوْلِ الَّذِي قَالَ فِي عَمْرٍ
وَيَالَيْتَنِي أَرَعَى المَخَاصِ بِقَفْرَةٍ	وَكَنتُ أُسَيراً فِي رِييعةٍ أَوْ مُضَرٍّ
وَيَالَيْتَ لِي بِالشَّامِ أَدْنَى مَعِيشَةٍ	أَجالسُ قَوْمِي ذَاهِبَ السَّمْعِ وَالبَصَرِ

وكذلك يعبر الأعمشى عمّا يلقاه الغريب من ذلة فهو منتقص مهضوم الحقوق: (2)

وَمَنْ يَغْتَرِبُ عَنِ قَوْمِهِ لَا يَجِدُ لَهُ	عَلَى مَنْ لَهُ رَهْطٌ حَوَالِيهِ مَغْضَبًا
وَيُحْطَمُ بِظُلْمٍ لَا يَزَالُ يَرَى لَهُ	مِصَارِعَ مَظْلُومٍ تَجَرَّأَ وَمَسْحَبًا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَىءُ	يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِي رَأْسِ كِبْكَبَا (3)

وفي هذا المعنى يقول أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) حين ارتحل إلى إيسى

حزوى يطلب الغنى، فندم ولم يكسب في غربته إلا الضيم والهوان: (4)

(1) انظر قصة اسلامه وارتداده وشعره في الأغاني 15 / 161-163.

(2) ديوان الأعمشى ص 163، تحقيق محمد محمد حسين، ط 4 مؤسسة الرسالة، بيروت 1983.

(3) كيبك: جبل خلف عرفات.

(4) ديوان المعاني 2 / 537.

حسبتُ الخَيْرَ يكثرُ في التنائي      فكانَ الخَيْرُ أَكثَرَ في التَدانِي  
 ذكرتُ مقامنا بِسَراةِ حَزوِي      فسرتُ مع الوساوِسِ في عِنانِ  
 ألا اللهُ حَزْمٌ واصلُ طَبارِ      تقاسمه بُنَيَّاتُ الزمانِ  
 عَزِيزٌ أَضْمَرْتُهُ نوى شَطونِ      فظَلُّ من المِهانَةِ في ضِمانِ  
 يُنَاطُ إلى العَزِيزِ إذا تَبَوَّى      بمنزِلِ غُزْبَةٍ طرفِ المِوانِ

وقد تكون الغربة قسرية بأن يقترف المرء جرماً فيهرب مستجيراً بقبيلة أخرى أو يتوارى بين القبائل، فهو ذليل خائف منبوذ، وكذلك كانت حال الشيطان بين الحارث الغساني الذي قتل رجلاً من قومه، وكان المقتول ذا أسرة، فخافهم فلحق بالعراق، وقيل بالحيرة متنكراً، وكان من أهل بيت الملك، فكان يتكفّف الناس نهاره، ويأوي إلى خربة من خراب الحيرة، فبينما هو ذات يوم في تطوافه إذ سمع قائلاً يقول: (1)

لما اللهُ صعلوكاً إذا نالَ مَدَقَةً      توَمَّدَ إحدى ساعديه فهوَّما  
 مقيماً بدارِ المِتونِ غيرَ مُناكِرِ      إذا ضِيمَ أَعْضَى جَفَنَهُ ثم بَرَّشَما (2)  
 يلوذُ بأذراءِ المِثارِبِ طامِعاً      يرى المِنعَ والتعيسَ من حيثِ يَمَّما (3)  
 يَصْنُ بِنفسِ كَدَّرَ البؤسِ عيشها      وجودُها لو صانها كان أحزما  
 فذاك الذي إن عاشَ عاشَ بِذَلَّةِ      وإن ماتَ لم يشهدْ له الناسُ ماتِما  
 بأرضِكَ فاغْرُكْ جِلْدَ جَنِيكَ إنَّني      رأيتُ غريبَ القومِ لِحماً موَصَّما

فكأنه نبهه من رقدة، فتوسل بالوصول إلى الملك المنذر وعرفه بنفسه وقصته فشفع له، وبعث إلى أهل المقتول فأرضاهم عن صاحبهم.

(1) ذيل الأمالي والنوادر 3/ 179.

(2) برشم: وجم وأظهر الحزن، وحقق بالنظر. اللسان: برشم.

(3) المثارِب: القليلو العطاء.

ومن صور المهانة التي يلقاها الغريب في ديار الآخرين، أن يجبر على تزويج ابنته لمن هم غير أكفاء، وهذا ما حصل لمهلhel سيد تغلب وقائدهم في حرب البسوس، وكان مهلهل ومن معه قد أسروا في حرب وانكسر قومه، فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والأسر إلى قومه، جعل النساء والولدان يسألونه عن الآباء والأزواج، فقال يخبرهم بمقتلهم: <sup>(1)</sup>

ليس مثلي يُجَبَّرُ الناس عن آ بائهم قُتِلوا وينسى القتالا  
لم أرمِ عَزْصَةَ الكتيبة حتى انـ سَتَعَلَ الوَزْدُ من دمائِ نِعالا  
غلبونا ولا محالة يوماً يـ قَلِبُ الدهرُ ذلك حالاً فحالا

واضطر لذلك أن يترك أرض قومه ويلحق بأرض اليمن، فخطب إليه أحدهم ابنته فأبى أن يفعل، فأكرهوه فأنكحها إياه، فقال يذكر غربته ومهانتة بعد أن كان عزيزاً قوياً في قومه: <sup>(2)</sup>

انكحها فقدُها الأراقمَ في جنِبٍ وكان الجِباءُ من آدم  
لو بأبائينِ جاء يخطبُها ضُرِّجَ ما أنفُ خاطبٍ بدم  
أصبحتُ لا مُنْفِساً أصبْتُ ولا أبْتُ كريماً حُرّاً من الندم  
هانَ على تغلبٍ بما لقيتُ أخْتُ بني المالكينَ من جُشَمِ  
ليسوا بأكفائنا الكرامِ ولا يُغنونَ من عَيْلَةٍ ولا عَدَمِ

وقد تكون غربة الشاعر في فراق الحبيبة حين ترحل ويبقى في غربة عنها ووحشة، هذا عمرو بن معد بكر الزبيدي (ت 21 هـ) طلق زوجته ورحلت عنه ثم ندم وصار يحن إليها ويشعر بغربته في فراقها، فهو يتغزل بها ويحن إليها: <sup>(3)</sup>

(1) الأغانى 5/ 55 ط دار الكتب العلمية، بيروت 1992.

(2) الأغانى 5/ 56، الأراقم: حي من تغلب، ابانان: جيلان، أبان الأبيض لبني فزارة، وأبان الأسود لبني أسد، النفس: المال الكثير.

(3) شعر عمرو بن معد بكر الزبيدي ص 59، تحقيق مطاع طرايشي، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1985. الغُزْب: الغريب، الحزان: ما غلظ من الأرض، بركضها: يضرها برجله.

هاج لك الشوق من ريحانة الطربا  
مازلت أحبس يوم البين رحلتي  
حتى ترفع بالحران يركضها  
والغانيات يقتلن الرجال إذا  
من كل أنسة لم يغذها عدم  
إن الغواني قد أهلكنتي وأرى  
غربة المرأة

ومن صور الشوق إلى الأهل والوطن والبوح بالآلام الغربية شعر أسماء المرية صاحبة عامر بن الطفيل، التي تقاسي آلام الغربية لبعدها عن الوطن والحبيب: <sup>(1)</sup>

أيما جبلي وادي عريصرة التي  
الأخليا مجرى الجنوب لعلة  
وكيف تداوي الريح شوقاً ثم اطلأ  
وقولا لركبان تميمية غدت  
بأن باكناف الرغام غريبة  
مقطعة أحشاؤها من جوى الهوى  
نأت عن نوى قومي وحق قدومها  
يُداوي فوادي من جواه نسيبها  
وعيناً طويلاً بالدموع سُجومها  
إلى البيت ترجوان تحط جزمها  
موهة تكلى طويلاً تميمها  
وتبريح شوق عاكف ما يريمها

وضرب آخر من الغربية، هو ما تحسه المرأة التي تتزوج في غير عشيرتها فتشعر أنها غريبة في قوم غرباء، فتضجر وتتذمر من حياتها بين قوم أغراب، وتحن إلى أهلها وديارها، تقول وجبهة بنت أوس الضبية: <sup>(2)</sup>

(1) أمالي القلي 2/ 197.

(2) الحماسة 2/ 141، وانظر في هذا الموضوع: الغربية في الشعر الجاهلي، لعبد الرزاق الخشروم، ص 76-80، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1982.

وعاذلة تغدو عليّ تلومني  
فما لي إن أحببت أرض عشيرتي  
فلو أنّ ريحاً بلغت وحيّ مرسلي  
فقلت لها أدّي إليهم تحيّي  
فإني إذا هبت سؤال سألتها  
على الشوق لم تمحّ الصبابة من قلبي  
وأبغضت طرفاء القصيبة من ذنبي  
خفيّ لناجيت الجتوب على النقب  
ولا تخلطينها طال سعادك بالثرّب  
هل ازداد صدّاح النميرة من قرب

وامرأة من بني أبان من تميم، زوّجت في كلب، فنظرت ذات يوم إلى ناقة قد حنّت،  
فذكرت بلادها وأنشأت تقول: (١)

ألا أيها البكرُ الأبايُّ أنني  
تحنُّ وأبكي ذا الهوى لصبابة  
وإنّ زماناً أيها البكرُ ضمّني  
وإياك في كلبٍ لسرّ زمان  
وإنا على البلوى لمضطجبان  
وإياك في كلبٍ لسرّ زمان

قال: ولما حملت نائلة بنت الفرافصة الكلبية إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه كرهت فراق  
أهلها، فقالت لضبّ أخيها:

ألسّ ترى بالله يا ضبُّ أنني  
أما كان في أولاد عوفٍ بن عامرٍ  
أبى الله إلا أن أكونَ غريبةً  
مرافقةً نحو المدينة أركبها  
لك الويل ما يُغني الخباء المطّبا  
بيشرب لا أمّاً لديّ ولا أبا

ومثلها ميسون بنت بحدل زوجة معاوية، التي ضاقت بحياة الحاضرة في الشام  
واشتاقت إلى أهلها في البادية فقالت أبياتاً فيها حنين إلى أهلها وأرضها، وسمعتها معاوية

(1) رسائل الجاحظ، رسالة الحنين إلى الأوطان 2/400، تحقيق عبد السلام هارون، ط الخانجي، 1965.

تنشد الأبيات ووصفته فيها بالعلاج العليف، فقال لها: ما رضيت يا ابنة بحدل حتى جعلتني بالعلاج العليف؟! فالحقني بأهلك. والأبيات هي: (١)

كَيْبَتْ تَخْفَقُ الأرواحُ فِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَضِرِ مُنِيفِ  
 وَيَكْرُيبُ تَبِعُ الأظعانَ سَقْباً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَغْلِ زَفوفِ  
 وَكَلْبٌ يَنْبَحُ الطُّرَاقَ عَنِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِطِّ الوَفِ  
 وَلُبْسُ عِباءَةٍ وَتَقَرُّ عيني أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفوفِ  
 وَأَكْلُ كُسَيْرَةٍ فِي كِسْرِ بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَكْلِ الرِّغيفِ  
 وَأَصواتُ الرِّياحِ بِكُلِّ فَجٍّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَقْرِ الدُّفوفِ  
 وَخِرْقٌ مِنْ بَنِي عَمِّي نَحيفٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِلْجِ عَليفِ  
 نُحْشُونَةٌ عِشْتِي فِي البَدْوِ أَشهى إِلَى نَفْسِي مِنَ العَيْشِ الطَّرِيفِ  
 فَمَا أَبغِي سِوى وَطْني بَدِلاً فَحَسْبِي ذاكُ مِنْ وَطْني شَرِيفِ

وهذه امرأة من بني شيبان تزوجت في بني يشكر، فشعرت أنها غريبة في قوم زوجها فهي تمنُّ إلى أهلها وموطنها، تقول: (٢)

أَصْبَحْتُ فِي آلِ الشَّقِيقِ غَريبَةً عَلَيَّ الَّذِي لا عَيْبَ فِيهِ مَعِيبُ  
 وَإِنَّ زَماناً رَدَّنِي فِي عَشِيرَتِي إِلَيَّ وَإِنَّ لَمْ أَرِجُهُ لِحَيْبُ  
 فَسَمِعَها زَوجَها، فَردَها إلى قومَها.

(1) خزانة الأدب 505/8-507 تحقيق عبد السلام هارون، ط دار الكتب العلمية بيروت 1998.

(2) أشعار النساء، للمرزباني، مخطوط ص 51، المرأة في الشعر الجاهلي، الحوفي ص 175.

وامرأة أخرى تسكن البادية خرج بها زوجها إلى القُفَّين، والقُفُّ واد بالمدينة،  
فشعرت بالغبرة في البيئة الجديدة التي تختلف عن حياة البادية، فهي تحن إلى أرضها  
وأهلها وكل شيء في باديتها، تقول:»

نظرتُ ودوني القُفُّ ذو النخلِ هل أرى  
فيالك من شوقٍ وجيعٍ ونظرة  
ألا حبَّذا ما بين حُزوي وشارعٍ  
لعمري لأصواتِ المكاكيِّ بالضُّحى  
وصوتُ شمَالٍ رُغَزَعَتْ بعدَ هذاةٍ  
أحبُّ إلينا من صياحِ دجاجةٍ  
فياليتَ شغري هل أبيتنَّ ليلةً  
أجارعَ في آلِ الضُّحى منذرى الأملِ  
ثناها عليَّ القُفُّ خبلاً على الحبلِ  
وأنقاءِ سلمى من حُزوني ومن سهلٍ<sup>»</sup>  
وصوتُ صَبَاً في حائطِ الرُّمثِ بالدُّخْلِ  
آلاءِ وأنبساطاً وأزطى من الحبلِ  
وديكِ وصوتِ الريحِ في سَعَفِ النَّخْلِ  
بجُمهورِ حُزوي حيثُ ربَّتني أهلي

ويستمر شعر الشاعرات في الحنين إلى الأوطان والتذمر من الغربة في البيئات  
الحضرية في الإسلام.

(1) أمالي القالي 2/ 31.

(2) حُزوي: من رمال الدهناء، وشارع: جبل بالدهناء. معجم البلدان.



رَفَعُ  
عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّجْدِيُّ  
أَسْلَمَ النَّبِيُّ الْفَرُوسُ

## الفصل الأول

### شعر الحنين والغربة في الجاهلية وصدور الإسلام

ومنذ الجاهلية بدأت تتضح ملامح الوطن وتتحدد عند بعض الشعراء، فلم تقتصر على ذكر الديار والأطلال بل صارت تتضح ملامح الأرض وحدودها ومربعاتها ومغانيتها، يصحب ذكرها الشوق والحنين إليها وإلى أيام الحب والخير والصفاء، ويكثر في شعرهم الحنين إلى الديار، والديار هي الأوطان، فإذا ما بعد الشاعر عن دياره لرحلة أو غزوة، فسرعان ما يملأه الحنين والشوق إلى الديار وساكنيها، وكثيراً ما يُشركُ الشاعرُ ناقته في هذا الشوق والحنين والتذمر من الغربة، فهذا امرؤ القيس حين توجه إلى بلاد الروم كان يحن إلى أهل والوطن، وكلما وصل مدينة أوجاوزها يتقطع كبده حسرة على فراقها يقول وهو في طريقه إلى بلاد الروم: <sup>(1)</sup>

سما لك شوقٌ بعد ما كان أقصرا  
وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بطنَ قَوْ فَعَرَعَرَا  
كنايئة بانث وفي الصدرِ وُدُّها  
مجاورة غسانَ والحيِّ يَعْمُرَا

ثم يقول:

تذكرتُ أهلي الصالحينَ وقد آتت  
على كملتِ خوصُ الرُّكابِ وأوجرا  
فلما بدت حورانُ في الآلِ دوعها  
نظرتَ فلم تنظرْ بعينيكَ منظرا  
تقطع أسباب اللبنة والهوى  
عشيّة جاوَزنا حماةً وشيْراً

(1) ديوان امرؤ القيس ص 56-62.

بَسِيرٍ يَضِجُ الْعَوْدُ مِنْهُ يَمْنَةً أَخُو الْجَهْدِ لَا يُلْوِي عَلَى مَنْ تَعَدَّرَا

ويذكر حين صاحبه عمرو بن قميئة وبكاءه لما أيقن بالبعد عن الديار ودخول دار  
الغربة ومصيرهما المجهول، ويحكي ما كان بينهما من حوار: (1)

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونهُ وأيقنَ أنّا لاجِحانِ بقينصرا  
فقلتُ له لا تبكْ عينكُ إنّما تُحاولُ مُلكاً أو نموتُ فنُعذرا  
ولاني زعيمٌ إن رجعتُ مُلكاً بسيرٍ ترى منه الفرائقَ أزورا (2)  
لقد أنكرتني بعلبكُ وأهلها ولأبنُ جريجٍ في قُرى حصّ أنكرا  
نسيمٌ بروقِ المزنِ أين مصابهُ ولا شيءَ يشفي منكِ يابنةَ عفزرا  
أرى أمَ عمرو دمعها قد تغيرا بكاءً على عمرو وما كان أصبرا  
إذا نحنُ سِرنا خمسَ عشرةَ ليلةً وراءَ الحساءِ من مدافعِ قيصرا

ويذكر أن دهره وقد تغير، فهو لا يلقى ما يسره ويفرّ عينه، وشعوره هذا بسبب ما  
يلقاه في سفره وغربته، وإنكار الناس له فقد حلّ في غير أهله ودياره:

إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضيتُهُ وقَرّتُ به العينانِ بُدأتُ آخرا  
كذلك جدّي ما أصاحبُ صاحباً من الناسِ إلا خانني وتغيراً

وفي غربته وبعد خيبته ورجوعه من بلاد الروم، يرى قبر امرأة من أبناء الملوك  
ماتت هناك فدُفنت في سفح جبل يقال له عسيب، فسأل عنها فأخبر بقصتها، فقال يذكر  
غربته وإياها: (3)

(1) الديوان ص 65-69.

(2) الفرائق: الصاحب والدليل.

(3) ديوان امرئ القيس ص 357، الأغاني 9/ 119.

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْمَزَارَ قَرِيبٌ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبٌ

قيل: ثم مات فدُفِنَ إلى جنبِ المرأة، فقبره هناك.

أما حاتم الطائي (ت 46 ق هـ) فقد عبر عن هذه الأشواق والأحاسيس وعن وجده بأجبال طيء، وهو قافل من ديار حبيته ماوية بقوله: <sup>(1)</sup>

حَنَنْتُ إِلَى الْأَجْبَالِ أَجْبَالِ طِيٍّ      وَحَنَنْتُ قَلُوصِي أَنْ رَأَتْ سَوْطَ أَحْمَرَا  
فَقَلْتُ لَهَا إِنَّ الطَّرِيقَ أَمَانَا      وَإِنَّا لَمُحِيو رَبْعِنَا إِنْ تَيَسَّرَا  
فِيَارَاكِبِي عَلَيَا جَدِيلَةَ إِنَّمَا      تُسَامَانِ صَنِياً مُسْتَبِينَا فَنُظْطَرَا  
لَشِعْبٍ مِنَ الرِّيَانِ أَمَلِكُ بَابُهُ      أَنْادِي بِهِ آلَ الْكَبِيرِ وَجَعْفَرَا<sup>(2)</sup>  
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ خَطِيبِ رَأَيْتُهُ      إِذَا قَلْتُ مَعْرُوفاً تَبَدَّلَ مُنْكَرَا  
تَنَادِي إِلَى جَارَاتِهَا أَنْ حَاتِمَا      أَرَاهُ لَعَمْرِي بَعْدَنَا قَدْ تَغَيَّرَا  
تَغَيَّرْتُ إِنِّي غَيْرَ آتٍ لَرَيْبَةٍ      وَلَا قَاتِلٍ يَوْمَا لَدِي الْعُرْفِ مُنْكَرَا

والشاعر حين يتتعد عن أهله ووطنه يشعر أنه غريب لا يستطيع أن يتلائم مع البيئة التي نزلها والناس حوله غير الناس، فهو ذليل مهان وإن لم يذله أحد، ولم يجاوز الحق من قال: «الغربة كربة، والقلة ذلة».<sup>(3)</sup>

والمرء عزيز في قومه، فإذا فارق واعترب عاش المهانة والذل، وقديماً قالت أعرابية: «إذا كنت في غير أهلِكَ، فلا تنس نصيبك من الدُّل، وبهذا المعنى قال الشاعر خالد بن نضلة:»<sup>(4)</sup>

لَعَمْرِي لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً      عَلَيْهِ وَإِنْ عَالُوا بِهِ كُلُّ مَرْكَبٍ

(1) ديوان حاتم الطائي ص 107-108، بعناية حنا نصر الحتي، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997.

(2) أنادي: أجالس، من الندوة، مجتمع القوم.

(3) رسائل الجاحظ 2/390.

(4) رسائل الجاحظ 2/391-392، الحيوان 3/103، الحماسة بشرح المرزوقي ص 358.

إذا كنتَ في قومٍ عدِيّ لستَ منهمُ فكلُّ ما عُلِفَتْ من خبيثٍ وطيبٍ

وقد عبّر شاعر آخر عن ضيقه وكآبته في دار الغربية: (1)

وأنزلي طولُ النَّوى دارَ غُربةٍ إذا شئتَ لاقيتُ امرأً لا أشاكلُهُ  
فحامقتهُ حتى يُقالَ سجيّةٌ ولو كان ذا عقلٍ لَكُنْتُ أعاقلُهُ  
ولو كنتُ في قومي وجُلّ عشيرتي لألفيتُ فيهم كلَّ خِزقٍ أو أصِلُهُ (2)

وكثيراً ما يغترب المرء سعيّاً وراء الرزق وطلباً للمعاش والغنى، ولكن كل ما يدرك من المال والغنى لا يساوي لحظة يقال له إنك غريب، فالغربة سوءة وذل، وهذا ما أرادته الشاعر في قوله: (3)

وإنَّ اغتِرابَ المرءِ من غيرِ خُلَّةٍ ولا هِمَّةٍ يسمو بها لعجيبٌ  
وحسبُ الفتى ذُلًّا وإن أدركَ الغنى ونال ثراءً أن يُقالَ غريبٌ

والشاعر الجاهلي يحن أبدأً إلى وطنه وأهله وإن كان لصاً خارباً (4)، فهذا أبو الطمحان القيني (ت 30 هـ) ينزل على الزبير بن عبد المطلب بمكة فيكرمه ويستبقيه معه، ولكنه يحن إلى أهله ودياره، ويقول أبياتاً تصور حنينه وحنين ناقته إلى دياره وهي وطنه، قال المدائني (5): «ونزل أبو الطمحان القيني على الزبير بن عبد المطلب بن هاشم،

(1) رسائل الجاحظ 2/405، ابن المرزبان ص 67، البيان والتبيين 2/235، عيون الأخبار 3/24، المجموع اللفي ص

406، المنازل والديار ص 332، بهجة المجالس 1/234، معجم الأدباء 1/241 و6/2408 ونسبت للشافعي خطأ

في ديوانه ص 107، وقد تمثل الشافعي بهذه الأبيات .

(2) ويروي : لألفيت في قومي كريماً أفاصله .

(3) ابن المرزبان ص 67، المحاسن والأضداد ص 122، رحلة ابن معصوم ص 150، الظرائف واللطائف ص 173 .

(4) الخارب: السارق واللص .

(5) الأغاني 13/15-16 .

وكانت العرب تنزل عليه، فطال مقامه لديه، واستأذنه في الرجوع إلى أهله، وشكا إليه شوقاً إليهم، فلم يأذن له، وسأله المقام، فأقام عنده مدة، ثم أتاه فقال له:

ألا حنَّت المرقالَ وانْتَبَّ رُبَّها      تذكَّرْ أوطاناً وأذكرْ معشري<sup>(1)</sup>  
 ولو عرفتْ صَرْفَ البيوعِ لسرَّها      بمكَّةَ أن تبتاعَ حمضاً بإذخري<sup>(2)</sup>  
 أسركِ لو أننا بجَنبِي عُنَيْزَةَ      وحمضٍ وضميرانِ الجصابِ وصعترِ  
 إذا شاء راعيها استقى من وقيةِ      كعينِ الغرابِ صفوها لم يُكْذِرْ

فلما أنشده إياها أذن له فانصرف، وكان نديماً له.

وحين يبعد المرء عن دياره وأهله ويكون غريباً في غير بلاده يشعر بالهوان والذلة ويتمنى العودة للوطن وهذا أحد الغرباء يشتاق إلى وطنه ويتمنى العودة إليه:<sup>(3)</sup>

ألا ليت شعري والحوادثُ جمةً      متى تجمَعُ الأيامُ يوماً لنا الشملا  
 وكلُّ غريبٍ سوفَ يُمسي بِذِلَّةٍ      إذا بانَ عن أوطانِهِ وجفا الأهلا

والشعر الجاهلي يحفل بذكر الحنين إلى الوطن وكره الغربة، ويشرك الشاعر ناقته في حنينه إلى الأهل والحمى، فهي تحن كحنينه وإن اختلفت جهة الحنين فكل منهما يفرض إلى أهله وأحابه، يقول شاعر من بني كلاب:<sup>(4)</sup>

فمن يكُ لم يغرَضْ فلإني وناقتي      بحجرٍ إلى أهل الحمى غرِضانِ  
 أليفا هوىً مثلان في سرِّ بيننا      ولكنتنا في الجهرِ مختلفانِ

(1) المرقال: اسم ناقة أبي الطمحان، وأصل الإرقال ضرب من العدو فوق الخبب، اتب ربهما: تياً صاحبها للذهاب وتجهز.

(2) الأذخر من نبات المدن والحمض من نبات البادية، أي لسر ناقته أن تستقل إلى البادية أرضها.

(3) رسائل الجاحظ 2/ 404.

(4) الكامل 1/ 46-47، ويروى هذا الشعر مع خلاف لعروة بن حزام في نوادر القالي 3/ 158-159، وانظر رغبة الأمل

للمرصفي / 135.

تَحْنُ فُتْبُدِي مَا بِهَا مِنْ صَبَابِيَّةِ  
 هَوَى نَاقَتِي خَلْفِي وَقُدَّامِي الْهَوَى  
 هَوَايَ أَمَامِي لَيْسَ خَلْفِي مُعَرَّجٌ  
 هَوَايَ عِرَاقِيٌّ وَتَنْنِي زِمَامَهَا  
 مَتَى تَجْمَعِي شَوْقِي شَوْقَكَ تَضْلَعِي  
 وَأَخْفِي الَّذِي لَوْلَا الْأَسَى لِقَضَائِي  
 وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لِمُخْتَلِفَانِ  
 وَشَوْقٌ قَلْوَصِي فِي الْفُؤَدِ يَمَانِي  
 لِبَرْقِ إِذَا لَاحَ النُّجُومُ يَمَانِي  
 وَمَالِكِ بِالْعَبَاءِ الثَّقِيلِ يَدَانِ

أما عنتره العبسي فيتغنى بأرض الشربة شعبها وواديها، وهو في طريقه إلى العراق في طلب النوق العسافيرية مهراً لعلبة، فهو يحن إلى أرض الشربة وإلى أهلها وتبيح أشواقه البروق وريح الأرض بنباتها الزاهي الأرج: (1)

أَرْضُ الشَّرْبَةِ شَعْبٌ وَوَادِي  
 يَحْلُونُ فِيهِ وَفِي نَاطِرِي  
 إِذَا خَفَقَ الْبَرْقُ مِنْ حَيْثُ  
 وَرِيحُ الْخُرَّامِي يُذَكِّرُ أَنْفِي  
 رَحَلْتُ وَأَهْلَهَا فِي فَوَادِي (2)  
 وَإِنْ أَبْعَدُوا فِي مَحَلِّ السَّوَادِ (3)  
 أَرَقْتُ وَبِتُّ حَلِيفَ الشُّهَادِ  
 نَسِيمَ عَنَارِي وَذَاتِ الْإِبَادِي

ويحن إلى الحبيبة ويتمنى خيالها:

أَيَا عَبْلُ مُنِّي بِطَيْفِ الْخِيَالِ  
 عَسَى نَظْرَةٌ مِنْكَ تَحْيَا بِهَا  
 عَلَى الْمُسْتَهَامِ وَطَيْبِ الرِّقَادِ  
 حُشَاةٌ مَيْتِ الْجَفَا وَالْبِعَادِ

ويصف عنتره هذا الوطن، أرض الشربة، وطيب أرضها، وعذب نسيمها، وأحبابه

الذين سكنوها: (4)

(1) ديوان عنتره ص 43، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1995.

(2) الشربة: موضع بين السلبلة والريذة وقيل: إذا جاوزت النقرة وملوان تريد مكة، وقعت في الشربة. معجم البلدان: الشربة.

(3) محل السواد: يريد سواد العين.

(4) الديوان ص 69.

أَرْضُ الشَّرْبَةِ تُرْبُهَا كَالعَنَرِ ونَسِيمُهَا يَسْرِي بِمِسْكِ أَذْقِرِ  
وقبائها تحوي بُدوراً طُلَعاً من كلِّ فاتنةٍ بطَرْفِ أَحورِ

ويذكر أيامه السعيدة في هذا الوطن الحبيب أيام كان فتى ينعم بخير هذا الوطن  
وخيره وجماله، وهو يسقي أرض وطنه بدموعه إذا ضن السحاب ولم يسق أرضه: (1)

يا منزلاً أدمعي تجري عليه إذا ضَنَّ السحابُ على الأطلالِ بالمطرِ  
أَرْضُ الشَّرْبَةِ كم قَضَيْتُ مُبْتَهِجاً فيها مع الغيدِ والأترابِ من وَطَرِ  
أيامٍ غُضُنُ شبابي في نُعومَتِهِ الهوبما فيه من زَهْرٍ ومن ثَمَرِ

وحب الأوطان عميق في نفس عنتره فهو مقرون بحب الأولاد، والحنين إليه  
كحنينه إلى الأولاد، والوطن مقرون بحب الحبيبة عبلة: (2)

أحرقنتني نارُ الجوى والبِعادِ بعدَ فقْدِ الأوطانِ والأولادِ  
شاب رأسي فصار أبيضَ لوناً بعدَ ما كانَ حالكاً بالسوادِ  
وتذكرتُ عبلةَ يومَ جاءتْ لوداعي والهَمُّ والوجدُ بادي  
وهي تُذري من خيفةِ البُعْدِ دمعاً مُسْتَهْلاً بلوعةٍ وسُهادِ

ويمر عمرو بن قميئة (ت 85 ق هـ) ومعه ابنته بأرض أهلها عند جبل ساتيدما،  
وتسأله عن الأرض والوطن، وهذا الوطن الذي تحن إليه هو وطنها ووطن أخوالها  
وأعمامها، ويحن هو إلى وطنه وأهله ولكنه يضم هذا الحنين ويجعل ابنته هي التي تحن،  
وهل يلومها أحد على هذا الحنين ؟ !: (3)

(1) ديوانه ص 69.

(2) ديوان عنتره ص 54.

(3) شعراء النصرانية قبل الإسلام ص 295.

قد سألتني بنتُ عمرو عن الأز  
لم أرأت سائيداً ما استعبرت  
ضَيْنَ إِذْ تُنَكَّرُ أَعْلَامُهَا  
للهِ ذُرُّ الْيَوْمِ مَن لَامُهَا<sup>(١)</sup>  
تذكَرَتْ أَرْضاً بِهَا أَهْلُهَا  
أَخْوَالُهَا فِيهَا وَأَعْمَامُهَا

وظل حنينُ الأعرابِ إلى الأوطان حنينَ الإبلِ إلى أعطانها، فهم في شوق دائمٍ إلى الأرض التي نشأوا بها، وفيها ملاعب صباهم ومرابح أهلِيهم، فإذا ذكروا ديارهم فاضت أعينهم بالدموع، يقول أحد الأعراب: <sup>(2)</sup>

إِذَا مَا ذَكَرْتُ الثَّغَرَ فَاضَتْ مَدَامِعِي  
وَأُضْحَى فُوَادِي تُهْبَةً لِلْهَاهِمِ<sup>(٣)</sup>  
حَنِيناً إِلَى أَرْضٍ بِهَا اخْضَرَ شَارِبِي  
وَالطَّفُ قَوْمٍ بِالْفَتَى أَهْلُ أَرْضِهِ  
وَأَرَعَاهُمْ لِلْمَرءِ حَقَّ التَّقَادِمِ

ويحن الشاعر إلى أرضه وأحبابه، ويتمنى أن يستقي شربة ماء شربت منه حبيته، وأن يلصق كبده بتلك الأرض الحبيبة إلى نفسه فهي الحب وهي الوطن، يقول نبهان بن عكّي العشمي: <sup>(4)</sup>

يَقْرُّ بَعِينِي أَنْ أَرَى مَن مَكَائِهِ  
وَأَنْ أَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَرِبَتْ بِهِ  
ذُرَى عَقْدَاتِ الْأَبْرِقِ الْمُتَقَاوِدِ<sup>(5)</sup>  
سُلَيْمِي وَقَد مَلَّ السُّرَى كُلُّ وَاحِدِ<sup>(6)</sup>  
وَأَلْحِصْتُ أَحْشَائِي بِبَرْدِ تَرَابِهَا  
وَإِنْ كَانَ مَخْلُوطاً بِسُمِّ الْأَسَاوِدِ

(1) سائيداً: جبل بين ميفارقين وسعرت. (ياقوت: معجم البلدان سائيداً.)

(2) رسائل الجاحظ 2/384، ابن المرزبان ص 43-44، المحاسن والمسائىء لليهقي 1/491، المحاسن والأضداد ص 121، حلية المحاضرة للحاتمي 1/390، زهر الآداب ص 684.

(3) الهاهم: الهواجس والكلام الخفي.

(4) رسائل الجاحظ 2/384، الكامل للمبرد ص 31، ابن المرزبان ص 36، زهر الآداب 940 ونسبت إلى حليلة الحضرية، أمالي القالي 1/63، عيون الأخبار 4/138، سمط الأليء ص 236.

(5) الأبرق المتقاود: التراكم من الرمل وفيه استطالة.

(6) الواخذ: السريع الخطو.

والشوق إلى الوطن يحتل مكانة كبيرة في شعر الشعراء، وقلما يخلو منه شعر شاعر وخاصة في العصور الجاهلية والأموية، فهذا الشاعر يشفق إلى أهله ويحن إلى دياره، وعنده أن لقاء أحبابه أطيب من العسل بباء المزن البارد: <sup>(1)</sup>

ألا يا حبذا وطني وأهلي      وصحبي حين يُذكرُ الصُّحَابُ  
بلاذٌ من غطارفةٍ كرام      بهم خلأً تميتي الشبابُ  
وما عسلٌ يباردُ ماءً مُزِنٍ      على ظمأٍ لشاربه يُشابُ  
بأشهى من لقاءكم إلينا      فكيف لنا به ومتى الإيابُ

ويشتاق الأعرابي إلى أرضه ووطنه ويحن إليه، ويذكر أنه ما من غريب إلا ويشفق إلى وطنه ويحن إليه، فهو يُبَلِّغُ ما يجب من أرضه السلام وخاصة جبل قطن: <sup>(2)</sup>

سَلِّمْ عَلَى قَطْنٍ إِنْ كُنْتَ تَأَلَّفُهُ      سَلَامٌ مِنْ يَهْوَى مَرَّةً قَطْنَا  
أَجِبْهُ وَالَّذِي أَرَسَى قِوَاعِدَهُ      حُبًّا إِذَا ظَهَرَتْ آيَاتُهُ بَطْنَا  
يَا لَيْتَهُ لَانْرِيمُ الدَّهْرَ سَاحَتَهُ      وَلَيْتَهُ حَيْثُ سَرْنَا غُرَبَةً مَعْنَا  
مَا مِنْ غَرِيبٍ وَإِنْ أَبَدَى تَجَلَّدَهُ      إِلَّا سَيَذْكُرُ بَعْدَ الْغُرَبَةِ الْوَطْنَا

(1) رسائل الجاحظ 2/400، ابن المزيان ص 47.

(2) المنازل والديار ص 219، الزهرة ص 269 ط الأباء اليسوعيين، بيروت 1932 معجم البلدان: قطن، تحرير التعبير

## غربة واغتراب الصعاليك

الغربة والاغتراب في المجتمعات كافة نتيجة طبيعية لتكوّن المجتمع من ثنائيات قسرية، فهناك أغنياء وفقراء، وضعفاء وأقوياء، وسادة وعبيد، والحواجز بين فئات المجتمع قاسية، ومن كان ذا إحساس مرهف وشاعرية، يجد الوحشة والوحدة القاسية في وطنه أو قبيلته، ومن ثم يكون الانفصام عن المجتمع، ومن الغربة ما تكون بسبب من تسلط نظام الحكم، أو غربة النفي والسجن، أو غربة اللون والجنس، أو غربة الفقر والسعي لكسب العيش، فيكون الاغتراب للتخلص من كل هذه القيود، فالغربة في الوطن، والغربة أو الاغتراب خارج الوطن. والغربة داخل الوطن أقسى أنواع الغربة فالغربة يقاسي من العزلة والتمزق والوحشة، وتزداد لوعة وألماً عند المفكرين والشعراء المرهفين.

وقد كان الصعاليك نتاجاً لخروجهم على أعراف القبيلة وتقاليدها وتسلطها، وكان كثير منهم من خلع وطُرد بسبب جنائياتهم وخروجهم على النظام القبلي، ومنهم كان يعيش الغربة داخل قبيلته ورضي بالعبودية، حرصاً على أهله وبناته من الذل والفقر إذا هجر القبيلة وتحرر من ظلمها، وذلك ما كان من حال سحيم عبد بني الحسحاس الذي يقول:<sup>(1)</sup>

لقد زاد الحياة إليّ حُبّاً      بناتي إئهنّ من الضعافِ  
مخافةً أن يدنقنّ البؤس بعدي      وأن يشربنّ رنقاً بعد صافِ  
وأن يعرّينّ إن كُسيّ الجوارِي      فتنبو العينُ عن كرمِ عجافِ

لقد عاش الصعاليك حياة خوف وفزع ووحشة واغتراب، يجوبون القفار وأيديهم على سيوفهم خوف الغارة والغدر ووحشة الصحراء، محرومون من الألفة والأمن لا

(1) ديوان سحيم ص 57، تحقيق عبد العزيز اليميني، دار الكتب المصرية، القاهرة 1950.

أهل ولا أنيس غير حيوان البر، وإذا كانوا قد حرموا من أنس الناس فهم يألفون وحش الصحراء ويعوضون وحشتهم يالْف الحيوان، وقد عبر عبيد بن أيوب العنبري عن غربته وتعويض وحوش البر عن الأهل والديار: (1)

أَذِقَنِي طَعْمَ الْأَمْنِ أَوْ سَلَّ حَقِيقَةً      عَلِيٍّ، فَإِنْ قَامَتْ فَفَصِّلْ بِنَانِيَا  
خَسَتْ فَوَادِي فَاسْتَطِيرَ فَأَصْبَحْتُ      تَرَامِي بِهِ الْبَيْدُ الْفِقَاؤُ تَرَامِيَا  
كَأَنِّي وَأَجَالَ الطَّبَاءِ بِقَفْرَةٍ      لَنَا نَسَبٌ تَرَعَاهُ أَصْبَحَ دَانِيَا  
رَأَيْتَ ضَمِيلَ الشَّخْصِ يَظْهَرُ مَرَّةً      وَيَخْفَى مِرَاراً ضَامِرَ الْجَسْمِ عَارِيَا  
فَأَجْفَلَنْ نَفْرًا ثُمَّ قُلْنِ: ابْنُ بَلَدِي      قَلِيلُ الْأَذَى أَمْسَى لَكُنَّ مُصَافِيَا

ويخاطب الأطباء ويجاورهن ويقص لهن أفعاله وسيرته على أنه واحد من هذا الجمع، فقد عاش عيشتهم، وأكل من طعامهم، وعرف الخوف والقتل والقتال منذ كان ابن عشرين: (2)

أَلَا يَا طِبَاءَ الرَّمْلِ أَحْسِنْ صُخْبِي      وَأُخْفِيَنِّي إِنْ كَانَ يَخْفَى مَكَانِيَا  
أَكَلْتُ عُرُوقَ الشَّرِي مَعَكُنَّ وَالتَّوَى      بِحَلْقِي تَوَزُّ الْقَفْرِ حَتَّى وَرَانِيَا (3)  
وَبِتُّ ضَجِيعَ الْأَسْوَدِ الْجَوْنِ بِالْغَضَا      كَثِيرًا وَأَثْنَاءَ الْحَشَاشِ وَسَادِيَا  
فَقَدْ لَاقَتِ الْغَزْلَانُ مِنِّي بِكَيْئَةٍ      وَقَدْ لَاقَتِ الْغِيلَانُ مِنِّي الدَّوَاهِيَا  
وَمَنْهَنَّ قَدْ لَاقِيْتُ ذَاكَ فَلَمْ أَكُنْ      جَبَانًا إِذَا هَوَّلَ الْجَبَانُ اعْتِرَانِيَا  
فَمَا زِلْتُ مُذْ كُنْتُ ابْنَ عَشْرِينَ حِجَّةً      أَخَا الْحَرْبِ مَجْنِيًّا عَلَيْهِ وَجَانِيَا

(1) أشعار اللصوص ص 164.

(2) أشعار اللصوص ص 165.

(3) الشري: الخنظل، أو شجره.

ويصف تأبط شرّاً حياة الصعلوك وما يقاسيه من تشرد وغربة ومغامرة دائمة في الصحاري بين الوحش، حيث الجوع والخوف وتوقع الموت في كل حين، يقول: (1)

قليل الأذخار الزاد إلا تعلّة  
بيتُ بمغنى الوحش حتى ألفته  
على غرّة أو جهرة من مكائس  
راين فتى لا صيد وحش يهته  
ولكنّ أرباب المخاض يشفهم  
وكيف أظنّ الموت في الحيّ أو أرى  
ولستُ أبيتُ الدهر إلا على فتى  
وإني - ولا علم - لأعلم أنّي  
ومن يُغرّ بالأبطال لا بُدّ أنّه

وقد نشز الشرسوف والتصق المعى (2)  
ويُضبح لا يجمي لها الدهر مرتعا  
أطال نزال الموت حتى تسعسعا (3)  
فلو صافحت إنساً لصافحته معا  
إذا اقتفروه واحداً أو مشيعا (4)  
الذّ وأنكرى أو أبيتُ مُقنعا  
أسلبه أو أذعر السرب أجمعا (5)  
سألقي سنان الموت يبرق أصلعا  
سيلقى بهم من مضرع الموت مضرعا (6)

وقد عاش الصعاليك في الصحارى مع الوحش وألفتهم الوحوش وألفوها، وأنسوا بها وفضلوها على بني جلدتهم الذين يطاردونهم، يقول عبيد بن أيوب: (7)

- (1) ديوان تأبط شرّاً وأخباره ص 115-119، جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر، ط دار الغرب الإسلامي 1984.
- (2) التعلّة: القليل من الطعام الذي يتعلل به ويسد به الرمق، الشرسوف: أحد أطراف أصلاص الصدر، التصق المعى: من شدة الجوع، أي انطواء البطن وضموها.
- (3) المكائس من الظباء الملازم لكتناسه، وهو الموضع في الشجر الذي يكتن فيه ويستتر. تسعسع: فني وذهب، أي أن الشاعر قد فني عمره وذهب شبابه وهو يطيل نزال الموت.
- (4) أرباب المخاض: أصحاب النوق الحوامل، يشفهم: يهزلهم، مشيعاً: له شيعة من صحبه.
- (5) يقول في البيتين: كيف أظن أنني أموت في الحي قاعداً ولست أبيت دائماً إلا مطارداً لفتى أسلبه سلاحه ومتاعه، أو مغيراً على إبل لقوم أذعرها وأسوقها غنيمه.
- (6) من يغر: أي يولع بمصارعة الأبطال فيصرعهم، لا بد له من يوم يصرع فيه.
- (7) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 134.

وحالفتُ الوحوشَ وحالفتني  
وأمسى الذئبُ يرصُدني حِشْشاً  
وغولا قفرةً ذكراً وأنثى  
بُقُزبِ عهودهنَّ وبالبعادِ  
لِحِقْفَةِ ضربتي ولصَّغفِ آدي<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ عَلِيَّهَا قَطَعَ الْجِبَادِ

ويخرج الشنفرى - حين ينكره قومه - إلى الصحراء مغترباً ويدعو أمثاله من الصعاليك إلى الخروج، ويجد في وحوش البوادي عَوْضاً عن الأهل، فهم الأهل والرفيق، يأمن بينهم من شرور أعدائه: (2)

أقيموا بني أمي صدورَ مطيكم  
فقد حمت الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ  
وفي الأرضِ منأى للكريمِ عن الأذى  
لعمرك ما بالأرضِ ضيقٌ على امرئٍ  
ولي دونكم أهلونَ سِيندٌ عمَّلسٌ  
هم الرهط لا مستودعُ السرِّ شائعٌ  
فلاني إلى قومِ سواكم لا مِيلُ  
وشدَّتْ لطيَّاتِ مطايا وأرحلُ  
وفيهَا لمن خافَ القلي مُتَعَزِّلُ  
سرى راغباً أو راهباً وهو يعقلُ  
وأرقتُ زُهلولٌ وعرفاءُ جِيَالُ<sup>(3)</sup>  
لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُخَذَلُ

ويأنس الأَحْيِمِرُ السعدي بالوحش لطول ألفته، ويتطير من صوت الإنسان: (4)  
عوى الذئبِ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى  
رأى الله أني للأنيسِ لشانئٍ  
وصوتُ إنسانٍ فكذتُ أطيئُ  
وتبغضهم لي مقلّةٌ وضميرُ

ويعلل كرهه للناس بسبب تفاوت الناس في الرزق، فأهل الثراء كثير فيضطر أن يغزو ليكون له مال، ويأنف أن يسأل لثام الناس:

(1) المخش: الجري. الأذ: القوة والأيد.

(2) ديوان الشنفرى ص 66-67.

(3) سيد عمَّلس: الذئب الخفيف. الأرقط: النمر. الزهلول: الخفيف اللحم. العرفاء: الضبع. الجيَال: اسم من أسماء الضبع.

(4) الشعر والشعراء ص 495.

وإني لأستحجي لنفسي أن أرى      أمراً بحبلٍ ليس فيه بعيرٌ  
وأن أسأل العبد اللئيم بعيره      وبُعْرانُ ربي في البلادِ كثيرٌ

وفلسفة الصعاليك أن يعيش أحدهم في الصحراء العريضة يعترض القوافل مقاتلاً وغانماً ومتحدياً الفقر بسلاحه، ولا يقعد في دار الفقر والمذلة، يقول أبو النشاش: (1)

وسائلة أين ارتحالي وسائلٍ      ومن يسأل الصُّغْلوكَ أينَ مذهبُه  
مذهبُه أن الفجّاج عريضةً      إذا ضنَّ عنه بالنوالِ أقارِبُه  
إذا المرء لم يسرخ سواماً ولم يُرخ      سواماً ولم ييسط له الوجهَ صاجِبُه  
فللموت خيرٌ للفتى من قُعودِه      عدياً ومن مولى تُعافُ مشارِبُه  
ودوية قفَرٍ يحارِبها القَطَا      سَرَتْ بأبي النُّشْناشِ فيها ركائبُه (2)  
ليُذركَ ثاراً أو ليكسِبَ مغنماً      ألا إنَّ هذا الدهرَ تترى عجائبُه  
فلم أرَ مثلَ الفقْرِ ضاجِعُه الفتى      ولا كسوادِ الليلِ أخفَقَ طائِبُه  
فِعش مُعزِراً أو مُت كريباً فإنني      أرى الموتَ لا يبقى على من يُطالِبُه

ويحث عروة بن الورد أصحابه على المغامرة وطلب الرزق الكريم بالسيف فلا يكون عالة على غيره من ذوي قرياه، ولا يقبل الذل، وخير له أن يسير في فجاج الأرض لطلب الغنى أو الموت الكريم: (3)

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه      شكَا الفقْرَ أو لآمَ الصديقَ فأكثرَا  
وصارَ على الأدينِ كلاً وأوشكت      صلاتُ ذوي القُرى له أن تنكرا

(1) الأغاني 12/ 201-202.

(2) الدوية: المغازة، وهي الصحراء الواسعة.

(3) ديوان عروة بن الورد شرح ابن السكيت ص 61-62، بعناية راجي الأسمر، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997.

وما طالب الحاجات من كل وجهة  
فيسر في بلاد الله والتوس الغنى  
من الناس الأمان أجدّ وشمراً  
تعش ذ يسار أو تموت فتعدراً

وحياة الصعاليك حياة غربة وتشرد وضياح وخوف، يتوقع الموت في كل حين فهو، مع

جرأته خائف حذر، وهو وحش حائر مذعور يترقب الشر في كل حين، يقول عبيد بن أيوب: <sup>(1)</sup>

لقد خفت حتى لو تمرّ حمامة  
وخفت خليلي ذا الصفاء وربني  
لقلتُ عدو أو طليعة معشر  
فأصبحت كالوحشي يتبع ما خلا  
وقيل فلان أو فلانة فاحذر  
وإذا قيل خير قلت هذي خديعة  
ويترك ما نوس البلاد المدعثر <sup>(2)</sup>  
وإن قيل شر قلت: حق فشمّر

ومها حاول الصعلوك أن يخفف من آلام الغربة بالانسجام في حياة الصحراء، وما في

الصحراء، فإنه يحن أبداً إلى الأهل والوطن، وتزداد آلام الغربة كلما تذكر الزوجة أو الحبيبة،  
وعاش في خياله بين الأهل والديار، فهذا الخطيم المحرزي (ت 100 هـ) يتمنى حياة الماضي

السعيد في ربوع الوطن، وقد بدأ قصيدته يستعطف قومه وهو مسجون بنجران: <sup>(3)</sup>

أبت لي سغد أن أضام ومالك  
وإن أدع في القيسية الشم يأتيني  
وحي الرباب والقبائل من عمرو  
قروم تسامي كلهم باذخ القدر

ويذكر حنينه وشوقه إلى الأهل والديار:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة  
وهل أهبطن روض القطا غير خائف  
بأعلى بلبي ذي السلام وذي السدر  
وهل أسمعن يوماً بكاء حمامة  
وهل أضحن الدهر وسط بني صخر  
تنادي حماماً في ذرى تنضب خضر

(1) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 142.

(2) المدعثر: الخصب والحير.

(3) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 58 - 59.

وهل أَرَيْنَ يوماً جيادي أقودها بذاتِ الشقوي أو بأناقها العُفْرِ

ولم يعدم شعر الصعاليك الذين أدركوا الإسلام من تأثر شعرهم بالإسلام،  
والإنابة إلى الله في وقت المحنة، وحين يستشعرون المنية وقرب الأجل، فهذا عبيد بن  
أيوب يسأل الله تعالى المغفرة: (1)

ياربُّ قد حلفَ الأعداءُ واجتهدوا أيامهم إنني من ساكني النارِ  
أجلفونَ على عمياءَ ويحُهمُ ما علمهم بعظيمِ العفوِ غفَّارِ  
إني لأرجو من الرحمنِ مغفرةً ومئةً من قوامِ الدينِ جبارِ  
وما أخافُ هلاكاً بينَ عفويهما وما يفوتُهما المستوهلُ الساري  
إني لأعلمُ أني سوفَ يترُكني صحبي رهينةً تُرَبِّ بينَ أحجارِ  
فرداً برايةً أو وسطَ مقبرةٍ تسفي عليَّ رياحُ البارحِ الذاري

ويسأل ربه العفو والغفران عما قدم من أعمال يوم لم يكن له عقل ولا دين: (2)

ياربِّ عفوكَ عن ذي توبةٍ وجِلِّ كأنهُ من حذارِ الناسِ مجنونُ  
قد كان قدَّمَ أعمالاً مقاربةً أيام ليس له عقلٌ ولا دينُ

وحين تضيق الحياة بالصعلوك أو اللص يلجأ إلى الله ويطلب العون والمغفرة،  
وكانت هذه حال جحدر بن معاوية المحرزي (ت حوالي 90هـ) حين كان سجيناً في  
سجن باليامة: (3)

إني دعوتُكَ يا إلهَ حميدِ دعوى فأوَّها لي استغفارُ  
لتجبرني من شرِّ ما أنا خائفُ ربِّ البريةِ ليس مثلكَ جارُ

(1) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 140 - 141 .

(2) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 160 .

(3) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 85 .

تقضي ولا يُقضى عليك وإنما ربي بعلمك تنزل الأقدار

ويحدث نفسه أن كل نفس إلى أجل، ومن الخير أن يدعو الله عالم السر والعلن، وما

سعادة المرء إلا بالنجاة من النار: (1)

يا نفس لا تجزعي إني إلى أمدي  
وما يُقربُ يومي من مدى أملي  
إني إلى أجلٍ إن كنتِ عالمةً  
لله أنتِ فإن يعصمك فاعتصمي  
إذعبيه سراً وناديه علانيةً  
وما السعادةُ في الدنيا لذي أملٍ  
وكلُّ نفسٍ إلى يومٍ ومقدارٍ  
فاقني حياءك ترحالي وتسيارٍ  
إليه ما منتهى علمي وآثاري  
وإن كذبتِ فحسبي الله من جارٍ  
والله يعلمُ إعلاني وإسراري  
إن السعيدَ الذي ينجو من النارِ

فهؤلاء الشعراء الصعاليك في أكثرهم مغتربون غربة اجتماعية وخارجون على

أعراف المجتمع وتقاليده ونظمه.

(1) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 88-89.

## غربة اللون

وهناك من كان اغترابه بسبب اللون أو النسب، فقد كان اللون سبباً من أسباب الغربة، وكثير من الصعاليك من أبناء الجوارى السود، وكان آباؤهم لا يعترفون بهم، أو لا يساؤونهم مع أبنائهم من أولاد الحرائر، وكثير منهم كان يُنسب لأمه وليس لأبيه، مثل: قيس بن الحدادية، وخُفاف بن نُذبة، والسليك بن السَّلَكة، وكان جُلُّ هؤلاء الصعاليك السود من الفرسان، وإن لم يكونوا أحراراً، من ذلك الفارس عنتره ولم يكن صعلوياً، ولكن مشكلته أنه ابن أمة سوداء ولونه أسود، فلم يكن حراً، وكان أبوه قد قال له في بعض الحروب وقد خشي قوة الأعداء وغلبتهم: «كُرْ وأنت حُرٌّ»، فأجابه: «إنَّ العبد لا يُحْسِنُ إِلَّا الحَلْبَ والصَّرَّ»، وكانوا حين يلجأون إلى قوته وفروسيته في الحروب ينادونه بابن الأَطايِبِ، وفي غير ها ينادونه بابن زبيبة، وقد صور هذه الحال في شعره حين يقول:

إنه لم يصبر على هذا الضيم لولا حبه لعبلة:<sup>(1)</sup>

ينادونني في السلم يابنَ زَبِيَّةِ      وعندَ صِدَامِ الخَيْلِ يابنَ الأَطايِبِ  
ولولا الهوى ما ذلَّ مثلي لمثلهم      ولا خضعتُ أَسَدُ الفِلا للثعالبِ  
سيدكرني قومي إذا الخيلُ أصبحت      تجولُ بها الفرسانُ بينَ المضاربِ

ولم يشفع لهؤلاء السود بياض خُلُقهم وطبيبتهم في مجتمع الأحرار، وهذا ما جعل سحيم عبد بنى الحسحاس يفاخر بخلقه وجودة شعره تعويضاً عن سواده وعبوديته:<sup>(2)</sup>

(1) ديوان عنتره العبسي ص 22، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1995، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي: عبده بدوي ص 218، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1988.  
(2) ديوانه ص 54-55 تحقيق عبد العزيز الميمني، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1950.

ليس يزري السواد يوماً بذِي اللُّـ      بٌ ولا بالفتى اللبيبِ الأديبِ  
إن يكن للسَّوادِ فيَّ نصيبٌ      فيأضُّ الأخلاقِ منه نصيبي

وكذلك يقول إن جودة شعره وكرم خلقه يشفعان له ويعوضان عن الأصل

والغنى ويكفيه أنه كريم حر النفس: <sup>(1)</sup>

أشعارُ عبدِ بني الحنْحَناسِ قُمنَ له      يومَ الفَخارِ مقامَ الأصلِ والوَرِقِ  
إن كنتُ عبداً فننفسِي حُرَّةً كَرَمًا      أو أسودَ اللونِ إنِّي أبيضُ الخُلُقِ

(1) الديوان ص 55



## الفصل الثاني

### الحنين والغربة في العصر الأموي

وكلما تقدم الزمن صارت صورة الوطن تتضح فيحن إليها الشاعر وهذا الحنين ليس وقفاً على الديار الدارسة كما هو الحال في أكثر الشعر الجاهلي، وإنما للوطن في سعته وشموله وجمال أرضه ومراعيه.

كانت جرهم في مكة تحكم أهل الكعبة، فتازعها بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وخزاعة، فقاتلوا جرهما وأخرجوها، فكان عمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض الأصغر الجرهمي يحن إلى مكة ويأسى على خروج قومه منها، ويتذكر أيامه العزيزة الجميلة فيها حيث العز والسلطان، فيشعر أنه الآن غريب عن وطنه:<sup>(1)</sup>

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا	أنيسٌ ولم يسنم بمكة سامرٌ
ولم يتربّع واسطاً فجنوباً	إلى السير من وادي الأراكه حاضراً
بلى نحن كئنا أهلها فأبادتنا	صروف الليالي والجدود العوائر
وأبدلنا ربّي بهادار غزبة	بها الجوع باد والعدو المحاصر
وكئنا ولاة البيت من بعدنا بت	نطوف بباب البيت والخير ظاهر
فأخرجنا منها المليك بقذرة	كذلك ما بالناس تجري المقادر
فصرنا أحاديثاً وكئنا بغبطة	كذلك عصمتنا السنون الغوائر
ويدلنا كعب بها دار غزبة	بها الذئب يعوي والعدو المكائر
فسحت دموع العين تجري لبلدة	بها حرم أمن وفيها المشاعر

(1) معجم البلدان: مكة 5/186.

ويهاجر المسلمون من مكة في الإسلام، ولكنهم يحنون إليها، ويتمنون العودة إليها، فهي الأرض والوطن وفيها بيت الله الحرام، كان ابن أم مكتوم عمرو بن قيس (ت 23 هـ) أخذاً بزمام ناقة رسول الله ﷺ وهو يطوف ويتغنى بحب مكة: <sup>(1)</sup>

يا جَبْذا مَكَّةَ من وادي أرصُ بها أهلي وعُوادي  
أرض بها ترسُخُ أوتادي أرصُ بها أمشي بلا هادي

وفي المدينة عند الهجرة أصابت الحمى أبا بكرٍ وبلالاً الحبشي، فكان أبو بكر (ت 13 هـ) إذا أخذته الحمى يقول: <sup>(2)</sup>

كلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ في أهلهِ والموتُ أدني من شراكِ نعلهِ

وكان بلال (بلال بن رباح الحبشي ت 20 هـ) إذا انقضت عنه الحمى يرفع عقيرته، يتغنى بأمانيه في البيت في مواضع بمكة ويشرب من مياه مجنّة، ويرى المواضع التي يحنُّ إليها: <sup>(3)</sup>

ألا ليت شعري هل أيتنَّ ليلةً بفُخٍ وعندي إذخِرٌّ وجليلُ  
وهل أردنُّ يوماً مياهاً مجنّةً وهل ييدونُ لي شامةً وطفيلُ

وهذا عروة بن حزام من شعراء صدر الإسلام (توفي سنة 30 هـ) يحنُّ إلى العراق حيث الحبيبة، وحنّ ناقته إلى اليمن وطنها، ويصور في مقابلة بين هواه وهوى ناقته ما يشعران من اللهفة والحنين إلى الوطن: <sup>(4)</sup>

(1) معجم البلدان: مكة 5/ 183، وانظر الحنين إلى الوطن: محمد حور ص 143.

(2) معجم البلدان: مكة 5/ 183.

(3) السابق والصفحة، فُخ: واد بمكة، وهو وادي الزاهر، الأذخر: الحشيش الأخضر الطيب الرائحة، الجليل: نبت الثمام، مجنة: بلد على أميال من مكة، شامة وطفيل: جبلان على نحو من عشرة فراسخ من مكة.

(4) شعر عروة بن حزام ص 12-13.

موى ناقتي خلفي وقُدَّامي الهوى      وأُنسي وإياها لمختلفان  
موايَ عراقيٍّ وتُنسي زمامها      لبرقٍ إذا لآح النجومُ يمان  
هواؤَ، أمامي ليس خلفي مُعَرَّجٌ      وشوقُ قلوصي في العُدُوِّ يمان

وعلى الرغم من تعقد الحياة نسبياً في العصر الأموي، وظهور الدولة بطابعها الإسلامي، وسلطان الخلافة الوراثية، إلا أن عوامل الحنين والغربة والاعتراب بقيت في مجملها شبيهة بالعصر الجاهلي، مع ازدياد أسباب الغربة، فبقي النزوح عن الأوطان، والرحيل في طلب الرزق، والهرب من ظلم الولاة وقسوتهم، والزواج في غير الأقارب، بالإضافة إلى الحروب التي كثرت إما بسبب الفتوح، أو الحروب الداخلية في الصراع على الخلافة وظهور الأحزاب.

وكثر الشعر الذي يذكر الغربة والاعتراب والحنين إلى الأهل والأوطان، وقلما نجد شاعراً يخلو ديوانه من ذكر الغربة والشكوى من النأي والبعد والشوق إلى الحبيبة والأهلين.

### دواعي الغربة

وكانت القبائل حين يمتنع الغيث ويقل الرزق، ترحل إلى أماكن الخصب، فيقصد شعراؤها السلاطين وأهل الغنى يمدحونهم أملاً في العطايا والهبات، وتتفرق القبيلة ويزداد الشوق والحنين إلى الأهل والأحباب، وتلدعهم آلام البعد والاعتراب، وكثيراً ما يصعب على القبيلة النازحة التلاؤم والانسجام مع البيئة الحضرية التي انتقلوا إليها فيألمون ويحنون إلى بيئاتهم التي ألفوها، وكان للفتوح الإسلامية التي جرفت كثيراً من المجندين الذين عاشوا في بيئات جديدة مختلفة عن بيئاتهم حيث الجبال والوديان والبرد واختلاف الألسنة والوجوه، كل ذلك كان مصدر حنين وشوق إلى بيئاتهم التي ألفوها، وكان من أسباب الغربة أيضاً الزواج في غير القبيلة والبعد عن الأهل والديار، أو خلع المتمردين

الخارجين على العرف والتقاليد، وكان للحروب والفتن الداخلية وما نتج عنها من تشتت وقسوة ويطش أثر في شعور الفرد بأنه غريب مطارد منبوذ، كل ذلك وغيره كان من أسباب الشعور بالغربة والاعتراب.

قلنا إن الفقر والحاجة من الأسباب التي دفعت الشعراء إلى الرحيل إلى الممدوحين أو الانتقال إلى الأقاليم التي يتواجد فيه الرزق والأمان، وقد دفعت الحاجة أبا دهبيل الجمحي (ت 63 هـ) أن يرحل إلى الري، فهو يذكر نزوحه وغربته وحنينه إلى دياره، ويشرك الحمام في شوقه وحنينه:<sup>(1)</sup>

أما للنوى من نية فتريحُ	أني كل عام غربة ونزوحُ
فهل أرينَّ البينَ وهو طليحُ	لقد طلع البين المُشْتُ ركائبي
فُنْحْتُ وذو البَثِّ الغريبُ ينوحُ	وأزقني بالريِّ نوحُ حمامةٍ
ونحسُّ وأسرابُ الدموعِ سفوحُ	على أئمانحت ولم تذرِ دمةً
ومن دون أفرأخي مهامةُ فيحُ	وناحت وفرخاها بحيثُ تراهما
وعُضُنْكَ مِآدَ فسيمَ تنوحُ	ألا يا حمامَ الأيكِ إلفكَ حاضرُ
بكيكُ زماناً والفؤادُ صحيحُ	أفئق لا تنح من غير شئٍ فإني
فها أنا أبكي والفؤادُ قريحُ	ولوعاً وشطتُ غربةً دارُ زينبِ
فتضحى عصا التسيارِ وهي طريحُ	عسى جودُ عبدِ الله أن يعكسَ النوى
وعُدْمُ الغنى بالمقترينَ طروحُ	فإن الغنى يُدني الفتى من صديقه

وتكون غربة الشاعر شديدة قاسية حين يتقل إلى بيئة أخرى تخالف بيئته، ولا يستطيع التكيف ولا نسيان أرضه ودياره، وهذا ما كان يعانيه عمرو بن أحر الباهلي (ت 65 هـ) حين رحل وعشيرته إلى شمالي الشام، وبقي غريباً متذمراً، ساءت حاله وحال من

(1) ديوان أبي دهبيل ص 76، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، ط النجف 1972.

معه بحيث صارت النساء يستجدين ويسألن الطعام، وقد بلين بالجوع والمرض، ويحن أبدأ إلى نجد وأهلها: (1)

فيا راكباً إمّا عَرَضَتْ فبَلَّغْنِ      قبائلنا بالأخزميين وجوزم (2)  
 وبلِّغ أبا الوجناء موعداً قومِهِ      بحزويت تظعن راغباً غير مُقَحِّمِ  
 نأت عن سبيلِ الخيرِ إلا أقلُّهُ      وعَضَّت من الشَّرِّ القَرَّاحِ بمُعْظَمِ  
 لِيَهْنِكُمْ أَنَا نزلنا ببلدةِ      كلا مَلَكُونِها مُنِيسٍ غيرِ مُنْعِمِ (3)  
 مُشِّي بأكنافِ البليخِ نساؤنا      أراملٍ يسطعونَ بالكفِّ والقَمِ (4)  
 نقائدُ بزسامٍ ومُحَمَّى وَحَضْبِيَّةِ      وجوعٍ وطاعونٍ ونَقْرٍ ومَغْرَمِ

وقد تكون غربة الشاعر بسبب الضغوط الاجتماعية، وعقدة اللون والعبودية، وذلك ما يتضح في غربة نصيب بن رباح (ت 108هـ) وكان أسود قبيحاً، فأراد التحرر من ربة العبودية فلم يستطع، ولكنه بعد لأي هرب إلى مصر والتجأ إلى عبد العزيز بن مروان فمدحه وتوسل إليه، وسعى عبد العزيز إلى تحريره، فعاد إلى أهله حراً مسروراً مرفوع الجبين، وقد بيّن في شعره حاله وعقدته وسبب غربته، يقول: (5)

وإن وراء ظهري يا ابن ليلي      أناساً ينظرون متى أؤوبُ  
 أمامة منهم ولأقبيها      غداةً البين في أثري غروبُ  
 تركت بلادها ونأيت عنها      فأشبه ما رأيت بها السلوبُ  
 فأتبع بعضنا بعضاً فلسنا      نُثيبك لكن الله المُثيبُ

(1) شعر عمرو بن أحمز، جمع وتحقيق حسين عطوان ص 152، ط مجمع اللغة العربية، دمشق د.ت.

(2) الأخرمان: جبلان في ديار بني باهلة .

(3) ملوياً: الملوان، الليل والنهار، أو الصبح والعشي.

(4) البليخ: نهر بالرقعة، البرسام اللداء والموت، النقر: الداء، المغرم: الدّين .

(5) شعر نصيب بن رباح، جمع وتحقيق داود سلوم ص 63، مطبعة الإرشاد، بغداد 1967 .

وصار بعدها يدفع عن نفسه وصمة اللون ويجعلها ميزة ومأثرة ما دام له لسان

مبدع ناطق وجنان جريء ثابت، يقول: (1)

ليس السوادُ بناقصي ما دام لي      هذا اللسانُ إلى فؤادٍ ثابتٍ  
من كان ترفعةً منابتُ أصلِهِ      فبيوت أشعاري جعلنَ منابتي  
كم بين أسودَ ناطقٍ بيانهِ      ماضي الجتانِ وبين أبيضِ صامتِ  
إني ليحسدُني الرفيعُ بناؤه      من فضلِ ذاكِ وليس بي من شامتِ

وقد تجبر الظروف القسرية على أن يعترب الشاعر كأن يقترف جريمة قتل وتلاحقه الدولة أو أهل القتل فيهرب معتصماً بالفيافي والقفار، وذلك ما كان من أمر القتال الكلابي (ت حوالي 110 هـ) الذي قتل رجلاً من قومه فهرب إلى نجد معتصماً بجبل عمياء، يقول: (2)

جزى الله عنا والجزاء بكفؤ      عمياءَ خيراً أم كل طريدِ  
فلا يزدهيها القومُ إن نزلوا بها      وإن أرسلَ السلطانُ كلَّ يريدِ  
محتني منها كلُّ عنقاءٍ عيطلٍ      وكلُّ صفا جمِّ القلاتِ كؤودِ

ويروى في هروبه وخروجه من ديار قومه أن القتال كان مختبئاً عند حبيب بن جبار، فبعث مروان بن الحكم بعثاً، فلما أتوا إلى حبيب، أخرج حبيب ابنته من الحجلة، وأدخل القتال فيها وألبسه ثيابها، ورفع الستر، فلما نظر القوم إلى المرأة استحيوا، ورجع القوم ونجا القتال، وفي ذلك يقول: (3)

ألا هل أتى فتیانَ قومي أنسي      تسميتُ لِمَا اشتدَّت الحربُ زينبا

(1) شعر نصيب ص 73.

(2) ديوان القتال الكلابي ص 45، تحقيق إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت 1961.

(3) الديوان ص 35، المحبر لابن حبيب ص 229.

## وأدينتُ جلبابي على نبتٍ لحيتي وأبديتُ للقوم البنانَ المخضبا

وقد تكون غربة الصعاليك واللصوص غربة بسبب السياسة والخروج على الدولة أو جور السلطان، وتكون الجبال والصحراء ملاذاً آمناً لهم، وهذا ما كان من أمر مالك بن الربيع (ت 60 هـ) الذي كان يجيّر حكام بني مروان بين أن ينصفوه أو أن يخرج عليهم، وأرض الله واسعة يغترب فيها وتتجيه من الذل وجور السلطان: (1)

فإن تنصفوا يا آل مروانَ نقترَبُ إليكم وإلا فأذنوا ببعادِ  
فإن لنا منكم مراحاً ومزحلاً بعيسٍ إلى ربحِ الفلاة صوادي  
وفي الأرضِ عن دارِ المذلَّةِ مذهبٌ وكلُّ بلادٍ أوطنتُ كبلادي  
فماذا عسى الحجاجُ يبلغُ جهدهُ إذا نحنُ جاوزنا حفيرَ زيادِ

وكذلك كان أمر عبيد الله بن الحر الجعفي (ت 68 هـ) الذي خرج على مصعب بن الزبير وكان يهدده بغارة شديدة بعد أن بلغه وعيد ابن الزبير: (2)

أتاني وعيدُ ابنِ الزبيرِ فلم أرغُ وما مثل قلبي بالوعيدِ يُروغُ  
فلا ترميني بالوعيدِ فلأنني سأتركُ ما تهوى وأنفكُ أجدغُ  
فإن أنا لم أسعطك غيظاً بغارةِ وأصدغُ ما قد كاد بالأمسِ يُزقعُ  
فلا وضعتُ عندي حصاناً قناعها ولا قادي للناسِ قلبٌ مُشيعُ  
ستعلمُ إن مالتُ بي الريحُ ميلاً عليك غداً أتى أوياكُ أجزعُ

(1) شعر اللصوص وأخبارهم ص 264.

(2) شعر اللصوص وأخبارهم ص 220.

## غربة الموت

وأشد ما يقاسيه المرء في غربته - سواء أكان صعلوكاً أم لم يكن - أن يموت غريباً فلا يذكره أحد ولا يدري به أهله وأحابيه، فلا تبكيه أم أو بنت أو زوجة أو عمّة، من ذلك غربة بشر بن أبي خازم (ت 22 ق هـ) الذي أصيب بسهم قاتل، فأسف أن يموت غريباً فغربة الموت شديدة قاسية، قال يخاطب ابنته: (1)

أسائلة عُمَيْرَةٌ عن أبيها	خِلَالَ الجَيْشِ تعرَّفُ الرُّكَّابَا
تُؤمِّلُ أنْ أووَبَ لها بِنْتَهِي	ولم تعلم بأنَّ السَهْمَ صابَا
فمن يك سائلاً عن بيتِ بشرٍ	فإنَّ له بجنْبِ الرِّذْوِ بابَا (2)
ثوى في مُلْحَدٍ لا بُدَّ منه	كفَى بالموتِ نأياً واغترابَا
رهيئْ بليّ وكلِّ فتى سبيلي	فأذري الدمعَ وانتحبي انتحابَا
مضى قصدَ السبيلِ وكلُّ حيٍّ	إذا يُدعى لِيَتَكَيَّهَ أجابَا

أما أبو الطمحان القيني (ت 30 هـ) فيتخيل كيف سيموت ويترك في لحده غريباً وحيداً، وتبكي عليه النساء، وتندبه الناديات وتنوح على قبره، ويتركه أصحابه ودموعهم تذري حزناً عليه، ويقول: ما ينفع بكأؤهم عليّ وقد تركوني وحيداً في لحد موحش: (3)

الأعلاني قبل نوح النوائح	وقبل ارتقاء النفس بين الجوائح
وبعد غدي يا كُفَّ نفسي على غدي	إذا راح أصحابي ولستُ برائح
إذا راح أصحابي تفيض عيونهم	وغودرتُ في لحدِ عليّ صفائح
يقولون: هل أصلحتُم لأحبيكم	وما القبرُ في الأرضِ الفضاءِ بصالح

(1) ديوان بشر بن أبي خازم ص 73-75.

(2) الردة: موضع في بلاد قيس، والبيت هنا: القبر.

(3) الحمامة البصرية 1/ 281.

وأكثر ما كان يستشعر ألم الغربة عند الموت مالك بن الريب (ت 60هـ)، الذي كان يحتضر ويعزُّ عليه أن يموت غربياً فلا يبكي عليه أحد، فهو يتحسر أن يدفن في الصحراء وحيداً لا يجزن عليه غير فرسه وسلاحه: (1)

تذكرتُ من يبكي عليّ فلم أجدُ  
وأشقرَّ محبوبكُ يجرُّ عنانَهُ  
يُقادُ ذليلاً بعدما ماتَ ربُّهُ  
ولكنْ بأكنافِ السُّمَيْنَةِ نسوةٌ  
صريعٌ على أيدي الرجالِ بقفرةٍ  
سوى السيفِ والرمحِ الردينيِّ باكياً  
إلى الماءِ لم يتركْ له الموتُ ساقياً  
يُباعُ ببخسٍ بعدما كان غالياً  
عزیزٌ عليهنَّ العشيَّةُ ما بيا  
يُسوونَ لحدي حيثُ حُمَّ قضاثيا

ويستشعر الغربة وحيداً في الصحراء بعد الموت فلا أحد يبكيه، فلو كان بالرمل بين أهله لبكته أمه وأبنتاه وخالته، أما زوجته فأشدهن بكاءً وفجيرة فبكاؤها يثير الباكيات:

أقلُّبُ طرفي حول رحلي فلا أرى  
وبالرملِ مِنَّا نسوةٌ لو شهَّدنني  
فمنهنَّ أمي وابتتاي وخالتي  
به من عيون المونساتِ مُراعياً  
بكينٍ وقدينَّ الطيبِ المداويا  
وباكيةٌ أخرى تُهيجُ البواكيا

وكل إنسان يضعف عند الموت، فحتى الشنفرى (ت 70 ق هـ) على توحشه في الصحاري وقوته وفروسيته، كان يبكي حيناً واغتراباً حين استشعر الموت ودنو الأجل، ويأسى أن يكون وحيداً في الصحراء لا يبكي عليه أحد، ويُقرُّ أن الموت حق لا بد أن يصيب كل مخلوق: (2)

ألا لا تلمني إن تشكيتُ خلتي  
شفاني بأعلى ذي الحميرة عذرتي

(1) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 293-294.

(2) ديوانه ص 99.

إذا ما أثنى ميتي لم أبُل بها      ولم تَذرِ خالاتي الدموعَ وَعَمَّتِي  
ولو لم أرمِ في أهلِ بيتي قاعدًا      إذنِ جاءني بينَ العمودينِ حُمَّتِي

### المرأة واغتتاب الرجل

يرحل الرجل طلباً للرزق، أو يلتحق بالجنـد الفاتح، وتبقى المرأة حزينة بائسة تشفق على زوجها ويلوعها الفراق، وتشاركه آلام الغربة والوحدة، وقد صور الشعراء ما تفعل الغربة بالمرأة وأبنائها، فهذه امرأة عبد الله بن الزبير الأسدي (ت 75 هـ) تشبث بزوجها، وتقطع كبدها لوعة الفراق: (1)

عشيبة قالت والركابُ مُناخَةٌ      بأكوارها مشدودة: أين تذهبُ  
أفي كلِّ مصرٍ نازحٍ لك حاجةٌ      كذلك (ما) أمرُ الفتى المتشعبُ  
فوالله ما زالت تُلبِثُ ناقتي      وتُقسِمُ حتى كادتِ الشمسُ تغربُ  
دعيني ما للموتِ عني دافعٌ      ولا للذي ولّى من العيشِ مطلبُ

وتشفق الزوجة على فراق زوجها وتحشى الغربة ومآسيها وأن يصيبه مكروه، ويدور بين الزوجين حوار شعبي ساعة الفراق، تمثل في قول طريح بن إساعيل الثقفي (ت 165 هـ) حيث يقول: (2)

تقولُ والعيسُ قد شُدَّتْ بأرْحُلِها      الحقُّ أنكِ مِنَّا اليومَ مُنْطَلِقُ ؟  
قلتُ نعم فاكظمي قالتُ وما جلدي      ولا أظنُّ اجتماعاً حينَ نَفْتَرُقُ  
فقلتُ إنَّ أخِي لا أطوِلُ بِعِادِكُمْ      وكيفَ والقلبُ رهنٌ عندكم عَلَقُ  
فارقْتها لا فؤادي من تَدَكَّرِها      سالي الهمومِ ولا حَبْلِي لها خَلَقُ

(1) شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، تحقيق يحيى الجبوري ص 50، ط وزارة الإعلام بغداد 1974.

(2) شعر طريح الثقفي ص 98، جمع وتحقيق بدر أحمد ضيف، ط دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1987، وانظر الاغتتاب

في الشعر الأموي ص 35.

فَأَصَتْ عَلَى إِثْرِهِمْ عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا  
 فَاسْتَبَقِي عَيْنَكَ لَا يُوَدِي الْبُكَاءُ بِهَا  
 كَمَا تَتَابَعُ يَجْرِي اللَّوْلُؤُ النَّسَقُ  
 وَكَأَنَّ بَوَادِرَ دَمْعٍ مِنْكَ تَسْتَبِقُ  
 لَيْسَ الشُّوونُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ  
 وَلَا الْجَفُونُ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ

ومن المشاهد المؤثرة مشهد توديع الأب المغترب وتعلق البنت بأبيها، وخوفها من المصير المجهول وبقاتها بعده غريبة وحيدة عاجزة مع أخوة صغار قاصرين ورضع يتوقون لحنو الأب، فالبنت تتعلق بأبيها وتحذره باكية من مغبة الرحيل، وما سيحل بهم من قطيعة القريب والغريب، ويقوم بينهما حوار مؤثر تحاول البنت أن تقنع أباها بالعدول عن الرحيل وأنهم يرضون بالرزق القليل، ولكن الأب عازم على الرحيل، ويجاوب أن يصبرها بأن لا بد من الخضوع للقدر المحتوم، هذه المشاهد المعبرة والمؤثرة يعرضها حاجب الفيل (ت 120) في قصيدة الوداع الأليم: (1)

أَرَأَتْ بَتِي بَأَنِّي مَزْمَعٌ  
 وَرَأَتْ رِكَابِي قُرْبَتْ لِرِحَالِهَا  
 بَتْرَحَلٍ مِنْ أَرْضِهَا فَمَوْدَعٌ  
 قَالَتْ وَعَزَبُ الْعَيْنِ مِنْهَا يَدْمَعُ  
 أَبْتَا أَتْرَكُنَا وَتَذْهَبُ تَائِهًا  
 فِي الْأَرْضِ تَخْفُضُكَ الْبِلَادُ وَتَرْفَعُ  
 فَيَضِيعُ صَبِيئَتِكَ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ  
 بِمُضِيمَةٍ فِي الْإِضْرِ لَمْ يَتْرَعَرَعُوا  
 فِيهِمْ صَغِيرٌ لَيْسَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ  
 وَصَغِيرَةٌ تَبْكِي وَطِفْلٌ يَرْضَعُ  
 إِنْ أَسْرَضِي مَا أَقَمْتَ بَعِيثِنَا  
 مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ نَجْوَعُ وَنَشْبَعُ  
 وَاللَّهُ يَرْزُقُنَا فَنَرْضَى رِزْقَهُ  
 وَكَفَى بِحُسْنِ مَعِيشَةٍ مَنْ يَقْنَعُ  
 إِذَا مَا غَبَتْ عَنَّا لَمْ نَجِدْ  
 مِمَّا تَخْلَفَ عِنْدَنَا مَا يَنْفَعُ  
 تَجْفُو مَوَالِينَا وَيَعْرُضُ جَارُنَا  
 وَقَرِينُنَا الْأَدْنَى يَعْزُّ وَيَقْطَعُ

(1) حاجب الفيل حياته وما تبقى من شعره، مجلة المورد المجلد 15، العدد الأول سنة 1986، ص 188، والاغتراب في

ونخاف أن نلقاك وشك منية  
فنصيرُ بعدك ليس يُزْفَعُ بيننا  
هذا الرحيلُ وأمرنا ما قد ترى  
فخُفْتُ من قول الصغارِ بعبرة  
وأجبتها: صبراً بنيةً واعلمي  
فُصِينَا الأمرُ الجليلُ المَفْطَعُ  
ويدلُّنا أعداؤنا ونُضَيِّعُ  
فمتى تؤوبُ إلى الصغارِ وترجعُ  
كأد الفؤادُ لقولهم يتصدعُ  
أن ليس يعدو يومه من يجزعُ

### غربة الجند الفاتح

ومن صور الغربة ما كان يعبر عنها الجند الذاهب في الفتوح في بلاد لم يعرفوها  
وبيئات لم يألفوها، وكان الجند الذاهبون في الفتوح في خراسان حيث الجبال والبرد  
والثلوج، يتذمرون ويحنون إلى ديارهم، يقول أعرابي يراد به أن يذهب إلى همدان: <sup>(1)</sup>

وكيف أجيب داعيكم ودوني  
بلاداً شكّلها من غير شكلي  
وأسماء النساء بها زنان  
وأقرب بالزنان من الزواني  
جبال الثلج مشرفة الرعان  
والسنها مخالفة لسانی

ويذكر المقاتلون غربتهم بهذه الأمكنة الأعجمية البعيدة التي لم يألفوها، ويغلبهم  
الحنين والشوق إلى أهلهم وأوطانهم، وقد أصيب بعض الجند الذين معهم، قال كثير بن  
عبد الله المعروف بابن الغريرة التميمي (ت 70 هـ) يرثي القتلى في الطالقان والجوزجان من  
بلاد خراسان في إمرة الأقرع بن حابس، ويذكر غربته وحنينه إلى الأهل والوطن: <sup>(2)</sup>

سقى مُزْنُ السحابِ إذا استهلَّتْ  
إلى القصرين من رُستاقِ خُوطِ  
وما بي أن أكونَ جزعْتُ إلا  
مصارعَ فتيةِ بالجوزجانِ  
أبادهمُ هناك الأقرعانِ  
حنينَ القلبِ للبرقِ اليماني

(1) معجم البلدان : همدان.

(2) الأغانى 11/ 279-281.

وبعد أن يتحدث عن المعارك وبطولته يحن إلى أهله، ويذكر ما يكون من أمر نسائه وبناته حين يعلمون بمصرعه في هذه الحروب النائية:

وتبكيّني نوائحُ مُعولاتٍ      تُرْكَنَ بدارِ مُعترِكَ الزمانِ  
جائسُ بالعراقِ مُنْهَنَهاتٌ      سواجي الطَّرْفِ كالْبِقْرِ الهِجَانِ  
أعاذلتيّ من لومِ دعائي      وللرَّشِدِ المُبَيِّنِ فاهديانِ

ويشكو ورد بن الورد الجعدي من بني كعب، الغربية في رامهرمز ويحن إلى دياره ويذكر أيامه وأصحابه في القلب الفرد من أيمن الحمى: (1)

أمغترِباً أصبحتُ في رامْهُرْمُزٍ ؟      ألاكُلُّ كعبيّ هناكَ غريبُ  
إذ أراحَ ركبٌ مُضْعِدُونَ فقلْبُهُ      مع المصعدينِ الرائحينِ جنيبُ  
وإنَّ القلبِيبَ الفزْدَ من أيمنِ الحمى      إليّ وإن لم آتِهِ لحيبُ  
ولا خيرَ في الدنيا إذا لم تُزْرَبْها      حبيباً ولم يطْرَبْ إليك حيبُ

وكثيراً ما يُستثار الغريب وتستعر هو واجسه، برؤية الطير الذي يشاركه الغربية ويشير أشجانه، يقول بعض الأعراب المغترين يناجي قمرية الوادي: (2)

أقْمَرِيَّةَ الوادي التي خانَ إلْفها      من الدهرِ أحداثٌ أتتْ وخطوبُ  
تعالِي أطارِحِكِ البُكاءِ فإننا      كلانا بَمَرِّو الشاهجانِ غريبُ

وقد أثار هذان البيتان إعجاب الحافظ الدمشقي مسعود بن الحسن (قدم مرو ومات بها سنة 543هـ) فأضاف إليها وقال يذكر غربته ويعجب للغريب كيف لا يموت شوقاً إلى أحبائه وصباية: (3)

(1) معجم البلدان: رامهرمز 3/ 17- 18.

(2) معجم البلدان: مرو 5/ 114.

(3) السابق والصفحة.

أجلاي إن أصبحتم في دياركم      فإني بمرور الشاهجان غريب  
 أموت اشتياقاً ثم أحيا تذكراً      وبين التراقي والضلوع هيب  
 فما عجب موت الغريب صباةً      ولكن بقائه في الحياة عجب

وعند مرو هذه يصاب مالك بن الريب (ت 60) وكان مع الجند الفاتح، وتشدت أوجاعه فيحضر ويشعر بدنو منيته غريباً مشوقاً متألماً، فيوصي صاحبي رحله أن يؤديا حق الميت من كفن ودفن، ويترك بعدها وحيداً في قبر ناء عن الأهل غريباً: (1)

ولما تراءت عند مرو منيتي      وخل بها جسمي وحانت وفاتي  
 أقول لأصحابي أرفعوني فإنه      يقرب عيني أن سهّل بدا لي  
 فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا      برابية إنني مقيم لياليا  
 أفيما عليّ اليوم أو بعض ليلة      ولا تعجلاني قد تبين شانيا  
 وقوما إذا ما استلّ روحي فهيتا      لي السدر والأفان ثم ابكياليا  
 وخطأ بأطراف الأسنّة مضجعي      ورذاً على عيني فضل ردائيا  
 ولا تحسداني بارك الله فيكما      من الأرض ذات العرض أن توسعيا  
 خذاني فجراني ببزدي إليكما      فقد كنت قبل اليوم صعباً قياديا

ويغلب الحنين والشوق هؤلاء المقاتلين، فيذكرون أوطانهم فهم لم يألفوا هذه البيئات التي تكثر فيها الثلوج، ويصف الناس كيف يسرون في البرد مقرورين، وأين من هذا بر العراق وخيره، يقول أحد الشعراء الذين سثموا الغربية وركبتهم العلل: (2)

وأرى بمرور الشاهجان تنكرت      أرض تتابع ثلجها المذرور  
 إذ لا ترى ذابزة مشهورة      إلا تحال بأنه مقرور

(1) أشعار اللصوص ص 294، معجم البلدان: مرو.

(2) معجم البلدان: مرو 5 / 115.

كلتا يديه لا تُزايِلُ ثوبَهُ      كلَّ الشتاءِ كأنه مأسورٌ  
أسفاً على بَرِّ العراقِ وبحره      إنَّ الفؤادَ بشجوهٍ معذورٌ

وغربة المقاتلين تزداد كلما قرب الشتاء الذي لا يستطيعون تحمله في بلاد العجم، فهذا مالك بن الربيع يسأل قائده سعيد بن عثمان أن يعجل بالقفول قبل هجمة الشتاء: (١)

هَبَّتْ سَمَالٌ خَرِيْقٌ أَسْقَطَتْ وَرَقاً      وَاضْفَرَّ بِالْقَاعِ بَعْدَ الْحَضْرَةِ الشَّيْخِ  
فَارْحَلْ هُدَيْتٌ وَلَا تَجْعَلْ غَيْمَتَنَا      ثَلْجاً يُصَفِّعُهُ بِالْتَرْمِذِ الرِّيحِ  
إِنَّ الشِّتَاءَ عَدُوٌّ مَا نَقَاتِلُهُ      فَاقْفِلْ هُدَيْتٌ وَثُوبُ الدَّفءِ مَطْرُوحٌ

وكان الشعور بالغربة يزداد سوءاً وتدمراً كلما بقي الجند زمناً طويلاً، وبخاصة إذا انقلب النصر إلى هزائم، وعمَّ القحط والجوع، بسبب ضعف القيادة وظلمها وبخلها وأنانيتها، وهذا ما يصوره أعشى همدان (ت 83 هـ) الذي كان ببلاد مكران ورتبيل: (٢)

أَسْمَعَتْ بِالْجَيْشِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا      وَأَصَابِهِمْ رَنِبُ الزَّمَانِ الْأَعْوَجِ  
حُبِسُوا بِكَابِلٍ يَأْكُلُونَ جِيَادَهُمْ      بِأَضْرَّ مَنْزِلَةٍ وَشَرُّ مُعَرِّجِ  
لَمْ يَلْقَ جَيْشٌ فِي الْبِلَادِ كَمَا لَقُوا      فَلَمَثَلِهِمْ قُلٌّ لِلنَّوَائِحِ تَنْشِيجِ

ويخاطب القائد السيء عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي (ت 79 هـ)، ويصف سوء تدبيره وجشعه بحيث صار يتاجر بأقوات الجند وميرتهم، فصار لنهمه ولؤمه سميناً قصيراً قبيحاً:

(1) فوح البلدان للبلاذري، تحقيق صلاح الدين المنجد 508/3 ط مكتبة النهضة المصرية 1957، أشعار للصوص

ص 261، وانظر الاغتراب في الشعر الأموي لفاطمة السريدي ص 20.

(2) ديوان أعشى همدان ص 93 تحقيق حسن أبو ياسين، ط دار العلوم، الرياض 1983، وكتاب الصبح المنير ص 317-

وَأَيَّتْ شَأْنَهُمْ وَكُنْتَ أَمِيرَهُمْ  
 مَازَلْتَ نَازِحَهُمْ كَمَا زَعَمُوا أَبَا  
 وَتَبِعَهُمْ فِيهِ الْقَفِيزَ بِلِذِّهِمْ  
 وَمَنَعْتَهُمْ أَلْبَانَهُمْ وَشَعِيرَهُمْ  
 وَتَهَكَّتْ صَرِيحاً بِالسَّيَاطِ جُلُودَهُمْ  
 وَالْأَرْضُ كَافِرَةٌ تُضَرِّمُ حَوْلَكُمْ  
 فَتَسَاقَطُوا جُوعاً وَأَنْتَ صُفْنَدَدٌ  
 فَأَضَعْتَهُمْ وَالْحَرْبُ ذَاتُ تَوَهُّجٍ  
 وَتَقْلُومٍ وَتَسِيرٍ سِيرِ الْأَمْوَجِ  
 فَيُظَلُّ جَيْشُكَ بِالْمَلَامَةِ يَتَّجِي  
 وَتَجَزَّتْ بِالْعَنْبِ الَّذِي لَمْ يَنْضَجِ  
 ظُلماً وَعُدْوَاناً وَلَمْ تَتَخَرَّجْ  
 حُرْبَاءَهَا يُوجَعَتْ وَلَمَّا تَنْتَجِ  
 شِعَانُ تُضْبِعُ كَالْأَبْدُ الْأَفْحَجِ<sup>(1)</sup>

ومن شعراء الفتح الذين ماتوا غرباء وهم يحنون إلى أوطانهم الصَّمَّة بن عبد الله القشيري (ت 95)، فقد خرج مع الجيش إلى بلاد الديلم، فمات في طبرستان، وذكر الأصفهاني رواية مؤثرة تروي موت الصَّمَّة: قال رجل من أهل طبرستان كبير السن: «بيننا أنا يوماً أمشي في ضيعة لي فيها ألوان من الفاكهة والزعفران، وغير ذلك من الأشجار، إذ أنا بإنسان في البستان مطروح عليه أهدام خُلُقَان، فدنوتُ منه، فإذا هو يتحرك ولا يتكلم، فأصغيتُ إليه، فإذا هو يقول بصوت خفيّ:»<sup>(2)</sup>

تَعَزَّ بِصِيرٍ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى  
 سَنَامَ الْجِمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ  
 كَأَنَّ فَوَادِي مَنْ تَدَكَّرَهُ الْجِمَى  
 وَأَهْلِي الْجِمَى يَهْفُو بِهِ رِيْشُ طَائِرِ

قال: فما زال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسه، فسألتُ عنه، فقيل لي: هذا

الصمة بن عبد الله القشيري».

(1) الضفندد: الضخم الأحمر، الأبد: المتباعد ما بين الفخذين لسمته، الأفحج: المائل القدمين.

(2) الأغاني 8/6، ديوان الصمة القشيري ص 98.

وروى جماعة من بني قُشير: أن الصَّمَّةَ خرج في غَزْيٍ من المسلمين إلى بلد السديلم فبات بطبرستان، وكان في غربته يشتاق إلى أهله ويحن إلى وطنه ويدعوه بالخير والسقيا التي تورث الخير: <sup>(1)</sup>

ألا تسألان الله أن يسقي الحمى      بلى فسقى الله الحمى والمطاليا <sup>(2)</sup>  
 وأسأل من لاقيت هل مُطِرَ الحمى      فهل يسألن عني الحمى كيفَ حاليا

وهكذا نجد أن الشعر الذي قيل في الغربية يمثل الحنين إلى الوطن، فأجسام هؤلاء المقاتلين والمغتربين في بلاد الغربية، ولكن أرواحهم وعواطفهم ومشاعرهم ووجودهم المعنوي كله، في أوطانهم وديارهم التي شهدت ولادتهم ونشأتهم ومرعى صباهم.

أما الجيل الثاني من أبناء هؤلاء فقد نشأوا في تلك الديار النائية عن الجزيرة العربية فتكيفوا وتأقلموا، وشعروا أن هذه البلاد الجديدة بلادهم فلم يشعروا بالغربة في حياتهم الجديدة.

ومن الشعر المؤثر الذي يمثل الغربية والحنين إلى الأوطان شعر عوف بن محلم الخزاعي (ت 220 هـ) <sup>(3)</sup>، كان مع طاهر بن الحسين في أسفاره وحروبه في الري، وكان طاهر يعتز بصحبته فهو أديب شاعر جيد المنادمة، وتوفي طاهر فلزمه ابنه عبد الله ولم يدعه يرجع إلى أهله في حرَّان أو رأس العين، وأغدق عليه العطايا، ولكن اغتراب محلم قد طال، وسمع حمامة تنوح فهَيَّجت أشجانه فقال: <sup>(4)</sup>

(1) الأغاني 7/6، ديوانه ص 137.

(2) الحمى: كل ما هو من أرض القبيلة. المطالي: أرض واسعة من بلاد أبي بكر بن كلاب. مراد الإطلاح، معجم البلدان: المطالي.

(3) هناك عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان من أشرف العرب في الجاهلية توفي سنة 45 ق هـ / 580 م وقد يخطئ بعضهم فيظنها واحداً.

(4) طبقات الشعراء لابن المعتز ص 187.

أفي كلِّ عامٍ غُرْبَةٌ ونزوحٌ  
لقد طَلَعَ البينُ المُشْتُ رِكاتِي  
وأزقني بالزُّيِّ نوحٍ حمَامَةٍ  
على أنها ناحت فلم تُرِ عَبرَةٌ  
وناحت وفرخاها بحيثُ تراهما  
ألا يا حمامَ الأبيك فرُحَكَ حاضرٌ  
عسى جودُ عبدِ الله أن يعكسَ النوى  
فإنَّ الغنى يُدني الفتى من صديقِهِ  
أما للنوى من ونيّةٍ فثريحٌ  
فهل أزيّنَ البينَ وهو طليحٌ  
فنحُتُ وذو اللبِّ الحزينِ ينوحُ  
وتُحُتُ وأسرابُ الدموعِ سُفوحُ  
ومن دون أفراسي مهامةٌ فيحُ  
وعُضُنُك مِيادٌ ففيمَ تنوحُ  
فتُضحِي عصا التَّنْسيارِ وهي طريحُ  
وعُدْمُ الغنى للمعسرينَ طروحُ

فاستعبر عبد الله بن طاهر ورقاً له لما سمع من تشوقه إلى أهله وبلده، وأذن له بالعودة إلى أهله وأكرمه غاية الإكرام. وقال عوف وهو يودع عبد الله بن طاهر ويذكر ضعفه وشيخوخته: (1)

يا ابنَ الذي دانَ له المشرقانُ  
إنَّ الثمانينَ - ويُلغَتها -  
وأبدلتني بالشطاطِ انحنا  
وعوّضتني من زَماعِ الفتى  
وألْبَسَ الأمانَ به المغربانُ  
قد أحوجتُ سمعي إلى ترجمانُ  
وكنْتُ كالصَّعْدَةِ تحتَ السَّنانِ (2)  
ومثهِ هَمُّ الهجينِ الهدانِ (3)

ويذكر حنينه إلى الوطن ويتذكر أيام الصِّبا، ويسأل الأمير أن يقربه من وطنه قبل

الموت:

(1) طبقات ابن المعتز ص 187 - 188.

(2) الشطاط: الاعتدال وحسن القوام الصعدة: القناة المستوية.

(3) الزماع: المضاء في الأمر. الهدان: الأحمق.

وهنّت بالأوطان وجداً بها      وبالعَواني أينَ مني العَوانُ  
فقرّيتني - بأبي أنتما -      من وطني قبل اصفرار البنانُ  
وقبلَ منعايَ إلى نسوةٍ      أوطانها حَرَّانُ فالرقمتانُ

ويدعو لقصور آل طاهر بالعمار والسقيا:

سقى قصورَ الشادياخ الحيا      من بعد عهدي وقصورَ الميانُ  
فكم وكم من دعوةٍ لي بها      أن تتخطأها صُروفُ الزمانُ

ثم ودّع عبد الله بن طاهر وخرج عوف فرحاً بالعودة إلى الوطن، ولكن هذه الفرحة لم تتم، فقد عاجلته المنية وهو في بعض الطريق، فلم يصل إلى أهله، واتصل الخبر بعبد الله، فاشتد ذلك عليه وجزع له.

وقد حفل العصر الأموي بشعر كثير يصور الاغتراب السياسي والاجتماعي، وإذا أردنا أن ندخل شعر الأحزاب السياسية كالخوارج والشيعية والزيدية والموالي، فسوف تتوسع دائرة الاغتراب وتتجاوز مفهومها، لأن شعر هؤلاء هو شعر سياسي، له موقف من السلطة، والشاعر في المفهوم الدقيق غير مغترب، لأنه منتمي إلى حزب أو فئة تؤمن بقضية، فهو ليس غريباً ولا مغترباً، ولذلك سنعدّل عن شعراء الأحزاب السياسية، ونقف عند الأفراد المغتربين بسبب ظلم السلطة أو الجوع والضياع، أو خلع القبيلة لبعض أفرادها الخارجين على عرف القبيلة، وقد انضم هؤلاء إلى مجموعة الصعاليك الذين يمثلون الغربة وعاشوا غربتهم القسرية. والصعلكة تمثل التمرد والخروج على الأعراف الاجتماعية والقبيلية التي تحد من حريتهم، وقد سعى الصعاليك إلى التحرر من السلطة، وكسروا الروابط والأعراف الاجتماعية، ووقف المجتمع بأعرافه وتقاليده ضد هذا التمرد والفوضى.

## شعر التظلم من السلاطين والولاة

وأكثر الشعر الذي يمثل الاغتراب في العصر الأموي هو صدى لتظلم السلطان وقسوة الولاة، فظهرت وطأة الظلم والتذمر في وقت مبكر من العهد الأموي، ففي زمن معاوية، جاء عقيبة بن هيرة الأسدي (ت 50 هـ) إلى معاوية وقدم له رقعة فيها هذه الأبيات:<sup>(1)</sup>

معاوية إننا بشرٌ فأسجج	فلسنا بالجبالِ ولا الحديدِ
أكلتم أرضنا وجذذتموها	فهل من قائمٍ أو من حصيد
فهبنا أمةً هلكت ضياعاً	يزيدُ أميرها وأبو يزيدِ
أطمعُ بالخلود إذا هلكننا	وليس لنا ولا لك من خلودِ
ذروا جُورَ الخِلافَةِ واستقيموا	وتأميرَ الأراذلِ والعبيدِ

وكان التذمر من السعاة، وهم عمال الصدقات، وقسوتهم وما ينزلونه بالناس من ضرب وجلد وتكبير، لاستخراج الأموال قسراً، وخاصة حين يكون جدد وعوز، صار الناس يعيشون في غربة وهم بين أهليهم وأوطانهم فقراء، وقد قيل: الفقير في الأوطان غربة.

ومن القصائد المؤثرة في الشكوى ووصف جور السعاة وأخذ أموال الناس عنوة بالتعذيب والتكبير والجلد بالسياط، قصيدة الراعي النميري (ت 90 هـ) التي كانت وثيقة شكوى يعرضها على عبد الملك بن مروان، يصور فيها ما فعل السعاة بقومه وأخذوا أموالهم ظلماً وعدواناً بما يخالف شرع الله، وقد أنزلوا بعريفهم صنوف العذاب فكلوه وجلدوه، وبقيت القبيلة في فقر وحزن وضياع، يقول:<sup>(2)</sup>

(1) العقد الفريد 1/50، 6/168-169، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1997.

(2) ديوان الراعي النميري ص 226-238، تحقيق راينهت فايرت، ط بيروت 1980.

أبلغ أمير المؤمنين رسالة  
من نازح كثرت إليك همومه  
طال التقلب والزمان ورأيت  
شكوى إليك مُطلَّةً وعويلا  
لو يستطيع إلى اللقاء سييلا  
كسلٌ ويكره أن يكون كسولا

ويعرض عليه أمر عشيرته وما أصابهم من جوع وسوء حال، وأنهم على العهد والطاعة مسلمون حنفاء، ولكن الظلم قد حاق بهم من ولاية الجور:

أولئ أمير الله إنا معشر  
عرب نرى الله في أموالنا  
قوم على الإسلام ما يمنعوا  
فادفع مظالم عيالت أبناءنا  
حنفاء نسجد بكرة وأصيلا  
حق الزكاة منزلاً تنزيلا  
ماعوتهم ويضيئوا التهليلا  
عنا وأنقذ شلونا الماكولا

ويصف له ما عمله السعاة بالقبيلة وعريفها من ظلم وتعذيب وتزوير، وأخذوا خيار المال والحيوان ولم يتركوا إلا العجاف، وكتبوا على القبيلة كتاباً باطلاً مزورة، فأصبحت في بؤس وسوء حال:

إن السعاة عصوك حين بعثتهم  
إن الذين أمرتهم أن يعدلوا  
أخذوا العريف فقطعوا حيزومه  
حتى إذا لم يتركوا لعظامه  
نسي الأمانة من مخافة لقع  
كتب الذهب وما تجمع حولها  
وغدوا بصكهم وأحدب أسارت  
من عامل منهم إذا عيبتة  
خرب الأمانة لو أخطت بفعله  
وأتوا دواعي لو علمت وغولا  
لم يفعلوا بما أمرت فتيلا  
بالأصبحية قائماً مغلولا  
لحمياً ولا لفؤاده معقولا  
شمس تركن بضبعه مجزولاً  
ظلاً فجاء بعذها مغدولا  
منه السياط يراعة إجفلا  
غالي يريد خيانة وغلولا  
لتركت منه طابقاً مفصولا

ويبدو أن هؤلاء السعاة الظلمة لم يكتفوا بأخذ خيار أموال القبيلة، وجعلوهم فقراء يتكفون، بل أخذوا عليهم صكوكاً على أنهم مدينون للدولة، فجعلوهم كالأرقاء يعملون ويتجون لغيرهم من المتسلطين:

كُتِبَ تَرَكْنَ غَنِينَا ذَا خَلَّةٍ      بَعْدَ الْغِنَى وَفَقِيرَنَا مَهْزُولَا  
أَخَذُوا حُمُولَتَهُ فَأَصْبَحَ قَاعِدَا      لَا يَسْتَطِيعُ عَنِ الدِّيَارِ حَوِيلَا  
كُهْدَاهِدٍ كَسَرَ الرُّمَاءُ جَنَاحَهُ      يَدْعُو بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ هَدِيلَا

ويبين للخليفة أنهم مسلمون صالحون يؤدون الزكاة بحقها، ولكن العمال يبالغون فيأخذون أموال القبيلة، وجعلوا الجميع بظلمهم فقراء لا يملكون شيئاً، وقد خالفوك فما بهذا أمرتهم، ولا بها أمر الإسلام: (1)

أَزْرَى بِأَمْوَالِنَا قَوْمٌ أَمَرْتَهُمْ      بِالْعَدْلِ فِينَا فَمَا أَبَقُوا وَمَا قَصَدُوا  
نُعْطِي الزَّكَاةَ فَمَا يَرْضَى خَطِيبُهُمْ      حَتَّى نُضَاعِفَ أضعَافًا لَهَا عُذْدُ  
أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حَلْوِيَّتُهُ      وَفَقَّ الْعِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبْدُ  
وَإِخْتَلَّ ذُو الْمَالِ وَالْمُثْرُونَ قَدْ بَقِيَتْ      عَلَى التَّلَاتِلِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عُقْدُ

ومثل قصيدة أبي حية في جودة عرضها لظلم السعاة وقسوتهم، قصيدة عمرو بن أحرر الباهلي (ت 65 هـ) الذي كتب يشكو عمال الصدقة وظلمهم، في عام كثر فيه الجذب وقل الرزق، وهو يخاطب يحيى بن الحكم بن أبي العاص والي المدينة لعبد الملك بن مروان، ويبين ما فعل بهم السعاة وما آل إليه أمرهم من الفقر والرغبة في الهجرة والشتات: (2)

يَا يَحْيَى يَا ابْنَ إِمَامِ النَّاسِ أَهْلَكُنَا      ضَرْبُ الْجُلُودِ وَعُسْرُ الْمَالِ وَالْحَسْرُ

(1) الديوان ص 64 - 65.

(2) شعر عمرو بن أحرر ص 103 - 107.

إِنَّ تَنْبُ يَا ابْنَ أَبِي الْعَاصِي بِحَاجَتِنَا  
 مَا تَرْضَى نَرْضَى وَإِنْ كَلَّفْتَنَا شَطَطاً  
 نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا مَا سَمِعْتَ أَسْمَعْنَا  
 إِنِّي أَعُوذُ بِمَا عَادَ النَّبِيُّ بِهِ  
 مِنْ مُتْرَفِيكُمْ وَأَصْحَابِ لَنَا مَعَهُمْ  
 فَإِنْ تَقَرَّرَ عَلَيْنَا جَوْرٌ مَظْلَمَةٌ

ويعرض لما فعل بهم السعاة من إذلال وظلم، وجلد الشيوخ حتى يعطوا المال

مكرهين، وسيؤول ذلك لاشك إلى خراب البيوت، وتشتت القبيلة وهجرتها:

يَكْسُونُهُمْ أَصْبَحِيَّاتٍ مُخَذَّرَجَةٌ  
 حَتَّى يَطْيَبُوا لَهُمْ نَفْساً عَلَانِيَةً  
 لَسْنَا بِأَجْسَادِ عَادٍ فِي طَبَائِعِنَا  
 وَلَا نَصَارَى عَلَيْنَا جَزِيَّةٌ تُسَكُّ  
 إِنَّ نَحْنُ إِلَّا أَنْاسٌ أَهْلُ سَائِمَةٍ  
 إِنَّ الشَّيْخَ إِذَا مَا أَوْجِعُوا ضَجَرُوا<sup>(١)</sup>  
 عَنِ الْفَلَاحِ الَّتِي مِنْ دُونِهَا مَكْرُوا  
 لَا نَأْلُمُ الشَّرَّ حَتَّى يَأْلُمَ الْحَجْرُ  
 وَلَا يَهُودَ طَعَاماً دِينُهُمْ هَدَرُ  
 مَا إِنْ لَنَا دَوْنَهَا حَرَّتْ وَلَا غُرُرُ

ويبين حال قومه وما نزل بهم من فقر وجذب، وما سيحل بهم من نفرة وهجرة

وكره للوطن، لما نزل بهم من ظلم السعاة وجورهم:

مَلُّوا الْبِلَادَ وَمَلَّتْهُمْ وَأَحْرَقَهُمْ  
 إِنَّ لَا تُدَارِكُهُمْ تُصْبِحُ مَنَازِلُهُمْ  
 أَدْرِكُ نِسَاءً وَشَيْئاً لَا قَرَارَ لَهُمْ  
 ظَلُمَ السَّعَاةِ وَبَادَ الْمَاءُ وَالشَّجَرُ  
 قَفَرًا تَبْيَضُّ عَلَى أَرْجَائِهَا الْحَمْرُ<sup>(٢)</sup>  
 إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيمَا قَد لَقُوا غَيْرُ

(1) الأصبيحات: السباط. المخرجة: محكمة القتل ملساء.

(2) الحمر: جمع حمرة وحمرة، وهي ضرب من الطير.

وكان للظلم الذي يمارسه الولاة، وسوء الإدارة والتعالي على الناس، وغمط الحقوق، أن جعل الناس ينفرون ويثورون، وكان من أثر ذلك أن كثرت التمردون من الصعاليك واللصوص وقطّاع الطرق، وهرب هؤلاء من السلطان وتغرّبوا وعاشوا حياة تشرد وتمرد، وخروج على العرف الاجتماعي، وقد صور مالك بن الربيب (ت 60 هـ) هذه الحالة وعبر عن رأيه بتحدى السلطان الذي يأخذ، والأخذ له حق، أما ما عليه فيمنع<sup>(1)</sup>:

أحقاً على السلطان أمّا الذي له فيعطى وأما ما يُراد فيمنع

ويبين أبو الفرج سبب خروج مالك بن الربيب على السلطان وتصعلكه، ثم توبته وذهابه مع لاجند الفاتح في خراسان، فيقول:<sup>(2)</sup> «وكان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الربيب إلى ناحية فارس، أنه كان يقطع الطريق هو وأصحاب له، منهم شظاظ وهو مولى لبني تميم، وكان أخبثهم، وأبو حردبة، أحد بني أئالة بن مازن، وغويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة، فساموا الناس شراً، وطلبهم مزوان بن الحكم، وهو عامل على المدينة، فهربوا، وكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحي، وعو عامله على بني عمرو بن حنظلة يطلبهم، فهربوا منه، وبلغ مالك بن الربيب أن الحارث يتوعده، فقال فيه قصيدة يستهين به، فبعث إليه الحارث رجلاً من الأنصار فأخذه، وأخذ أبا حردبة، فبعث بأبي حردبة وتخلف الأنصاري مع القوم الذين كان مالك فيهم، وأمر غلاماً له فجعل يسوق مالكا، فتغفل مالك غلام الأنصاري، وعليه السيف، فانتزعه منه، وقتله به، وشدّ على الأنصاري، فضربه بالسيف حتى قتله، وجعل يقتل من كان معه يميناً وشمالاً.

(1) أشعار اللصوص ص 275.

(2) الأغاني 22 / 289-293.

ثم لحق بأبي حَزْدَبَةَ فتخلَّصه، وركبا إبل الأنصاري، وخرجا فراراً من ذلك هارين، حتى أتيا البحرين، واجتمع إليهما أصحابهما، ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالك، فلم يزل بفارس حتى قدم عليه سعيد بن عثمان بن عفان فاستصحبه، وقال مالك في مهربه متحدياً السلطان والجور الذي أخرجته، ومعتصماً بغرْبته في البوادي والقفار: (1)

أحقاً على السلطان أما الذي له	فِيُعْطَى وَأَمَا مَا يَرَادُ فَيَمْنَعُ
إذا ما جعلت الرَّمْلَ بيني وبينه	وَأَعْرَضَ سَهْبٌ بَيْنَ بَيْرِينَ بَلْقَعُ (2)
من الأدمى لا يستجُمُّ بها القطا	تَكُلُّ الرِّياحُ دَوْنَهُ فَتَقَطُّعُ
فشانكم يا آل مروان فاطلبوا	سِقَاطِي فَمَا فِيهِ لِبَاغِيهِ مَطْمَعُ
وما أنا كالعَيْرِ الْمُقِيمِ لِأَهْلِهِ	عَلَى الْقَيْدِ فِي بَجْوَحَةِ الضَّمِيمِ يَرْتَعُ
ولا رسول الله أن كان منكم	تَبَيَّنَ مَنْ بِالنَّصْفِ يَرْضَى وَيَقْنَعُ

وكان مالك في غربته مع الصعاليك في جوف الصحراء غربياً مستوحشاً، ورغم ما يظهر من بطولة فهو خائف وجل يريد الأمن لو يستطيع، وكان في صحرائه وجلاً يتوقع الموت، فهو إما قاتل أو مقتول، يعبر عن وحشته واضطرابه، فهو في ليلة من الليالي كان نائماً، وكان لا ينام إلا متوشحاً بالسيف، فإذا هو بشيء قد جنم على صدره لا يدري ما هو، فانتفض مالك، فسقط عنه، ثم انتحى له بالسيف فقَدَّه نصفين، ثم نظر فإذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق في تلك الناحية، فقال مالك في ذلك: (3)

(1) الأغانى 22 / 289-293، أشعار اللصوص ص 275.

(2) بيرين: رمل لا تدرك أطرافه عن يعين مطلع الشمس من حجر اليمامة: معجم البلدان: بيرين. بلقع: جرداء.

(3) الأغانى 22 / 294-295، أشعار اللصوص ص 278-279.

أدلت في مهمو ما إن أرى أحداً  
 وضعت جنبي وقلتُ اللهُ يكلوني  
 والسيفُ بيني وبينَ الثوبِ مُشعَّرهُ  
 ما نمتُ إلا قليلاً نَفْتُهُ شَتْرًا  
 داهيةً من دواهي الليلِ بيَّتني  
 أهويتُ نَفْحاً له والليلُ سَاتره  
 لَأَنْتِي اللهُ عُنِي شَرَّ عَدَوْتِه  
 أما ترى الدارَ قفراً لا أنيسَ بها  
 بين المنيقةِ حيثُ استنَّ مدفعُها  
 وقد تقوُّلُ وما تُخفي لجارتها  
 من يشهد الحربَ يصلها ويُسعِرُها  
 خذها فإني لَصَّرَابٌ إذا اختلفتُ  
 حتَّى إذا حانَ تعريسُ لمن نزلنا  
 مهها تنم عنك من عينٍ فما غَفَلنا  
 أخشى الحوادثَ إني لم أكنُ وكِلا  
 حتى وجدتُ على جُثمانِي الثُقْلا  
 مجاهدًا يبتغي نفسي وما تحتلا  
 إلا توخيته والجُرسُ فانخزلا  
 رقدتُ لا مُتَبِّتًا دُغْرًا ولا بَعِلا<sup>(1)</sup>  
 إلا الوحوشُ وأمسى أهلها احتملا  
 وبينَ فردةٍ من وحشيتها قَبلا<sup>(2)</sup>  
 إني أرى مالك بن الربيب قد نحلا  
 تراه يَمَّا كسته شاحبا وجِلا  
 أيدي الرجالِ بضربٍ يَحْتَلُ البَطْلا

وما كانت الصعلكة والاغتراب طبيعة في نفس مالك، ولكن ما أحاط به من ضميم وظلم جعله يخرج، فلما أتت له الفرصة أن يعود إلى الحياة السوية عاد، وكان ذلك حين لقي سعيد بن عثمان في طريقه مع الجند إلى خراسان، قال له عثمان: ويحك تفسد نفسك بقطع الطريق! وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد، وفيك هذا الفضل! قال: يدعوني إليه العجز عن المعالي، ومساواة ذوي المروءات، ومكافأة الإخوان، قال: فإن أنا أغنيتك واستصحبتك، أتكفُّ عما كنت تفعل؟ قال: إي والله أيها الأمير، أكفُّ كفاً لم يكفُّ أحدٌ أحسن منه، قال:

فاستصحبه، وأجرى له خمس مائة درهم في كل شهر.<sup>(3)</sup>

(1) البعل: الخائف، والدهش عند الروع.  
 (2) المنيقة: ماء لبني تميم على فليح بين نجد والبيامة، استن: وضع، فردة: جبل في ديار طيء يقال له فردة الشمس. معجم البلدان: المنيقة، فردة.

(3) الأغانى 22 / 288-289.

## ومن عانى الحنين والغربة من شعراء العصر الأموي

من أولئك هدية بن الخشرم العذري (ت 50 هـ)، الذي قاسى الغربة واستبد به الحنين في هذا العصر، كان هدية قد أودع السجن لقتله ابن عمه وقد كانا في رحلة وصار كل منهما يجذو ويتغزل بأخت الآخر، فتنازعا وتقاتلا، وكان مصيره السجن بانتظار أن ينزل به القصاص، فهو يشكو الغربة، ويشتاق إلى الأهل والعودة إلى وطنه بعد غربته القاسية في السجن بانتظار الموت، ويمني نفسه النجاة: <sup>(1)</sup>

عسى الكَرْبُ الذي أمسيتُ فيه      يكونُ وراءَهُ فَرَجٌ قريبُ  
فيأمن خائفٌ ويُفكُّ عانٍ      ويأتي أهلهُ النَّائي الغريبُ  
ألا ليت الرياحَ مسخَّراتُ      بحاجتنا ثباكِزُ أو تَووبُ  
فتُخبرنا الشَّمالُ إذا اتَّنا      ونُخبرُ أهلنا عَنَّا الجنوبُ  
فإنَّنا قد حلَّلنا دارَ بلوى      فتُخطِّبنا المنايا أو تُصيبُ  
فإن يكُ صَدْرُ هذا اليومِ ولى      فإنَّ غداً لناظره قريبُ

والغربة مقرونة بالموت بعيداً عن الأهل والوطن في شعر مالك بن الربيع (ت 60 هـ)، فقد أصيب مالك وهو قافل من خراسان مع الجند الفاتح وصار يحتضر ويتنظر المنية، ويتخيل كيف يكون حاله حين يغادر أصحابه ويترك وحيداً، وماذا يكون من أمر أهله حين يصلهم النعي، وكيف سيبقى وحيداً في حفرته بعيداً عن وطنه وأهله: <sup>(2)</sup>

غريبٌ بعيدُ الدارِ ثاوٍ بقفرةٍ      يدُ الدهرِ معروفاً بأن لا تدانِيا  
تحمّل أصحابي عشاءً وغادروا      أخا ثقةً في عَزْصَةِ الدارِ ثاوريا  
أقلُّبُ طرفي حولَ رحلي فلا أرى      به من عيونِ المُنْسانِ مُراعِيا

(1) شعر هدية بن الخشرم ص 59-60، تحقيق يحيى الجبوري، ط دار القلم، الكويت 1980

(2) ديوان مالك بن الربيع، ضمن شعراء اللصوص ص 297.

وبالرمْلِ مَنَّا نَسوَةٌ لَوْ شَهِدْتَنِي  
 وما كان عهدُ الرمْلِ عِنْدِي وأهْلِي  
 بكَيِّنَ وَفَدَّيْنِ الطَّيِّبِ المَدَاوِيَا  
 ذَمِيًّا وَلَا وَدَّعْتُ بِالرَّمْلِ قَالِيَا  
 وَمَنَّهُنَّ أُمِّي وَابْتَاهَا وَخَالَتِي  
 وَبَاكِيَةٌ أُخْرَى تَهِيْجُ البَوَاكِيَا

ويحفل شعر العشاق العذريين بالوجد والشوق والحنين ومقاساة الغربة والاعتراب في ديارهم وبين قومهم، وفي نفيهم وبعادهم، وكان قيس بن الملوح (ت 68 هـ)، أكثر الشعراء الذين قاسوا من الغربة، وحفل ديوانه بالشكوى من حيرته واعتراجه، ولشدة ما يشعر من غربته في قومه يكرر في شعره كلمة غريب: (1)

أَظَلُّ غَرِيبَ الدَّارِ فِي أَرْضِ عَامِرٍ  
 أَحَبُّ هَبوْطِ الوَادِيَيْنِ وَإِنِّي  
 أَلَاكُلِّ مَهْجورِ هِنَاكَ غَرِيبُ  
 لِمَشْتَهَرِ الوَادِيَيْنِ غَرِيبُ  
 وَمَسْتوحشٍ لَمْ يُنْمَسِ فِي دَارِ غُرْبَةٍ  
 فَلَا تَحْسَبِي أَنَّ الغَرِيبَ الَّذِي نَأَى  
 وَلَكِنَّهُ مَمَّنْ يَوَدُّ غَرِيبُ  
 وَلَكِنَّ مَنْ تَنَائَنَ عَنْهُ غَرِيبُ  
 يُنَادِي مَنْ يُحِبُّ فَلَا يُجِيبُ  
 فَوَادِي بَيْنِ أَضْلَاعِي غَرِيبُ

ويقول في قصيدة ثانية:

وَمَغْتَرِبٍ بِالْمَرْجِ يَبْكِي بِشَجْوِهِ  
 أَبْقَى أَسِيرِ الحَبِّ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ  
 وَقَدْ غَابَ عَنْهُ المَسْعُدُونَ عَلَى الحَبِّ  
 وَحَادِيكُمْ يَحْدُو بِقَلْبِي فِي الرُّكْبِ

ويقول في قصيدة ثالثة:

فَلِي قَلْبٌ مَحْزُونٍ وَعَقْلٌ مُدَلَّلٌ  
 وَوَحْشَةٌ مَهْجورٍ وَذُلٌّ غَرِيبٍ

فالمجنون غريب في أرض بني عامر، وغريب في تشرده، وغريب في وحدته وتجواله، فغربته غربة لها دلالات نفسية، فهو يشعر بالغربة وهو بين أهله، ويلتجىء إلى

(1) ديوانه ص 55، 54، 52، 61، 63، 77، 81 على التوالي، تحقيق عبد الستار فراج، ط مكتبة مصر 1965.

الصحاري والجبال ليشعر بالطمأنينة ونفي الاغتراب، وقد ذكر له الأصفهاني في كتاب الأغاني مقطعات من شعره يشكو فيها آلام الغربة والحزن إلى ليل وديارها، وما يقاسيه في البعد عنها، فهو يحس أنه طريد غريب يائس مبعّد عن حبيبته التي منته الأمانى ثم صدت عنه وحققت بذلك شاة عذاله وأعدائه: (١)

وأفردتُ إفرادَ الطريدِ وباعدتِ	إلى النفسِ حاجاتٌ وهُنَّ قريبُ
لئنْ حالَ يأسٌ دونَ ليلٍ لرُبما	أتى اليأسُ دونَ الأمرِ فهو عصبُ
ومَنِّيَتني حتى إذا ما رأيتني	على شرفٍ للناظرينَ يُريبُ
صدَدتِ وأشمتَّ العدوَّ بصُرْمنا	أثابكِ ياليلي الجزاءَ مُنِيبُ

ويخاطب في قصيدة أخرى حبيبته ليلي ويصف حاله من السوء والمرض ولم يُسقي حُبها فيه إلا الجلدَ والعَظْمَ، ثم يستعطفها أن تعدّه وعداً فقلو هذا الوعد منها هموم قلبه، وإن بليتة في هذا الحب لا تشبه بلية أحد قبله: (٢)

لقد عارضتنا الريحُ منها بنفحةٍ	على كيدي من طيبِ أرواحها بَرْدُ
فما زلتُ مغشياً عليّ وقد مضت	أناةٌ وما عندي جوابٌ ولا رَدُّ
أقلبُ بالأيدي وأهلي بعولةٍ	يُفدُونني لو يستطيعونَ أن يفدوا
ولم يبقَ إلا الجلدُ والعَظْمُ عارياً	ولا عَظْمَ لي إن دامَ ما بي ولا جلدُ

ويخاطبها ويستجدي منها وعداً يذهب عنه غربته ويكشف كربته:

أدنيائي مالي في انقطاعي وغُرْبتي	إليك ثوابٌ منك دَيْنٌ ولا نُقْدُ
عديني - بنفسِي أنتِ - وعداً فرُبما	جلا كُرْبَةَ المكروبِ عن قلبه الوعدُ
وقد يُبتلى قومٌ ولا كِبَيْتني	ولا مثلَ جدِّي في الشقاءِ بكم جدُّ

(1) الأغاني 2 / 58 - 59.

(2) الأغاني 2 / 59 - 60.

غَزَنِي جَنُودَ الْحُبِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِذَا حَانَ مِنْ جُنْدٍ قُفُولٌ أَتَى جُنْدُ

واشتد به الحب حتى ذهب عقله فهمام في الصحاري، ولا يدري أين هو، ويسأل عن التوباد: أين هو؟ وللتوباد في نفسه مكان هو الحياة، يقول أبو الفرج: «لأن المجنون كان وليلى وهما صبيان يرعيان غنماً لأهلها عند جبل التوباد، فلما ذهب عقله وتوحش، كان يجيء إلى ذلك الجبل فيقيم به، فإذا تذكر أيامَ كان يُطيفُ هو وليلى به، جزع جزعاً شديداً واستوحش فهمام على وجهه حتى يأتي نواحي الشام، فإذا تاب إليه عقله رأى بلدأ لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم: بأبي أنتم، أين التوباد من أرض بني عامر؟ فيقال له: وأين أنت من أرض بني عامر! أنت بالشام عليك بنجم كذا فأمه»، وهكذا يهيم في البراري حتى يقع في أرض اليمن، فيسأل عن التوباد فيرشدونه بالاهتداء بالنجوم، حتى إذا بلغ التوباد أجهش وصار يناديه ويشكو إليه حاله وغرته وما نزل به من الهيام والضياح ويتخيل أن الجبل يجاوره: (1)

وَأَجْهَشْتُ لِلتُّوبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ      وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَى  
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لِمَا عَرَفْتُهُ      وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي  
فَقُلْتُ لَهُ قَدْ كَانَ حَوْلَكَ جِيرَةٌ      وَعَهْدِي بِذَلِكَ الصَّرْمِ مِنْذُ زَمَانٍ  
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادِهِمْ      وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ  
وَإِنِّي لِأَبْكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذْرِي غَدًا      فِرَاقَكَ وَالْحَيَانَ مَجْتَمَعَانِ  
سَجَالًا وَتَهْتَانًا وَوَيْلًا وَدِيمَةً      وَسَحًّا وَتَسْجَامًا إِلَى هَمْلَانِ

وحين يكون الشاعر غريباً عن الأهل والوطن يشتد حنينه وتستعر أشواقه إلى وطنه ومرتع صباه، فيتمنى أن يرجع إلى الحمى، ويزداد شوقه وحنينه وبكاؤه إذا كان جريحاً محتضراً يعاني سكرات الموت وهو غريب في خراسان، كما كان حال مالك بن الربيع (ت

60 هـ) الذي يمن إلى وادي الغضى، ويكرر ذكره مرات في قصيدته متمنياً أن يقضي فيه ولو ليلة واحدة: (1)

ألا ليت شعري هل أبيتَ ليلةً      بجنبِ الغضى أزجي القلاصَ النواجيا  
فليت الغضى لم يقطعِ الركبُ عَرَضَهُ      وليت الغضى ماشا الركابَ لياليا  
لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى      مزارٌ ولكنَّ الغضى ليس دانيا

ويشتد الحنين بعروة بن جانيء العجلاني أو قيس بن الملوح (ت 68 هـ) إلى الحجاز وإلى أحبابه في نجد، وهو ملتحق شوقاً وقلبه في وجيب دائم وعينه تذرّفان الدمع هوىً وحينئذ إلى من يحب في تلك الديار: (2)

أحنُّ إلى أرضِ الحجازِ وحاجتي      خيامٌ بنجدٍ دوّما الطَّرْفُ يقصُرُ  
وما نظري من نحو نجدٍ بنافعي      أجل لا ولكني على ذاك أنظرُ  
أفي كلِّ يومٍ نظرةً ثم عَبرةً      لعينيك يجري ماؤها يتحدَّرُ  
متى يستريح القلبُ إمّا مجاورٌ      حزينٌ وإمّا نازحٌ يتذكَّرُ

وبعد مشهد الفراق والوداع المؤثر الحزين الممزوج باللهفة والدموع يذكر شوقه وحنينه - وهو في مصر مبعداً - إلى وطنه ووطن حبيبته في وادي القرى، ويتمنى أن يبست فيه ولو ليلة واحدة، يقول - كما قال مالك بن الربيع - وكبده تتقطع شوقاً ولهفة:

ألا ليت شعري هل أبيتَ ليلةً      بوادي القرى إنِّي إذن لسعيدُ  
وهل ألقين سُعدى من الدهرِ مرّةً      وما رث من جبل الصفاءِ جديدُ  
وقد تلتقي الأهواء من بعدِ يأسٍ      وقد تُطلب الحاجاتُ وهي بعيدُ

(1) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي 2/ 759-760، تحقيق محمد علي الهاشمي، ط الرياض 1981.

(2) الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان ص 44، معجم البلدان: نجد، الحماسة البصرية 2/ 135 لعروة العجلاني، ولمجنون ليل

في ديوانه ص 126، الزهرة 1/ 203 دون عزو.

وكان فراق الأهل والصحب والوطن غصة في حلق الشعراء، وألماً شديداً يعانون منه والفراق عليهم صعب، دونه الموت، فهم يذرفون الدمع السخي عند الوداع، يقول مجنون ليلي: (١)

وإني لمُفْنِ دمعَ عيني من البُكا      حذاراً لأمرٍ لم يكن وهو كائنُ  
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلاً      فراقٌ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائنُ  
وما كنتُ أخشى أن تكون منيتي      بكفِّي إلا أن ما حانَ حائنُ

ويشتاق ابن مفرغ الحميري (ت 69 هـ) إلى حبيبته جمانة ويستثيره البرق اليباني فيحن إلى ديارها وأيامه وإياها، ويذكر المواطن التي نعم بها معها، ويحن للماضي السعيد فيبكي شوقاً وحناناً، ويتحاور وصاحبه عن الحبيبة وديارها والماضي السعيد: (٢)

سما بزقُ الجمانَةَ فاستطارا      لعلَّ البرقُ ذاكُ يحورُ ناراً  
قعذتُ له العشاءَ فهاجَ شوقي      وذُكرني المنازلَ والدياراً  
دياراً للجمانَةَ مقفراتٍ      بليّنَ وهجنَ للقلبِ أدكاراً  
فلم أملكُ دموعَ العينِ مني      ولا النفسَ التي جاشتَ مراراً  
فسرَّقَ فالقرى من صَهْرَتاجٍ      فدَيّرَ الراهبِ الطلّكَلِ القفاراً  
فقلتُ لصاحبي عَرِّجْ قليلاً      تُذاكِرُ شوقنا الدُّرسَ البواراً  
بأيةِ ما عَدّوا وهمُ جميعُ      فكادَ الصَّبُّ يتجرُّ انتحاراً  
فقال بگوا لفقْدِكَ مُنْذُ حينٍ      زماناً ثم إنَّ الحيَّ ساراً  
بدجلةً فاستمَرَّ بهم سفينُ      تَشُقُّ صُدورَها اللُّجَجَ الغباراً  
كانَ لم أغنَ في العرصاتِ منها      ولم أذعُرْ بقاعَتِها صواراً

(1) السابق والصفحة.

(2) ديوان ابن مفرغ الحميري ص 130-133، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، ط 3 مؤسسة الرسالة، بيروت 1993.

ولم أسمع غناءً من خليلٍ مُقَرَّطٍ خَلَعَ العِذارا

وكان عمرو بن الوليد بن عقبة المعروف بأبي قطيفة (ت 70 هـ) قد نفاه عبد الله ابن الزبير مع من نفى من بني أمية عن المدينة إلى الشام، فلما طال مقامه بالشام صار يحن إلى المدينة ويتمنى العودة إلى مرابع عزه وصباه: (1)

ألا ليت شعري هل تغيرَ بعدنا قباءٌ وهل زالَ العقيقُ وحاضِرَةٌ  
وهل برّحتْ بطحاءُ قبرِ محمدٍ أراهطُ عُرٌّ من قريشٍ تُباكرَةٌ  
لهم مُنتهى حُبِّي وصفوُ مَوَدَّتِي ومَحضُ الهوى منِّي وللناسِ سائِرَةٌ

ويكثر شوقه وحنينه إلى المدينة ويذكر مواضعها ويسأل عما حلَّ بها بعد فراقها، ويتمنى لو عاد إليها، وإذا لمح برق سحابة تلمع ناحية الحجاز تحركت أشجانه شوقاً إليها، ولكن هيهات فقد أُخْرِجَ منها قسراً وهو بالشام غريب وقلبه متعلق بالمدينة: (2)

ألا ليت شعري هل تغيرَ بعدنا جُبُوبُ المصلى أم كعهدي القرائنُ  
وهل أذوُرُّ حولَ البلاطِ عَوايمِرُ من الحَيِّ أم هل بالمدينة ساكنُ  
إذا برّقتْ نحوَ الحِجازِ سحابةٌ دعا الشوقُ مني برّقتها المتيامنُ  
فلم أتزكّنها رغبةً عن بلادها ولكنّه ما قدرَ اللهُ كائن

وحين يرحل الشاعر من بلده طلباً للرزق في مديح الولاة، وتطول الإقامة يدفعه الشوق والحنين إلى العودة إلى الوطن، فينظم قصيدة تصور حنينه وشوقه إلى موطنه، ويرفق به الممدوح فيأذن له بالعودة، وهذا ما كان من أمر أمية بن أبي عائذ العُمري (ت

(1) الأغاني 1/ 34.

(2) الأغاني 1/ 36.

75 هـ) الذي رحل إلى عبد العزيز بن مروان بمصر، فأكرمه عبد العزيز واستبقاه، ولكنه حنَّ إلى الأهل والوطن، فقال يصور هذا الحنين ويشرك فيه راحلته: (1)

متى ركبُ من أهلِ مصرَ وأهلُهُ      بمكَّةَ من مصرَ العشيَّةَ راجعُ  
بلى إنها قد تقطعُ الحرقُ ضُمَّرُ      ثُباري السرى والمُعسفونَ الزعازعُ  
متى ما تُجزها يابنَ مروانَ تعترفُ      بلادَ سُليمي وهي خوصاءُ ضالعُ  
وباتت تؤمُّ الدارَ من كلِّ جانبٍ      لتخرُجَ واشتدَّت عليها المصارعُ  
فلما رأتُ ألاَّ خروجَ وإنَّما      لها من هواها ما تُجِنُّ الأضالعُ  
تمطَّت بمجدولٍ يسبطِرُ فطالعتُ      وماذا من اللُّوحِ السيماني تُطالعُ

فعرِف عبد العزيز شوقه إلى أهله، فوصله وأذن له.

ويذكر عبيد الله بن قيس الرقيات (ت 75 هـ) حياته بمكة وغزله بمن يحب ثم رحيله وما نزل به من غربة ورحيل وما شهد من أحداث وحروب، ويذكر المدن التي مر بها وعانى الآم النقلة والسفر، ويحكي ما نزلت به من مصائب وأحداث، ويكي عنزه الذي زال بعد أن كان ينادم الملوك، أما وقد تغير الزمان فهو الآن غريب يحن إلى وطنه وماضيه: (2)

حبَّذا الحُجُّ والثُّرَيَّا وَمَنْ بِالـ      خَيفٍ من أجْلِها ومُلقي الرِّحالِ  
دُرَّةٌ من عقائلِ البَحْرِ بِكُرِّ      لم تَنلْها مِثاقِبُ الألالِ  
تَعَقِدُ المِشزَرَ السُّخامَ من الحـ      زُ على حَقْوِ بادِنِ مِكسالِ  
قَطَنَتْ مَكَّةَ الحِرامَ فَسَطَّتْ      وَعَدَّتْني نوائِبُ الأشغالِ

وبعد هذا الشوق والغزل يذكر ما نزل به من قتل وقتال وهجرة وأخطار:

(1) الأغاني 24 / 12-13.

(2) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص 112-116، تحقيق محمد يوسف نجم، ط دار صادر، بيروت د.ت.

إن ترينبي تَعَيَّرَ اللَّوْنُ مَنِّي  
 فظلالُ الشُّبُوفِ سَيِّبَنَّ رَأْسِي  
 واغترابي من عامرِ بنِ لُؤَيٍّ  
 وملوكُ فارقتهم أفردوني  
 أفقرتُ منهمُ الفراديسُ فالغَوْ  
 فضَمِيرٌ فالماطِرُونَ فَحَوْرًا  
 لم تُجِنِّي منها الطلولُ ولم أَمُ  
 وتذكَّرتُ معشري وهُمُ كَا  
 مُلْكُهُمُ صالحٌ ودهرُهُمُ دَهْمُ

وعلا الشيبُ مفرقي وقذالي  
 وطعاني في الحربِ صُهَبَ السُّبَالِ  
 ببِلادٍ كثيرةٍ الأقتالِ  
 وضرُوفُ الأيامِ بي والليالي  
 طَةً ذاتُ القُرَى وذاتُ الظلالِ  
 نُ قفازٌ بسايسُ الأطلالِ  
 ليك دُموعاً تسيلُ كالأوشالِ  
 نوا مُلوكاً في سالفِ الأحوالِ  
 سرُّ نقيٍّ وشَرُّهُمُ غيرُ عالي

وكذلك يقال في بقية الشعراء العذريين من كثرة الشوق والحنين.

ويكثر طهمان بن عمرو الكلابي (ت 80 هـ) من ترديد لفظ الغربة في أبياته، فهو

وصاحبه العبسي غريبان في مذحج: (1)

وإني والعبسي في أرضِ مذحجِ  
 غريبانِ مجفوانِ أكثرُ هَمِّنا  
 وما كان غَضُّ الطرفِ مَناسِجِيَّةً  
 وغريبانِ شَتَّى الدارِ مختلفانِ  
 وجيفُ مطايانا بكُلِّ مكانِ  
 ولكننا في مَذحِجِ غَرِبانِ

وفي البلاد النائية تزداد آلام الغربة يقول الشمردل اليربوعي (ت 80 هـ) في رثاء أخيه وائل ويذكر وحدته وغربته بعيداً عن الأهل والديار، ويحن إليه أخوه الشمردل ويرسل إليه أشجانه وتحياته: (2)

سقى جدناً أكنافَ غمرةٍ دونهُ  
 بهضبة كُتْمَانَ المَدِيمِ ووابلُهُ

(1) ديوانه ص 61 تحقيق عبد الجبار المعبيد، ط بغداد 1968.

(2) شعر الشمردل ص 541 ضمن شعراء أمويون.

بمشوى غريب ليس منا مزاره  
 إذا ما أتى يوم من الدغريتنا  
 وكل سنا برقي أضاء ومغرب  
 تحية من أذى الرسالة حبيث  
 قريباً ولاذو الوؤد مناً يواصلة  
 فحيالك مناً شرقه وأصائله  
 من الشمس وافي جئح ليل أوائله  
 إلينا ولم ترجع بشيء رسائله

ويذكر الغربية وتفرق الصحب والرفاق فيأرق ويهجره النوم، ويطول أرقه وهو  
 يرعى النجوم حزناً مفكراً متشوقاً لجمع الشمل واللقاء، وقد تقسم قلبه أثلاثاً ثلث لمن  
 يحب في البادية، وثلث لصحبه في الحاضرة، وثلث لرفاقه الأسرى وفي السجون، وليس له  
 إلا أن يدعو الله سبحانه أن يُزيل الغمة ويجمع الشمل: <sup>(١)</sup>

يا أم حرب برى جسمي وشيئني  
 ونام صحي واحتمت لعادتها  
 أرمي الثرياً تقود الثاليات معاً  
 معارضات سهيلاً وهو معترض  
 قلبى ثلاثة أثلاث لبادية  
 لكلهم من فوادي شعبة قيسمت  
 إن يجمع الله شعباً بعد فزقتو  
 من الخطوب التي تبيري وتعترق  
 بالكوفة العين حتى طال ذا الأرق  
 كما تتابع خلف الموكب الرفق  
 كأنه شاة زمل مفرد لهُق  
 وحاضر وأسير دونه غلق  
 فسفني الهم والأحزان والسفق  
 فقد تريع إلى مقدارها الفرق

وكانت أصبهان مأوى المغتربين سواء الذين هاجروا إليها واستوطنوها، أم الذين  
 ذهبوا مع الجيش الفاتح وطالت إقامتهم، أو أصابتهم النكبات، ووجدوا أناساً غير  
 الذين يظنونهم، ففيهم الكره والحقد، ولذلك كان المغتربون يتذمرون ويشكون الغربية

(1) شعر السردل ص 535-536.

والبعاد ويحنون إلى أوطانهم، وهذا ما كان يعانيه أعشى همدان (ت 83 هـ) الذي يصور حاله ويقول: (1)

وكانت أصبهان كخير أرضي      لمغترِبٍ وصعلوكٍ عديمٍ  
ولكننا أتيناها وفيها      ذور الأصفغان والحقد القديم  
فسأنكرت الوجوه وأنكرتني      وجوه ما تحبُّ عن كريم  
وكان سفاهةً مني وجهلاً      مسيري لا أسيرُ إلى هميم

وقد عانى الأعشى من غربة الأسر والسجن، فقد أرسله الحجاج غازياً إلى بلاد الديلم، فأسير وعاش مرارة السجن غربياً في بلاد الأعاجم، يعاني مرارة السجن وهموم الغربة، فيحدث نفسه وهو في الأسر، يتذكر أيامه السعيدة في وطنه، ويعرج على ما أصابه وهو أسير، يقول من قصيدة معزياً نفسه: (2)

وإذا تُصِبَكَ من الحوادثِ نكبةٌ      فاصبرِ فكل مصيبةٍ ستكشِفُ  
ولئن بكيتُ من الفراقِ صبابةً      إنَّ الكبيرَ إذا بكى ليُعْنِفُ  
عجباً من الأيامِ كيفَ تصرَّفتُ      والداؤُ تدنو مرةً وتقدِّفُ  
أصبحتُ رهناً للعُدَاةِ مُكَبَّلاً      أمسي وأصبحُ في الأدهامِ أرسُفُ

ويذكر حياته قبل الأسر وبطولته وليس له الآن إلا الصبر:

ولقد أراني قبل ذلك ناعماً      جدلانَ أبي أن أضامَ وأنفُ  
واستنكرتُ ساقِي الوثاقِ وساعدي      وأنا امرؤُ بادي الأشاجعِ أعجفُ  
ولقد تُضَرُّسني الحروبُ وإنني      ألقى بكلِّ خافيةٍ أتعسِفُ  
فأصابني قومٌ فكنْتُ أصيبهم      فالآنَ أصبرُ للزمانِ وأعرِفُ

(1) أعشى همدان ص 341، ضمن كتاب الصبح المنبر.

(2) أعشى همدان ص 335، الأغاني 45/6.

## إِنِّي لَطَلَّابُ الثَّرَاتِ مُطَّلَبٌ وَيَكُلُّ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ أَشْرَفُ

ولم يطل أسرته إذ استطاع أن يهرب بمساعدة بنت العِلاج الذي أسره، فقد أحبته وهربت معه وتزوجها.

وكذلك كان جميل بن معمر (ت 82 هـ) يحن إلى وطنه ووطن حبيبته في وادي القرى، ويصور وداع بثينة وهو راحل إلى مصر، مبعداً بأمر السلطان، وكله شوق ولهفة أن يعود الماضي السعيد: <sup>(1)</sup>

ألا ليت أيام الصفاءِ جديداً	ودهراً تولى يا بُشَيْنَ يعودُ
فنفسى كما كُنَّا نكونُ وأنتمُ	صديقٌ وإذ ما تبذكين زهيدُ
وما أنسى مِ الأشياءِ لا أنسى قولها	وقد قرَّبتِ نضوي أمصرَ تُريدُ
ولا قولها لولا العيونُ التي ترى	أنتيكَ فاعذُزني فدتكِ جُودُ
خليلي ما أخفي من الوجدِ ظاهراً	فدمعي بما أخفي العداةَ شهيدُ
ألا قدرارى والله أن رُبَّ عبرة	إذا الدائرُ سَطَّتْ بيننا ستروُدُ

وكان الحارث بن خالد المخزومي (ت 85 هـ) يحن إلى وطنه مكة ويشتاق إليها، ويفضلها على كل أرض وبلد، حتى الشام بما فيها من خير وجمال، ومركز الخلافة الأموية، فإنه لا يريد لها ويفضل عليها أرضه ومراتع صباه، وكان يُعرِّض بهذه الأبيات بعائشة بنت طلحة التي يحبها ويتغزل بها، وقد رحلت إلى الشام، يقول: <sup>(2)</sup>

من كان يسأل عَنَّا أينَ منزلنا فالأقحوانةُ مِنَّا منزلٌ قَمَنُ <sup>(3)</sup>

(1) ديوان جميل ص 57، 61، ط عالم الكتب بيروت 1996.

(2) شعر الحارث بن خالد المخزومي ص 140-142، تحقيق يحيى الجبوري، ط 2 دار القلم، الكويت 1983.

(3) الأقحوانة: موضع قرب مكة، قال الأصمعي: هي ما بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام. معجم البلدان: الأقحوانة 1/ 234. وهناك أكثر من موضع بهذا الاسم.

إذ نلبس العيش صفواً ما يكدره  
ليت الهوى لم يقربني إليك ولم  
من كان ذا سكنٍ بالشامِ يالفه  
وإنَّ ذا القصرِ حيّ مابه وطني  
إذ الحجازُ نحوى بمن نسر به  
طعنُ الوشاةِ ولا يتبو بنا الزمنُ  
أعرفك إذ كان حظي منكم الحزن  
فإنَّ في غيره أمسى لي السكنُ  
لكن بمكة أمسى الأهل والوطنُ  
والحاج داخ به مغرورقٌ نكن

ولا يجد الشاعر بديلاً عن وطنه مهما كان جميلاً، فالحنين دائماً إلى من يحب من أهل وأرض ومنازل، فهذا وضاح اليمن (ت 90 هـ) لا يرى في الشام على خصبها وجمالها ما ينسيه وجده إلى مسقط رأسه ودياره في شعاب باليمن، فهناك مراتع صباه وأحبابه الذين يشتاق إليهم، ولا تنسيه المواطن الجديدة ذكرياته وأحبابه في أرضه ووطنه: <sup>(1)</sup>

أبت بالشام نفسي أن تطيبا  
تذكرت المنازل من شعوب  
سبوا قلبي فحلّ بحيث حلوا  
ألا ليت الرياح لنا رسول  
فتأتكم بما قلنا سريعاً  
تذكرت المنازل والحييا  
وحيأ أصبحوا قطعوا شعوبا <sup>(2)</sup>  
ويعظم أن دعوا الأثيبيا  
إليكم إن شالاً أو جنوبا  
ويبلغنا الذي قلتم قريبا

ويذكر حبيته روضة وما فعل به حبها، فهو لا يستطيع سلوها، ويحبها أبداً في

القرب أو البعد :

ألا ياروض قد عدت قلبي  
ورقني هواك وكنت جلدأ  
أما ينسبك روضة شحط دار  
فأصبح من تدركم كئيبا  
وأبدى في مفارقي المشيا  
ولا قرب إذا كانت قريبا !!

(1) الأغانى 6/ 229-230، ديوان وضاح اليمن ص 31.

(2) شعوب: موضع باليمن، وفيه قصر شعوب المعروف بالارتفاع، وقيل إن شعوب بساين بظاهر صنعاء. باتوت: شعوب.

ويرحل عمر بن أبي ربيعة (ت 93 هـ) إلى اليمن، ويشتاق إلى وطنه مكة ومرابعها وأحبابه فيها، ويحزن إليهم ويذكر أيامه وإياهم، ومن شغفه ببلده يذكر المنازل التي تحل بها حبيبته، ويجاورها ويذكرها ما قال وقالت في تلك المواطن الحبيبة إلى نفسه: (1)

هيهات من أمة الوهاب منزلنا  
واحتل أهلك أجياداً فليس لنا  
لا داركم دارنا يا وهب إذ نزلت  
فلمست أملك إلا أن أقول إذا  
يا وهب إن يك قد شطت البعاد بكم  
فكم وكم من حديث قد خلوت به  
إذا حللنا بسيف البحر من عدن  
إلا التذكر أو حظ من الحزن  
نواك عنا ولا أوطانكم وطني  
ذكرت: لا يبعدنك الله يا سكني  
وفرقت الشمل منا صرف ذا الزمن  
في مسمع منكم أو منظر حسن

ويحزن الصمة القشيري (الصمة بن عبد الله ت 95 هـ) إلى وطنه الحمى، كل الحمى بما فيه من وهاد وهضاب، ويمثل قلبه وهو يخفق بشدة حين يذكر الحمى وأهلها كأنه متعلق بجناح طائر: (2)

تعز بصير لا وجدك لا ترى  
كان فؤادي من تذكره الحمى  
سنام الحمى أخرى الليالي الغواير (3)  
وأهل الحمى يهفوه ريش طائر

ويشتاق الصمة القشيري إلى نجد وأهلها، فهي بمربعها وحماها جميلة في كل فصول السنة صيفاً وربيعاً، ولا يريد لها فراقاً، ومن حب نجد الوطن وشوقه إليها تكاد تتصدع كبده خشية الفراق، ولا يملك عند الفراق إلا الحنين والشوق والبكاء: (4)

(1) ديوان عمر ص 283-284.

(2) الصمة القشيري، حياته وشعره ص 98، جمع وتحقيق خالد الجبر، ط جامعة البترا، عمان 2003.

(3) سنام: جبل قريب من البصرة، ياقوت: سنام.

(4) الصمة القشيري حياته وشعره ص 110.

فَقَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى  
بِنَفْسِي تَلِكَ الْأَرْضِ مَا أَطْيَبَ الرِّبَا  
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْتَنِي  
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ  
وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَعَا  
وَمَا أَحْسَنَ الْأَصْطَفَاءَ وَالْمُتَرَبِّعَا  
عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا  
عَلَيْكَ وَلَكِنْ نَحَلُّ عَيْنَيْكَ تَدَمَّعَا

وتذكر الأخوان في الغربية مع نزول المصائب يزيد الأوجاع، كان يزيد بن معاوية قد أمر عبيد الله بن زياد أن يأخذ عبد الله بن همام السلولي (ت 100 هـ)، فسأله أن يكفله عريفه وكان اسمه مالكا، ففعل، إلا أن ابن همام هرب وأخذ عريفه ولحق بيزيد بن معاوية يستجير به، فقال بعدها هذا الشعر يصور حاله ومحتته: (1)

بَكَيْتَ الْعَشِيرَةَ إِذْ فَارَقوكَ لِأَنَّكَ فِيهِ وَأَوْطَانِكَ  
أَقُولُ لِعِثْمَانَ: لَا تَلْحُنِي أُنْفِقُ عُثْمَ عَنْ بَعْضِ تَعْدَالِكَ  
غَرِيبٌ تَذَكَّرُ إِخْوَانَهُ فَهَاجُوا لَهُ سَقْمًا نَاهِكَا  
وَكَّرَهْنِي أَرْضَكُمْ أَنَّنِي رَأَيْتُ بِهَا مَالِكًا فَاتِكَ  
فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْفِيرَهُ نَجَوْتُ وَأَرَهْنَهُمْ مَالِكَا  
عَرِيفًا مَقِيمًا بَدَارِ الْهُوَانِ فَأَهْوَنُ عَلَيَّ بِهِ هَالِكَا

وكان الخطيم المحرزي (ت 100 هـ) سجيناً في نجران، يشكو غربته ويحن إلى أهله ودياره، ويتمنى لو عاد وبات قرير العين في ربوع وطنه التي يذكرها ويحن إليها: (2)

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بِأَعْلَى بِلْدِ ذِي السَّلَامِ وَذِي السُّنْدِ  
وَهَلْ أَهْبَطَنُ رَوْضَ الْقَطَاغِيرِ خَائِفٍ وَهَلْ أَصْبَحَنُ الدَّهْرَ وَسَطَ بَنِي صَخْرٍ  
وَهَلْ أَسْمَعُنُ يَوْمًا بَكَاءَ حَمَامَةٍ تَنَادِي حَمَامًا فِي ذُرَى تَنْضِبِ خُضْرٍ

(1) شعر عبد الله بن همام السلولي ص 84-85، جمع وتحقيق وليد السرايبي، ط دبي .

(2) شعراء أمويون 1/ 258.

وهل أرين يوماً جيداً أقودها بذات الشقوق أو بأناقها العفر  
 وهل تقطعن الحرق بي عيدهية نجاة من العيدي تمرح للزجر  
 ويتمنى أن يعود الخير ويجتمع الشمل بأهله وأحابه وذوي قرياه، ويسعد بحياة  
 العز بعد البعد والجور والعذاب:

وهل أرين بين الخفيرة والحمى حمى النهر أو يوماً بأكثبة الشعر  
 جميع بني عمي الكرام وإخوتي وذلك عصر قد مضى قبل ذا العصر  
 أخلائني لم يشمت بنا ذو سناء ولم تضطرب مني الكشوخ على عمر  
 وتتردد في شعر العذرين ألقاظ الغربية، فالشاعر غريب في دياره ما دامت حبيته  
 بعيدة عنه، أو هو محروم منها ومن وصلها، من ذلك أن كثير عزة (ت 105هـ) يشكو من  
 غربته وضغط الشوق والحنين عليه: (1)

إلى الله أشكو لا إلى الناس حُبها ولا بد من شكوى حبيب يُودع  
 وأكتم ودًا في الفؤاد مجتمعا تَصَلَعُهُ مني ضمير وأضلع  
 ألا تتقين الله في حُب عاشق له كَبِدُ حَرَى عليك تصدع  
 غريب مشوق مولع بأذكاركم وكل غريب الدار بالشوق مولع  
 وجدتُ غداة البين إذ بنت زفرة وكادت لها نفسي عليك تصدع  
 وأصبحتُ مما أحدث الدهرُ خاشعاً وكنت لريب الدهر لا أتصغضع

ويشعر من شدة ما يلاقه من حب ووجد أنه غريب هائم في البراري: (2)

وما زلت من ذكراك حتى كأنني أميم بأكناف الديار سليب<sup>(3)</sup>  
 وحتى كأنني من جوى الحب منكم سليب بصحراء البريح غريب

(1) ديوانه ص 176-177، ط دار الجليل، بيروت 1995.

(2) ديوانه ص 48-49.

(3) الأميم: المصاب في أم رأسه.

## أبتك ما ألقى وفي النفس حاجة هابين جلدي والعظام ديب

ورحل الأحوص (ت 105 هـ) من المدينة إلى الأردن قاصداً يزيد بن عبد الملك، وهو في عمّان وقد طال به المقام، وحن إلى وطنه ودياره في المدينة، وكثيراً ما تهيج البروق البيانية أشجان المغتربين فيحنون إلى أوطانهم، فصار يشواق، ويذكر مراعٍ الصبا ويسميتها، ويحن إلى أرضها وأهلها، وتنهمر الدموع من عينيه شوقاً وحناناً، فينشد: (1)

أقول بعمّان وهل طربي به	إلى أهل سلع إن تشوّقت نافع
أصاح ألم تحزّنتك ريح مريضة	ويزق تلالا بالعقيقين لامع
فإن غريب الدارمما يشوقه	نسيم الرياح والبروق اللوامع
نظرت على قوت وأوق عشيّة	بنا منظر من حزن عمّان يافع
لأبصر أحياء بخاخ تضمّنت	منازلهم منها التلاع الدوافع
ومن دون ما أسمو بطربي لأرضهم	معان ومغر من اليد واسع
فأبدت كثيراً نظرتي من صبابتي	وأكثر منه ما تجنّ الأضالع

ويذكر حبيبته التي فارقها وهو طائع، ولكن الشوق قد غلبه الآن فهو يبكي،

ويتمنى لو عاد والتقى بالأحباب والأوطان:

وكيف اشتياق المرء يبكي صبابته	إلى من نأى عن داره وهو طائع
وللعين أسراب تفيض كأنها	تعل بكخل الصاب منها المدامع
لعمر ابنة الزيدي إن اذكّارها	على كل حال للفاؤد لرائع
واني إليها حيث طارت بها النوى	من العور أو جلس البلاد لنازع

(1) ديوان الأحوص ص 183-185، تحقيق عادل سليمان، ط 2 الحانجي، مصر، بعد 1990.

وكان الطرماع بن حكيم (ت 125هـ) في قزوين شمالي إيران، ونظر إلى البرق  
اليمني يلمع في كبد السماء فاشتاق إلى وطنه وحنَّ إلى جبلي طيء؛ أجباً وسلمى، وتذكر  
أهله وصحبه وأحبابه، ومن يحب من نساء الحيّ، فهاجت أشجانه: <sup>(1)</sup>

طَرِبْتَ وَمَشَاكَ الْبَرْقُ الْيَمَانِي	بَفَجِّ الرِّيحِ فَجَّ الْقَاقُزَانِ
أضوءُ البرقِ يلمعُ بين سلمى	وبينَ الهضْبِ من جَبَلِيَّ أَبَانِ
أضوءُ البرقِ بِتَّ تَشِيمُ وَهَنًا	لقد دَانَيْتَ وَيَحْكُ غَيْرَ دَانِي
ألم تَرَ أَنَّ عِزْفَانَ الثُّرَيَّا	يُهَيِّجُ لِي بِقَزْوِينَ اخْتِزَانِي
خليلي مُدَّ طَرْفَكَ هل ترى لي	ظعائنَ بِاللَّوِي من عَوَّكَلَانِ
ضعائنُ لو يَصِفْنَ بِدِيرِ لَيْلِي	مَنَى لِي أَنْ أَلَاقِيَهُنَّ مَانِي

أما نصيب الشاعر (ت 108هـ) فيحن إلى أحبابه وهم في مصر بالحوف قرب  
دمياط، ويهيج أشجانه البرق وهو غريب في سفر، فيسهر ليلة يحلم بأحبابه ويناجيهم: <sup>(2)</sup>

سرى الهمُّ تُشِينِي إِلَيْكَ طَلَاتُعَةٌ	بمصرَ وبالحَوْفِ اعترتني روائعُ
وباتِ وسادي ساعدٌ قَلَّ لَحْمُهُ	على العظمِ حتى كادَ تبدو أشاجعُ
وكم دونَ ذاكَ العارضي البارقي الذي	له اشتقتُ من وجهِ أَسِيلِ مدامعُ
تمثَّيْ به أفناءُ بكرٍ ومذحجٍ	وأفناءُ عمروٍ وهو خِضْبُ مرابِعُ
أعني على بَرْقِ أُرَيْكٍ وميضُهُ	تُضِيءُ دُجَنَاتِ الظلامِ لوامعُ
إذا اكتحلت عينا مُحِبُّ بضوئه	تجافَّتْ به حتَّى الصَّبَاحِ مضاجعُ
قعدتُ له ذاتَ العِشاءِ أشيمُهُ	وأنظُرُ من أينَ استقلتُ مطالعُ
هنيئاً لأمَّ البَحْثَرِي الرَّوِي به	أهَّجَ الحَبْلُ الذي أنا قاطِعُ

(1) ديوان الطرماع ص 297، تحقيق عزة حسن، ط 2 دار الشرق العربي، بيروت 1994.

(2) شعر نصيب ص 103-104، جمع وتقديم داود سلوم، ط بغداد 1967.

وما زلتُ حتى قلتُ إني الخالعُ ولائي من مولى نمتني قوارعة  
وما نخ قوم أنت منهم مودني ومُتخذُ مولاك مولى فتابعه

وليس البرق وحده ما يثير أشواق نصيب وهوومه وحنينه إلى أحبابه، بل كان هديل

الحمام، حين يهتف بالليل يثير أشواقه وأحزانه، ويحن إلى أحبابه ويستدعي البكاء: (١)

لقد هتفتُ في جُنحِ ليلِ حمامةٍ على فننٍ وهناً وإني لنائمٌ  
فقلتُ اعتذاراً عندَ ذاكُ وإنسيَ لِنفسيِّ بما قد رآتهُ كلائمٌ  
أزعمُ أنّي هائمٌ ذو صبايةٍ لسُعدى ولا أبكي وتبكي الحمامُ  
كذبتُ وبيتَ الله لو كنتُ عاشقاً لما سبقتني بالبكاءِ الحمامُ

وفي مقام سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت (ت 115 هـ) في مصر كان يحن

إلى وطنه الحجاز، ولكن حبيبته تشبث به تريده أن يبقى ولا يفارق، وتذري الدمع تعلقاً

به، فيصف حالها: (٢)

بَرِحَ الخفاءُ فأني ما بك تكتمُ والشوقُ يُظهرُ مائسِرُ فيُعَلِّمُ  
وحملتُ سُقماً من علائقي حُبها والحبُّ يغلِّقُ الصحيحُ فيَسَقِّمُ  
علويةٌ أمست ودون وصالها مضمارُ مصرَ وعابدٌ والقَلْزَمُ (٣)  
خودٌ تُطيفُ بهانواعهم كالدمى مما اصطفى ذو النيقَةِ المتوسِّمُ

وتتوسل إليه عند الوداع، وتذرف الدمع لبقى، وتحبب إليه مصرَ ليقيم فيها، لعله

ينسى الحجاز وأهله:

(1) شعر نصيب ص 124 وفيه تخریج المصادر، وحماة أبي تمام ص 390، وابن المرزبان ص 75، والحيوان 3/206،

وتنسب لقيس بن الملوخ في ديوانه ص 278 ط عبد الستار فراج.

(2) الأغانى 282/8-283.

(3) عابد: جبل في أطراف مص، والقَلْزَم: بلدة شرقي مصر قرب جبل الطور، إليها يضاف البحر الأحمر فيقال بحر القلزم.

ياقوت: القلزم 4/387.

قالت وماء العين يغسل كحلها  
يا ليت أنك ياسعيد بأرضنا  
تلقني المراسي ثاوياً وتخيّم  
فتصيب لذة عيشنا ورخاءه  
عند الفراق بمستهل ينسجم  
فكون أجواراً فاذا تنقّم  
بلد به عيش الكريم مُدّمّم  
لا ترجعن إلى الحجاز فإنّهُ

ويرد عليها أن الحجاز هو الوطن الحبيب وهل يفارق المرء وطنه، ويذكر الحمام وما يثير في نفسه من الحنين والشوق، وكذلك البرق وريحه ومطره، له منظر يُحيي الروح والبدن، يطرب النفوس ويشفي السقيم العليل، وهل يفارق المرء وطنه الحبيب؟!:

وهلمّ جاوِزنا، فقلتُ لها: اقصري  
أيفارقُ الوطنُ الحبيبُ لمنزلٍ  
عيشٌ بطيئةٍ ونحّ غيركِ أنعمُ  
إنّ الحمامَ إلى الحجازِ يبيحُ لي  
نأءٍ ويُشْرِى بالحديثِ الأقدمُ  
والبرقُ حينَ أشيمُهُ متيامناً  
طرباً ترثمُهُ إذا يترثمُ  
لؤلؤٌ ذوقسّمٍ على أن لم يكنْ  
وجنائبُ الأرواحِ حينَ تنسّمُ  
في الناسِ مُشبهُها لبرِّ المُقسّمُ

أما غربة ذي الرمة (ت 117 هـ) فغربة نفسية دافعها الشوق إلى حبيبته وبعادها وحرمانه من لقاءها، فهو يكون بين بقايا ديار الأحبة فيتذكر أيامه السعيدة وتضطرم أشواقه ويزداد حنينه فينعي حاله، ويصف غربته وهو يتأمل ديار الحبيبة بعدما شاخ وذهب عهد الصبا، فيعاتب نفسه، ويحاول أن يمنع عبرته ويكفكف دمعته، ولكنه لا بد هاطل: (1)

أمن دمنية بين القلاتِ وشارعِ  
نعمَ عبرةً ظلتُ إذا ما ورعُتها  
تصايبتُ حتى ظلتُ العينُ تدمعُ  
بحلمي أبث منها عواصٍ ترعُ  
تصايبتُ واهتاجتُ لها منك حاجةً  
ولوعُ أبث أقرانها ما تُقطّعُ

(1) ديران ذي الرمة ص 254-255 ط دار الكتاب العربي، بيروت 1996.

إذا حان منها بعد مَيَّ تَعَرَّضُ      لنا حَنَّ قلبُ بالصباة مولعُ  
وما يرجعُ الوجدُ الزمانَ الذي مضى      وما للفتى في دِمْنَةِ الدارِ مَجْزَعُ

ويصف حاله ويكي ماضيه الذي لا يعود، فهو حائر يجلس بين الديار يلقط

الحصى ويخط في الأرض اسم مَيَّ حبيته، وحوله الغربان تطير وتقع:

عشيةً مالي حيلةً غيرَ أنني      بِلَقَطِ الحصى والحِطِّ في الأرضِ مولعُ  
أُحِطُّ وأحمر الحِطُّ ثم أعيدُهُ      بكفِّي والغربانُ في الدارِ وَقَعُ  
كَأَنَّ سِناناً فارسياً أصابني      على كَبِدِي بِلُ لوعةِ الحُبِّ أوجعُ

والغربة عند العرجي (ت 120هـ) مقترنة بنزوح الدار، وكان العرجي قد أتهم بدم

فسجن سبع سنين، وقد ضرب وشهره قبل سجنه، فهو يشكو غربة السجن والبعد عن

أهله وأحبابه، وقد هاج أشجانه البرق اليماني، ويغلبه الحنين فتفيض عيناه بالدموع

الجارية، ولا يبالي بلوم الصديق فقد كان الحنين إلى أوطان الحبيبة أشد من أن يكتم: (1)

هاج قلبي بعدما كان سَكَنُ      لِبُرِّيقي لآح من نحو اليمَنِ  
فاعتراني الشوقُ لما خِلْتُهُ      مَوْهناً قد لَجَّ وَهناً والحَزَنُ  
فالجمي منه جمى العَرَجِ إلى      أَظْرِبُ الأحسا إلى القَصْرِ قَمَنُ  
تلك أوطانُ لليلي ولنا      ما يَهِيجُ ذا الهوى إلا الوَطَنُ  
باتَ يَلْحاني رفيقي أن رأى      سَنَنَ الدَّمْعِ وللدَّمْعِ سَنَنُ  
قلتُ يا صاحِ إذا ما لم تُعِنُ      - فدَعِ اللُّومَ هوى ليلي - فَمَنُ  
يعتريه من حُبِّ شوقه      نازحِ الدارِ غريبِ ذي شَجَنُ  
فارعوى عن ذلك إذ فَطَّتُهُ      للذي تَلَقَى وما كانَ فِطِنُ

(1) ديوان العرجي ص 328، تحقيق سجع الجبيلي، ط دار صادر، بيروت 1998

ويشكو غربته وضياعه في السجن وهو الفتى الفارس الكريم، وقد أهين وضرب وأشهر للناس: <sup>(1)</sup>

أضاعوني وأَيَّ فتى أضاعوا      ليوم كريمة وسداد تغر  
 وخلوني لمعترك المنايا      وقد شرعت أيتها لنخري  
 كأي لم أكن فيهم وسيطاً      ولاي نسبة في آل عمرو  
 أجرز في الجوامع كل يوم      إلا لله مظلمتي وصبري

وتسوء حاله حتى إنه يتمنى الموت لينجو من عذاب ما هو فيه: <sup>(2)</sup>

وما يهيج القلب يا صاح نحوها      إذا باكر الأيك الحمام السواجع  
 كأي لذكرها إذا الليل جئتني      أسير عدو أسهرته الجوامع  
 يرى الموت غنماً راحة والذي به      عليه عناة فهو بالموت طامع  
 فكيف يذكرها وبالعزج مسكني      ومن دونها الشم الجبال الفوارع

ويشكو أبو دهب (ت 126هـ) من عناء الغربة الدائم ويحن إلى الوطن، فقد فارق

أهله وصغاره ويتمنى العودة واللقاء، وما يزيد أحزانه ويهيج أشجانه نوح الحمام: <sup>(3)</sup>

أفي كل عام غزبة ونزوح      أما للنوى من نية فتريح  
 لقد طلع البين المشت ركابي      فهل أرين البين وهو طليح  
 وأزقني بالري نوح حمامة      فنخت وذو البت الغريب ينوح  
 على أئماناحت ولم تذر دمة      ونخت وأسراب الدموع سفوح  
 وناحت وفرخاها بحيث تراهما      ومن دون أفرأخي مهامه فيح

(1) الديوان ص 246-247.

(2) ديوانه ص 259.

(3) ديوانه ص 76، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، ط النجف 1972.

ألا يا حمام الأيك إلك حاضرٌ وغضنك مياذ فسيم تنوح؟!

والغربة مقرونة بالقلق والخوف عند يزيد بن الطثرية (ت 126 هـ) فهو يتساءل

هل سترجع أيامه السعيدة بعد الفراق أم يدوم البعد ويشمت العاذلون: (1)

ألا هل من البين المُفَرِّق من بُدَّ وهل لليالٍ قد تسَلَفَن من ردِّ  
وهل مثلُ أيامي بِنَعْفِ سُويَقَةٍ رواجعُ أيامٍ كما كُنَّ بالسَّعْدِ  
وياليتَ شعري ما الذي تُحَدِّثُن لي نوى غُرْبَةٍ بعدَ المَشَقَّةِ والبُعْدِ  
نوى أم عمرو حيثُ تغتربُ النوى بها ثمَّ يخلو الكاشحون بها بعدي

وبعد، فهو حائر فيما يجد من عذاب الشوق بين البعد عن الحبيب والقرب منه، ولم

يجد في أحدهما شفاءً مما يعانيه من الوجد:

وقد زعموا أن المَحِبَّ إذا دنا يَمَلُّ وأنَّ النَّايَ يَشْفِي من الوجدِ  
بكلِّ تداوينا فلم يُشَفَّ ما بنا على أن قُرَبَ الدارِ خيرٌ من البُعْدِ

أما محمد بن بشير الخارجي (ت 130 هـ) فكانت غربته قسرية، فقد عاش حياته في

المدينة المنورة وبواديها، ثم خرج لأمر ما إلى البصرة وتزوج من امرأة أحبها، واشترطت

الزوجة عليه أن يُقيم معها في البصرة ولا يغادرها، فرضي وأقام، ولكن كانت تتنازعه

أشواقه وحنينه إلى الحجاز، وشعوره بالغربة بعيداً عن وطنه وأهله، فعاش متألماً يعاني ما

يعانيه الغريب بعد سفر ابن عمه ورَّاد: (2)

لقد أقمْتُ بحيثُ الفيضُ من رَجَبٍ حتى أهلاً به من قابلٍ رَجَباً (3)  
وراحَ في السَّفَرِ ورَّادٌ وهيْجَنِي إنَّ الغريبَ إذا هيَّجَتُهُ طرباً

(1) شعر يزيد بن الطثرية ص 68-70، جمع حاتم الضامن، ط بغداد 1973.

(2) شعر محمد بن بشير الخارجي ص 36، تحقيق محمد خير البقاعي، ط دار قتيبة، دمشق 1985.

(3) الفيض: محلة البصرة.

إِنَّ الْغَرِيبَ يَسِيحُ الْحَزْنَ صَبَوْتَهُ إِذَا الْمَصَاحِبُ حَيَّاهُ وَقَدْ رَكِبَا  
 قَدْ قُلْتُ أَمْسِ لَوْرَادٍ وَصَاحِبِي عَوْجَا عَلَى الْخَارِجِيِّ الْيَوْمَ وَاحْتِسَابَا

وحب الوطن غريزة في النفوس والغريب يتمنى أبداً العودة إلى وطنه ولقاء أهله  
 وأحبابه، وهذا ما يتمناه أحد الشعراء العشاق: (1)

سَقَى اللَّهُ أَرْضَ الْعَاشِقِينَ بِغَيْثِهِ وَرَدَّ إِلَى الْأَوْطَانِ كُلَّ غَرِيبٍ  
 وَأَعْطَى ذَوِي الْهَيْبَاتِ فَوْقَ مُنَاهِمُ وَمَتَّعَ مَحْبُوباً بِقَرَبِ حَيْبِ

ويعلن طريح بن إسماعيل (ت 165 هـ) غريته ويتوثق منها، في سياق مدحه للوليد  
 بن يزيد بن عبد الملك: (2)

فَلَا أَرَانِي بِإِخْلَاصِي وَتَنْقِيَتِي لَكَ الشَّاءَ وَقُرْبِي مِنْكَ أَقْتَرَبُ  
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي غَيْرَ الْغَرِيبِ فَقَدْ أَصْبَحْتُ أَعْلِنُ أَنِّي الْيَوْمَ مَغْتَرِبُ

ونترك الشاعر المادح المتقرب بذلة إلى الخليفة ونقف عند الشاعر الذي يصور الحنين  
 والشوق وألم الفراق ساعة الوداع والرحيل، فالزوجة تشبث به وهو حائر بين الشوق  
 والحنين وبين الرحيل، والدموع تجري من عيون الشاعر وزوجه: (3)

تَقُولُ وَالْعَيْسُ قَدْ شُدَّتْ بِأَرْحُلِهَا أَلْحَى أَنْتَ مِنْ الْيَوْمِ مَنْطَلِقُ ۱؟  
 قُلْتُ نَعَمْ فَكَظَمِي قَالَتْ وَمَا جَلْدِي وَلَا أَظُنُّ اجْتِمَاعاً حِينَ نَفْتَرُقُ  
 فَقُلْتُ إِنَّ أَحْيَا لَا أَطُولُ بَعَادَتِكُمْ وَكَيْفَ وَالْقَلْبُ رَهْنٌ عِنْدَكُمْ غَلِقُ  
 فَارْقُتْهَا لَا فَوَادِي مِنْ تَذْكَرِهَا سَالِي الْهَمُومِ وَلَا حَبْلِي لَهَا خَلَقُ  
 فَاضَتْ عَلَى إِيْرِهِمْ عَيْنَاكَ دَمْعُهَا كَمَا تَتَابَعُ يَجْرِي اللَّوْلُؤُ النَّسَقُ

(1) رسائل الجاحظ 2/ 412.

(2) شعر طريح بن إسماعيل ص 75، جمع وتحقيق بدر ضيف، ط الاسكندرية 1987.

(3) شعر طريح ص 98.

فاستبقي عينك لا يودي البكاء بها  
واكفّف بواذر دمع منك تستبقي  
ليس الشؤون وإن جادت بباقيّة  
ولا الجفون على هذا ولا الحدق

وبعد، فلم يقتصر الحنين إلى الأوطان على الرجال، بل كان كثير من النساء يشتقن إلى أوطانهن، وكان حنينهن خاصة إلى البادية حين تتزوج بحضري وتسكن المدن فتحن إلى أهلها في البادية، وأكثر حنين النساء من هذا الضرب، ولكن بعضهن تحن إلى وطنها وإن كان في الحاضرة، فهذه امرأة يغلبها الشوق والحنين إلى وطنها مكة، على الرغم من عيشها المرفه في القصور في الاقحوانة بالشام على شاطئ بحيرة طبرية، نقل ياقوت<sup>(1)</sup> عن هشام بن الوليد عن أبيه قال: خرج قوم من مكة نحو الشام، وكنت فيهم، فبينما نحن نسير في بلاد الأردن من أرض الشام إذ رُفِعَ لنا قصر، فقال بعضنا لبعض: لو ملنا إلى هذا القصر فأقمنا بفنائه حتى نستريح، ففعلنا، فبينما نحن كذلك إذ انفتح باب القصر وانفجرت عن امرأة مثل الغزال العطشان، فرمقها كل واحد منّا بعين وامق وقلب عاشق، فقالت: من أي القبائل أنتم ومن أي البلاد؟ قلنا: نحن أضاميم من ههنا وهناك، فقالت: أفياكم من أهل مكة أحد؟ قلنا: نعم، فأنشأت تقول:

من كان يسأل عنا أين منزلنا  
والإن قصري هذا ما به وطني  
فالأقحوانة منّا منزل قمن  
لكن بمكة أمسى الأهل والوطن  
إذ نلبس العيش صفواً ما يكدره  
قول الوشاة وما ينبو به الزمن  
من كان ذا شجنٍ بالشام ينزله  
فبالأباطح أمسى الهم والحزن

ثم شهقت شهقة وخرّت مغشياً عليها، فخرجت عجوز من القصر فنضحت الماء على وجهها، وجعلت تقول:

(1) معجم البلدان: الأقحوانة 1/ 234.

في كل يوم لك مثل هذا مرات      تالله للموت خير لك من الحياة<sup>(1)</sup>

فقلنا: أيها العجوز، ما قصتها؟ فقالت: كانت لرجل من أهل مكة، فباعها، فهي لا تزال تنزع إليه حيناً وشوقاً.

والحنين إلى الوطن أشد ما يكون عند المرض وترقب الموت، فيشتد الحنين ويتمنى المرء أن يودع الحياة وهو في وطنه وبين أهله، فهذه امرأة تحتضر وتتمنى أن تودع وطنها بحرة ليلي، فتوصي خليليها أن يقرأ السلام على مراعٍ صباها وارض أهلها:<sup>(2)</sup>

خليلي إن حانت بمورة ميتي      وأزمعتم أن تحفرا لي بها قبراً  
ألا فاقرباً مني السلام على فتى      وحرّة ليلي لا قليلاً ولا نزراً  
سلام الذي قد ظن أن ليس رائياً      رُماحاً ولا من حرّتيه ذرى خضراً

والملاحظ أن أكثر حنين النساء إلى أوطانهم حين ينتقلن من البوادي إلى الحاضرة بالزواج، فلا يجدن سعادتهن في فراق أوطانهم، ونجد ذلك واضحاً في حنين النساء إلى نجد وإلى البوادي مراتع الحب والصبا.

وبعد فما جاء من الشعر الذي يصور الحنين والغربة في العصر الأموي كثير، وقد وقفنا عند بعض من نأذجه الجيدة المعبرة وتركنا شعراً كثيراً رغبة في الإيجاز، والدلالة بالقليل تُغني عن الكثير.

(1) البيت فيه خلل، ولعله من النثر المسجوع.

(2) معجم البلدان: رماح 3/ 65.

## الفصل الثالث

### الحنين والغربة في الشعر العباسي

قلَّ شعر الحنين إلى الأوطان في العصر العباسي نسبة إلى العصرين الجاهلي والأموي، وذلك للاستقرار واتساع المدن وانتشار الحضارة واختلاط الشعوب، فكانت بغداد درة العواصم وملتقي الثقافات، وأصبحت الحياة مدنية بعيدة عن البداوة مصدر الشوق والحنين. ومع ذلك كانت هناك بعض الأصوات التي تحس بالحنين عند الهجرة أو الفراق والبعد طلباً للرزق أو هرباً من جور الولاة والسلاطين.

ومادام حب الأوطان غريزة في النفوس والحنين إلى الأهل والبلاد طبيعة في الجبلة فقد ظهر هذا الحنين والشوق في شعر الشعراء، ولاشك أن بعضاً من هذا الشعر كان تقليداً لأساليب الجاهليين والأمويين الذين اعتادوا الهجرة والنقلة، ونقف عند جمهرة من هؤلاء الشعراء العباسيين الذين حنوا إلى أوطانهم واشتاقوا إلى مراحب صباهم، ومن هؤلاء الشعراء ابن ميادة (ت 149هـ) الذي يشتاق إلى البادية ويحن إلى حرّة ليلي بديار قيس، وقيل لبني مرة بن عوف من ذبيان: <sup>(1)</sup>

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة  
بلادها نيطت عليّ تمائي  
وهل أسمعنّ الدهر أصوات هجمي  
صهبيّة صفراء تلقني رباعها  
بحرّة ليلي حيث ربّنتني أهلي  
وقطّعتني حين أدركني عقلي  
تطالع من هجل خصيب إلى هجل <sup>(2)</sup>  
بمُنْعَرَج الصّمان والجرع والسّهل

(1) شعر ابن ميادة ص 199 - 200، تحقيق حنا حداد، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1982.

(2) المهجمة القطعة الكبيرة من الإبل، ما بين الثلاثين إلى المائة. الهجل: المتسع من الأرض.

نَحْنُ فَبَاكِي كَلَّمَا دَرَّ شَارِقُ      وَذَاكَ عَلَى الْمُشْتَاكِ قَتَلَ مِنَ الْقَتْلِ  
فَإِنْ كُنْتَ عَنْ تَلِكِ الْمَوَاطِنِ حَابِسِي      فَأَيُّبِرْ عَلَيَّ الرِّزْقَ وَاجْمَعِ إِذَا شَمَلِي

ويستثير نوح الحمام حنين الشعراء إلى الأهل والأوطان، قيل: مرَّ بشار الأعمى (ت 167هـ) أو غيره<sup>1</sup> بباب الطاق، فسمع صياح قُمريّة فقال لغلامه: انطلق فإن وجدت هذه القُمريّة بجناحها فاشترها ولو بوزنها ذهباً، فوجدتها بجناحها، فاشترها بثلاثة دنانير، فأخذها فلمسها بيده، ثم قال:

نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ بِبَابِ الطَّاقِ      فَجَرَّتْ سَوَابِقُ دَمْعِكَ الْمُهْرَاقِ  
طَرَسَتْ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ بِحُرْقَةٍ      فَشَجَّتْ فَوَادَّ الْمَاهِمِ الْمُشْتَاكِ  
لَمِنَ الْفِرَاقِ وَجُدَّ حَبْلٌ وَتِينُهُ      وَسَقَاهُ مِنْ سُمِّ الْأَسَاوِدِ سَاقِي  
يَا وَبِحُجَّةٍ مَا قَصَدُهُ قُمْرِيَّةٌ      لَمْ تَدْرِ مَا بَغْدَادُ فِي الْأَفَاقِ  
كَانَتْ تُفَرِّخُ فِي الْأَرَائِكِ وَرَبِّهَا      كَانَتْ تُفَرِّخُ فِي فُرُوعِ السَّاقِ  
فَأَتَى الْفِرَاقُ بِهَا الْعِرَاقَ فَاصْبَحَتْ      بَعْدَ الْأَنْبَسِ تَنُوحُ فِي الْأَسْوَاقِ  
بِي مِثْلِ مَا بَكَ يَاحَامَةَ فَاسَالِي      مَنْ فَكَّ أَسْرَكَ أَنْ يَحْمَلَ وَثَاقِي  
إِنَّ الْحَامِئِمَ لَمْ تَزَلْ بِحَنِيزِهَا      قَدِمَا تُبْكِي أَعْيُنَ الْعُشَّاقِ  
ثم أطلقها.

ومن يتعد عن وطنه يحنُّ إلى أحبائه، فتشتد به الغربة ويشعر أنه مُقسَّم، جسمه في أرض وروحه في وطنه مع من يحب، فحياته في الغربة عذاب وعبث، قدم ابن المولى محمد بن عبد الله (ت 170هـ) في بعض سِنِيهِ الْعِرَاقِ، فأخفق وطال مقامه وضجر، فاشتاق إلى المدينة، وقال: <sup>2</sup>

(1) لم ترد الأبيات في ديوانه، وتنسب الأبيات أيضاً لعبد الله بن طاهر (ت 230هـ) ولليان بن أبي اليان البندنجي (ت 284هـ) الشاعر الضريع، راجع: ابن المرزبان ص 71، وانظر مصادر تحريج الأصل للمحقق جليل العطية.

(2) المنازل والديار ص 245، وغير الثاني في الأغاني 3/ 289.

ذهبَ الرجالُ فلا أَحْسُ رجالا  
وأرى المرَّجِي للعراقِ وأهلِهِ  
وطَرِئْتُ أَنْ ذَكَرَ المدينةَ ذاكِرُ  
وجعلتُ أنظرُ في السَّماءِ كأنِّي  
طَرِباً إلى أهلِ الحجازِ وتارةً  
وأرى الإقامةَ بالعراقِ ضلّالا  
ظمانَ هاجرةً يُؤمِّلُ آلا  
يومَ الخميسِ فهاجَ لي بلبالا  
أبغى بناحيةَ السماءِ هلالا  
أبكي بدمعٍ مُسبِلِ إنسابلا

وفي رواية مؤثرة جرت في مجلس الرشيد فيه حنين الشاعر الغريب يحيى بن طالب الحنفي (ت 180هـ) الذي ركبهُ الدَّين فرحل من وطنه، وصار يشتاق إلى كل ما في الوطن من أرض وماء وشجر، ومحمد الحنفي رجل من أهل اليمامة، كان أديباً كريماً، فابتاع من عامل السلطان غلّة مما تحت يده يريد بها الربيع، فأصاب الناس باليمامة قحط ومسغبة، ففرق يحيى تلك الغلّة وأطعمهم إياها، وأن محلّ الوفاء، ولم يكن له شيء، فهرب إلى الري، وبها توفي، وقد غنى إسحاق الموصلي بين يدي الرشيد بهذه الأبيات فطرب الرشيد وسأل عن قائل الشعر فأخبر بخبره وأنه من أهل اليمامة وهرب إلى الري من دين غلبه، فأمر الرشيد أن يكتب إلى عامل الري بقضاء دينه وإعطائه نفقة، فوصل الكتاب إلى الري يوم مات يحيى بن طالب، والشعر هو: (1)

ألا هل إلى شمِّ الخزامى ونظرة  
فأشربَ من ماءِ الحججلاء شربةً  
فيا أثلاتِ القاعِ من بطنِ توضح  
ويا أثلاتِ القاعِ قلبي موكِّلُ  
إلى قزقري قبل المماتِ سبيلُ  
يُداوى بها قبل المماتِ عليلُ (2)  
حنيني إلى إظلالِ كُنْ طويلُ  
بكنَّ وجذوى تَبْلِكُنْ قليلُ

(1) المنازل والديار ص 228-229.

(2) الحججلاء: بئر باليمامة.

ويا أثلاث القاعِ قد ملَّ صُخْبتي      ومقامي فهل في ظِلِّكُنَّ مَقِيلُ  
أحدتُ عنكِ النفسَ أن لستُ راجعاً      إليك فهَمِّي في الفؤادِ دَخِيلُ  
أريدُ رجوعاً نحوكم فيصُدُّني      - إذا رُمْتُه - دَيْنٌ عليّ ثَقِيلُ

ويحس أبو حية النميري (ت 183هـ) إلى أرضه وأهله بالغُوير ويتمنى أن يسعد مع أحبائه بنسائم بلده: <sup>(1)</sup>

الأهل إلى نصِّ النَّواعجِ بالضُّحى      وشمَّ الخزامى بالغُويرِ سبيلُ  
بلاذٌ بها أمسى الهوى غير أنني      أميلُ مع المقدارِ حيثُ يميلُ  
وأنشد حماد بن إسحاق الموصلي: <sup>(2)</sup>

أحبُّ بلاذَ الله ما بينَ صارةَ      إلى غطفانَ إذ يصبوبُ سحابها  
بلاذٌ بها نيطتُ عليَّ تمائمِ      وأولُ أرضي مسَّ جلدي ترايبها

ويحس الشاعر إلى وطنه ويهديه التحيات والحياة في ظل جبل الوشل هي نعيم الدنيا عنده، قال: وأنشدها أبو عثمان المازني النحوي <sup>(3)</sup>

اقرأ على الوشلِ السلامَ وقُلْ له      كلُّ المواردِ مُذْ هُجرتَ ذَمِيمُ  
جبلٌ يُبَيِّفُ على الجبالِ إذا بدا      بين الغدائرِ والرمالِ مَقِيمُ  
تسري الصِّبا فتبيثُ في الواذِ      ويبيثُ فيه من الجُتوبِ نَسِيمُ  
سقياً لظلكِ بالعشيِّ وبالضُّحى      ولبرِّدِ مائكِ والمياهِ همِيمُ  
لو كنتُ أملاكُ منعَ مائكِ لم يدقْ      من برِّدِ مائكِ ما حينتُ لثِيمُ

(1) المنازل والديار ص 248، وفي الزهرة 1/380 منسوبان للنميري وليس هو الراعي، والبيتان في شعر أبي حية النميري ص 190 ما نسب له ولغيره، تحقيق يحيى الجبوري ط وزارة الثقافة، دمشق 1975.

(2) رسائل الجاحظ 2/399.

(3) وتنسب الأبيات للمقام الأسدي، رسائل الجاحظ 2/403 معجم البلدان 5/377.

ويشكو أشجع السلمي (ت 195هـ) من عذاب الغربية وشدة الشوق والحنين، يقول مصوراً ما يعانیه من هذا العذاب، فهو يسهر الليل باكباً متفكراً متأماً لا يستقر به مضجع: <sup>(1)</sup>

وَمُغْتَرِبٍ يَنْقِضِي لَيْلَهُ      فَنُوناً وَمُقَلَّتُهُ تَدْمَعُ  
يُؤَزِّقُهُ نَائِيَهُ فِي الْبَلَا      دِفَمَا يَسْتَقِرُّ بِهِ مَضْجَعُ  
إِذَا اللَّيْلُ الْبَسَهُ ثَوْبَهُ      تَقَلَّبَ فِيهِ فَتَى مَوْجَعُ

ويعيش سفيان بن عيينة الهلالي (ت 198هـ) هذه التجربة، ويشعر بالضياح والتمزق وأوجاع الحنين، ويصورها هذه الحال بقوله: <sup>(2)</sup>

جَسْمِي مَعِي غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمْ      فَالْجِسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالرُّوحُ فِي الْوَطَنِ  
فَلْيَعْجَبُ النَّاسُ مِنِّي أَنَّ لِي بَدَنًا      لَارُوحٍ فِيهِ وَلِي رُوحٌ بِلَا بَدَنِ

ويغلب الشوق والحنين عُلَيَّة بنت المهدي (ت 210هـ) أخت هارون الرشيد، وقد صحبها الرشيد إلى الرِّيِّ، فتشعر بالغربة وتحنُّ إلى بغداد، فلما صارت بالمرج عملت شعراً، وصاغت فيه في طريقة الرمل وغنته به، والشعر هو: <sup>(3)</sup>

وَمَغْتَرِبٍ بِالْمَرْجِ يَبْكِي لَشَجْوِهِ      وَقَدْ غَابَ عَنْهُ الْمَسْعُدُونَ عَلَى الْحَبِّ  
إِذَا مَا آتَاهُ الرَّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ      تَنْشَقُّ يَسْتَشْفِي بِرَائِحَةِ الرَّكْبِ

فلما سمع الرشيد الصوت علم أنها قد اشتاقت إلى العراق وأهلها به، فأمر بردّها. وقد تقاذفت بعض الشعراء البلدان والأوطان فهم في حِلٍّ وترحال لا يطمثون إلى

(1) المنازل والديار ص 248، وفي أشجع السلمي حياته وشعره ص 226-227 خلاف، جمع وتحقيق خليل بنان الحسون، ط دار المسيرة، بيروت.

(2) الحنين إلى الأوطان ص 86، خاص الخاص ص 116، الإعجاز والإيجاز ص 175، ودون نسبة في مصارع العشاق 260/2.

(3) أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق للصولي ص 60، عني بنشرة: ج. هيورث. دن، ط دار المسيرة، بيروت 1979.

بلدانهم إما هرباً من السلطان أو طلباً للرزق، ولذلك فهم يشكون هذه الحال ويتمنون الاستقرار في أوطانهم آمنين، ومن أولئك كلثوم بن عمرو العتّابي (ت 220 هـ) الذي يشكو من هذه الحال: <sup>(1)</sup>

حتى متى أنا في حلٍّ وترحالٍ      وطولٍ همٍّ بإدبار وإقبالٍ  
أكابِدُ الدهرَ لا أنفكُ مغترباً      عن الأجيّة لا يدرون ما حالي  
في مشرق الأرضِ طوراً ثم مغربها      لا يخطرُ الموتُ من ذكرى على بالي

ويهبج صوت الحمام الشعراء فيعانون آلام الغربة، ويتجرعون غصصها، ويألمون ويككون هوىً وحنيناً وشوقاً إلى الأوطان والأحباب، وفي المجموع اللطيف <sup>(2)</sup> رواية تقول: خرج عوف بن محلم (ت 220 هـ) مع عبد الله بن طاهر (ت 230 هـ) لما أراد خراسان، فلما صار بالري نزل تحت دوحة، وجاء عوف فأخذ يجادته تحتها، فبينما هما كذلك، إذ صدح طائر من الدوحة، فقال عبد الله: يا عوف، قاتل الله أبا كبير الهذلي <sup>(3)</sup> حيث يقول:

ألا يا هامم الأيكِ إلفك حاضراً      وغضنك مبادٍ ففيم تنوح  
أفئق لا تنح من غير شيءٍ فإئنني      بكيث زماناً والفؤادُ صحيحُ  
ولوعاً فشطت غربة دارُ زينبٍ      فها أنا أبكي والفؤادُ قريحُ

فقال عوف: والله أيها الأمير، لقد أحسن، فقال عبد الله: أجز يا عوف، فقال: أيها الأمير، إن شعري قد رق، فيمهلني الأمير، ففعل، فغدا عليه فأنشده: <sup>(4)</sup>

(1) العقد الفريد 3/208، الحنين إلى الأوطان ص 80، بهجة المجالس 1/231، المحاسن والساوىء 1/307.

(2) للقاضي أمين الدولة محمد الحسيني الأفظي ص 213-214.

(3) عامر بن الحليس، شاعر جاهلي أدرك الإسلام. الشعر والشعراء ص 257، سبط اللاليء ص 387، معجم الأدباء 5/2138.

(4) المجموع اللطيف ص 214، و الأبيات مع بيتين آخرين لعوف بن محلم في معجم الأدباء 5/2138، وطبقات ابن المعتز ص 187، والحنين إلى الأوطان لابن المرزبان ص 74، ومراجع أخرى مع خلاف يسير في رواية الشعر.

أفي كل عام غربةً ونزوحُ  
لقد طَلَّحَ البَيْنُ المُشِيثُ ركائبي  
وأزقني بالزَّيِّ نَوْحُ حمامةٍ  
على أُنْها ناحت ولم تَذرِ دمعَةً  
وناحت وفرخاها بحيثُ تراهما  
عسى جودُ عبدِ الله أن يعكسَ النوى  
فإنَّ الغنى يُدني الفتى من صديقه  
أما للنوى من وَنيَةٍ فزُوحُ  
فهل أَرَيْنَ البَيْنَ وهو طليحُ  
فَنُحْتُ وذو الشَّجْوِ القريحِ ينوحُ  
ونُحْتُ وأسرابُ الدموعِ سُفوحُ  
ومن دون أفراسي مهابةٌ فيحُ  
فتلقى عَصَا الأسفارِ وهي طريحُ  
وإنَّ النوى بالمُقترينَ طَرُوحُ

وكان أبو تمام (231هـ) كثير الترحال والتنقل، لا يقرب به قرار في بلد حتى ينتقل إلى آخر طلباً للعطايا ممن يمدحهم من الخلفاء والولاة في مشارق الدولة ومغاربها، فهو شبيه الخضر في كثرة تغربه في البلاد، وكان يحن إلى أهله وأحبابه، يقول: <sup>(1)</sup>

ما اليومُ أولُ توديعٍ ولا الثاني  
دَعِ الفراقُ فإنَّ الدهرَ ساعدهُ  
خليفةُ الخضرِ مَنْ يربِّعُ على وطنِ  
بالشامِ أهلي وبغدادِ الهوى وأنا  
وما أظنُّ النوى ترضى بما صنعتُ  
خَلَفْتُ بالأفقِ الغزبيُّ لي سَكناً  
البينُ أكثرُ من سوتِي واخزاني  
فصارَ أملكَ من رُوحِي بجُثماني  
في بلدةٍ فظهورُ العيسِ أوطاني  
بالرَّقَتينِ وبالفُسطاطِ إخواني  
حتى تُطَوِّحَ بي أقصى خُراسانِ  
قد كانَ عَيْشي به حُلُوقاً بِحُلُوانِ

ويتذمر أبو تمام من صروف الزمان وتقلباته، وجور الحكام وضياع القيم، فهو وأمثاله غرباء في هذا الزمان، يُساسون بالقهر والظلم وكان أحدهم عبداً أجدع: <sup>(2)</sup>

(1) ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي ص 2/ 156-158 ط دار الكتاب العربي، بيروت.

(2) الديوان 1/ 399-400.

لقد سأسنا هذا الزمان سياسةً      شدي لم يسسها قطُ عند مجدع  
 تروح علينا كل يومٍ وتغتدي      حطوبٌ كأن الدهر منهن يُصرعُ  
 حلت نطفٌ منها لنكسٍ وذو النهى      يُدافُ له سُمٌّ من العيشِ مُنقعُ  
 فإن نكُ أهملنا فأضعف بسعينا      وإن نكُ أجبرنا فقيم نُستعج<sup>(1)</sup>

وهو كغيره من شعراء العصر يشعرون أنهم غرباء في هذا الزمان، الذي كثر فيه اللثام وتسلطوا، رغم أن الكرام كثير بأفعالهم رغم قلتهم، واللثام قليل في فعالهم وإن كثروا، فهذا الزمان عجب وهو فيه غريب:<sup>(2)</sup>

إن الكرام كثير في البلاد وإن      قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا  
 لا يذممتك من ذمائمهم عددٌ      فإن جلتهم بل كلهم بقر  
 وكلما أمست الأخطار بينهم      هلكت تبيّن من أمسى له خطر

ولا يرى العيب فيه ولا في أمثاله، ولكن العيب في الزمان الذي يترصد لكل ذي عقل، فيدوف له السم الزؤام، في الوقت الذي تحلو الحياة لكل جاهل عيسى، والدنيا كالسيل فهو حرب للمكان العالي:<sup>(3)</sup>

عادت له أيامه مسودةً      حتى توهم أنهن ليالي  
 لا تُنكري عطل الكريم من الغنى      فالسئل حرب للمكان العالي

ويجد نفسه غريباً في زمن ضاعت فيه القيم، ووجد كل شيء مزيفاً، وصار الناس في هذا الزمان وحوشاً متكالبه، ولا يملك الكريم إلا أن يتحول عن أهل هذا الزمان:<sup>(4)</sup>

(1) التعتة: ترديد الكلام.

(2) الديوان 1 / 329.

(3) 38 / 2.

(4) الديوان 2 / 50 - 51.

ساقطع أمطاء المطايا برحلة  
 فلم أجِد الأخلاق إلا تخلفاً  
 وأصرف وجهي عن بلادِ غداها  
 وجدُّ بها قومٌ سوايَ فصادفوا  
 كلابٌ أغارت في فريسةٍ صَنِيعِمْ  
 إلى البلدِ الغربيِّ هَجراً ومُوصِلاً  
 ولم أجِدِ الأفضالَ إلا تَقْضِلاً  
 لساني مشكولاً وقَلْبِي مُقْفَلاً  
 بها الصُّنْعَ أعشى والزمانَ مُعْفَلاً  
 طُرُوقاً وهامٌّ أطمعت صيدَ أجِداً

والغريب المفارق مستوحش حزين يتقطع الماء وحينئذ، وهو يذرف الدمع السخي ومشاهد الفراق وما يتبعها من غربة وشوق وحنين كثيرة في الشعر العربي، نقف عند بعض الأشعار التي عانى أصحابها ألم الغربة والحنين.

ومن هؤلاء الشعراء علي بن الجهم (ت 249 هـ) الذي أبعده عن بلاده ونفي عن وطنه بفعل كيد الخصوم وغضب السلطان، كان ممن يحضر مجالس المتوكل ويمدحه، ولكنه كان يكيد لخصومه من الشعراء من أمثال البحتري والحسين بن الضحاك ومروان بن أبي الجنوب، وأحمد بن حمدون وغيرهم، فكان يكيد لهم ويكيدون له وزعموا أنه يطعن على الخليفة ويعيبه ويزري بالخلافة، فغضب عليه المتوكل وأمر بحبسه، وابن الجهم يرسل للخليفة من سجنه قصائد البراءة والمديح. وبقي الشاعر مع كل ما لقي من ضيم وإذلال متمسكاً قوياً، عزيز النفس لم يكسره ما نزل به، قال مصوراً كبريائه وصبره: (1)

قالت حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ  
 أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثُ يَأْلَفُ غَيْلَهُ  
 والشَّمْسُ لولا أنها محجوبةٌ  
 والبدرُ يُذِرْكُمُ السَّرَّاءُ فتنجلي  
 جبسي وأيُّ مَهْنَدٍ لا يُعَمِّدُ  
 كِبِراً وأوباشُ السَّبَاعِ تَرَدُّدُ  
 عن ناظريكِ لما أضَاءَ الفَرَقْدُ  
 أيامُهُ وكأَنَّهُ مُنَجَّدُ

(1) ديوان علي بن الجهم ص 41-42.

وكلما همَّ المتوكل بالعمو عنه افتنَّ الخصوم في الكيد له، فأمر المتوكل بمصادرة أمواله ونفيه إلى خراسان، وأمر واليه طاهر بن عبد الله بن طاهر أن يصلبه يوماً إلى الليل ثم يحبسه، فلما وصل إلى الشادياخ حبسه طاهر ثم أخرجه فُصِّلب يوماً إلى الليل مجرداً من ثيابه ثم أنزل إلى الحبس، وفي ذلك يقول ابن الجهم يصف حاله من قصيدة: <sup>(1)</sup>

لم ينصبوا بالشادياخ عشيةً      الإثنين مسبوقةً ولا مجهولاً  
نصبوا بحمد الله ملاءً قلوبهم      شرفاً وملاءً صدورهم تبجيلاً  
ما ازداد إلا رفعةً بنكوله      وازدادت الأعداء عنه نكولاً

ومكث في سجن طاهر زمناً، ثم رُقَّ له المتوكل، وكتب إلى طاهر بإطلاقه، فأطلقه ووصله وحمله وكساه <sup>(2)</sup>.

ولما انجلت المحنة عن ابن الجهم وخرج من السجن، لم يجد له صديقاً يواسيه، وساء ظنه بالناس، وسئم العيش، فزهّد بالدنيا واشتاق إلى الوطن بعد أن ذهب أهله ومات من يحبهم، فصار في خراسان يجاور المقابر ويرتاح إلى مجالسة الموتى، روى أبو الفرج عن رجل من أهل خراسان، قال: «رأيت علي بن الجهم بعد ما أطلق من حبسه جالساً في المقابر، فقلت له: ويحك ما يجلسك هاهنا؟! فقال: <sup>(3)</sup>

يشتاق كلُّ غريبٍ عند غربته      ويذكر الأهل والجيران والوطنا  
وليس لي وطنٌ أمسيْتُ أذكُرُهُ      إلا المقابر إذ صارت لهم وطناً

قال أسامة بن منقذ: لي أبيات تنظر إلى هذا المعنى، وهي: <sup>(4)</sup>

(1) ديوان ابن الجهم ص 171، والأغاني 10/253، وانظر في محنته: عن الشعراء والأدباء ليحيى الجبوري ص 185-

192 ط دار الغرب الإسلامي بيروت 2003.

(2) الأغاني 10/254.

(3) الأغاني 10/270، الديوان 184، المنازل والديار ص 225.

(4) المنازل والديار ص 225، ولم ترد في ديوانه المطبوع.

أشتاق أهلي وأوطاني وقد مُلِكتُ  
دوني وأفنَى الردى أهلي وأحبابي  
فأستريح إلى رؤيا القبور ففي  
أمثالها حَلَّ لإخواني وأترابي  
ولستُ أحيا حياةً أستلِدُ بها  
من بعدهم ولحاقِ القومِ أولى بي

وعاد ابن الجهم إلى داره في شارع دُجبل ببغداد، ولم يتصل بالخليفة في سامراء، وآثر العزلة

وانصرف عن الناس، وانصرف الناس عنه، وظل يعيش في بلده غريباً وكثيراً ما كان ينشد: <sup>(1)</sup>

طلبُ المعاشِ مُفَرِّقٌ  
بين الأحيّةِ والوطنِ  
ومَصِيرٌ جَلَدُ الجليدِ  
إلى الصّراعةِ والوهنِ  
حتى يُقَادَ كما يُقَا  
دُ النَّضْوِ في ثنيِّ الرّسنِ  
ثمّ النيّةُ بعدَ ذا  
فكأنّه ما لم يَكُنْ

وكان ابن الجهم بطبعه يؤثر السلامة والدعة ولا يحب الغربة وفراق الوطن، ومما

كان ينشده في هذا المعنى: <sup>(2)</sup>

عمركَ ما كلُّ التعطّلِ ضائرٌ  
ولا كلُّ شُغْلٍ فيه للمرءِ منفعةٌ  
إذا كانت الأرزاقُ في القُربِ والنّوى  
عليك سواءٌ فاغتمم لذة الدّعة  
وإن ضيّقت فاضربِ ففرج الله ما ترى  
ألا كلُّ ضيقٍ في عواقبه سعةٌ

وفي سنة 249هـ، هجم الروم على الثغور الإسلامية وخرج ابن الجهم يقاتل فيمن

قاتل، وفي عودته طعن، فاحتمله الناس وكان ينزف دمه فلما أحس بالموت اشتاق إلى

وطنه وجعل يقول: <sup>(3)</sup>

أزيد في الليل ليلٌ  
أم سال بالصبح سيئٌ  
ذكرتُ أهلاً دُجبلِ  
وأين مني دُجبلِ <sup>(4)</sup>

(1) ديوانه ص 189.

(2) ديوانه ص 194، ومعجم الأدياء 6/ 2703، وابن المرزبان ص 55-56 وفيه زيادة البيت الثالث.

(3) الديوان ص 170، والأغاني 10/ 279.

(4) دجيل: نهر خرج من أعلى بغداد، بين تكريت وبينها، مقابل القادسية دون سامراء. معجم البلدان - ياقوت: دجيل.

فأبكى كل من كان معه في القافلة، ومات مع السحر، فدُفن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب، وحين نزلت ثيابه بعد موته، وُجد معه رقعة فيها أبيات تقول: <sup>(1)</sup>

وارحمتا للغريب في لبلد النا زح ماذا بنفسه صنعا  
فارق أجابهُ فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا  
كان عزيزاً بقُرب دارهم حتى إذا ما تباعدوا خشعا  
يقول في نايهِ وعُربَتِهِ عَدْلٌ من الله كل ما صنعا

وهكذا ارتاح الشاعر بعد رحلة عذاب، وغربة وحنين ومعاناة من مكاييد الحاسدين ذفاق صنوف الحبس والصلب والمصادرة والغربة والتشريد. <sup>(2)</sup>

وهذا شاعر آخر يعاني الغربة ويشتاق إلى وطنه ويخص شمسب بوان الذي يجلو القلب من الهموم ويزيل الكرب، لما فيه من خصب وطيب ماء وهواء، ويرسل الشاعر رسالة حنين وسلام مع الريح: <sup>(3)</sup>

إذا أشرفَ المحزونُ من رأسِ تَلَعَةٍ على شِعْبِ بَوَّانِ أفاقٍ من الكَرْبِ  
وَأَلْهَاءِ بَطْنِ كَالْحَرِيرَةِ مَسُّهُ وَمُطَرِّدٍ يَجْرِي مِنَ الْبَارِدِ الْعَذْبِ  
فبِاللهِ يَارَيْحَ الْجَنُوبِ تَحْمَلِي إِلَى شِعْبِ بَوَّانِ سَلامَ فَتَى صَبِّ

ومن الشعراء المجيدين الذين وصفوا الغربة وحال الغريب النازح عن بلده وما يعاني من ذل وحيرة وهموم وحنين إلى وطنه العراق، الحسن بن مخلد بن الجراح (ت 269هـ) الذي وصف حال الغريب وهو يريد حاله هو، وما يكابده من هموم وحيرة وضياع: <sup>(4)</sup>

مَنْ لِلْغَرِيبِ النَّاظِحِ الْوَطْنِي مَنْ لِلْغَرِيبِ أَسْرِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ

(1) الديوان ص 154، تاريخ بغداد 11 / 369، والمقد الفريد 6 / 256.

(2) عن الشعراء والأدباء ص 192.

(3) الحنين إلى الأوطان ص 89، ذيل الأماي ص 127، معجم البلدان: بوان.

(4) ابن المرزبان 67، الرواي بالوفيات للصفدي 2 / 268، تاريخ ابن عساكر 6 / 30.

مَنْ لِلغَرِيبِ الَّذِي لَا مَسْتَرَاخَ لَهُ  
يُنْسِي وَيُضْبِحُ لَا أَهْلًا وَلَا وَلَدًا  
خَلَى الْعِرَاقَ وَقَدْ كَانَتْ لَهُ وَطَنًا  
لَا خَيْرَ فِي عَيْشِ نَائِمِي الدَّارِ مَغْتَرِبٍ  
يَا أَهْلَ كَمْ فَاتَنِي مِنْ حُسْنِ مُسْتَمَعٍ  
مِنْ الْهَمُومِ وَلَا حِظًّا مِنَ الْوَسَنِ  
وَلَا يَعُودُ إِلَى جِخْلٍ وَلَا سَكَنِ  
لَا خَيْرَ فِي عَيْشٍ مَنْقُولٍ عَنِ الْوِطَنِ  
يَأْوِي إِلَى حَزَنِ نَاهِيكَ مِنْ حَزَنِ  
مِنْكُمْ وَفَارَقْتُهُ مِنْ مَنْظَرٍ حَسَنِ

والغريب في دار الغربة يستحق الرحمة، هو ذليل مهان، إذا حضر مجلساً فهو منسي مهمل لا يُرحب به، وإذا تكلم تعاف كلامه الأسعاع، وهو في نظر القوم مخطيء حتى لو أصاب، ولذلك فهو أهل للرحمة كأنه بين الناس مذنب مدين: <sup>(1)</sup>

إِنَّ الْغَرِيبَ لَهُ اسْتِكَانَةٌ مُذْنِبٍ      وَخُضُوعٌ مَدْيُونٍ وَذُلٌّ غَرِيبٍ <sup>(2)</sup>  
فَإِذَا تَكَلَّمَ فِي الْمَجَالِسِ مُبْرَمٌ      وَإِذَا أَصَابَ يُقَالُ غَيْرٌ مُصِيبٍ  
فَإِذَا الْغَرِيبُ رَأَيْتَهُ مُتَّحِيْرًا      فَارْحَمْ تَحِيْرَهُ لَفَقْدِ حَبِيبٍ

ولاشك أن الغريب يشعر دائماً بالذلة والمهانة، ولأجل ذلك يوصي أحد الغرباء بالرفق به،

فمن غير الحق أن يجتمع عليه ذل الغربة والندامة، وقسوة خلق الله من لا قلوب لهم: <sup>(3)</sup>

لَا تَنْهَرَنَّ غَرِيبًا طَالَ غُرْبَتُهُ      فَالْدَهْرُ يَضْرِبُهُ بِالذُّلِّ وَالْحَيْنِ  
حَسْبُ الْغَرِيبِ مِنَ الدُّنْيَا نَدَامَتُهُ      عَضُّ الْأَنَامِلِ مِنْ شَوْقٍ إِلَى الْوِطَنِ

والشاعر الذي يسكن بلداً، ومن يجب في بلد آخر فهو غريب يحن إلى أحبابه فكأنه

ذو نفسين كل واحدة في بلد وكذلك من يجب، وقد عبّر عن هذه الحال خالد بن يزيد

الكاتب (ت 269هـ) في أبياته: <sup>(4)</sup>

(1) الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان ص 68، والبيت الأول في بهجة المجالس 1/ 224.

(2) في بهجة المجالس: وخضوع مديانٍ وذُلُّ مُرِيبٍ .

(3) المنازل والديار ص 220.

(4) الحنين إلى الأوطان ص 85، وبيتان من القطعة مع خلاف يسير في الرواية في معجم البلدان 1/ 46، ومصارع العشاق

لجعفر السراج ص 641، تحقيق بسمة الدجاني، ط وزارة الثقافة، عمان 2004.

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي كَوَدُّ      لَا أَسْتَطِيعُ أَبْتُ مَا أَجَدُّ  
 نَفْسَانِي لِي: نَفْسٌ تَضْمَنُهَا      بَلَدٌ وَأُخْرَى حَاوَاهَا بَلَدٌ  
 فَإِذَا الْمَقِيمَةُ لَيْسَ يَنْفَعُهَا      صَبْرٌ وَلَيْسَ يُقِيمُهَا جَلَدٌ  
 وَأُظُنُّ غَائِبَتِي كَشَاهِدَتِي      فَكَأَنَّمَا تَجَدُّ الَّذِي أَجَدُّ

والغربة الزمانية - كما مر - واضحة في شعر شعراء العصر العباسي، ومنهم البحري (ت 284 هـ) الذي يشكو الفقر والغربة وتقلب أحوال الزمان، قال هذا وهو في مدينة آمد حيث البرد والجليد، فهو يعاني غريبتين غربة الوطن وغربة الطبيعة: <sup>(1)</sup>

مَنْ كَانَ يَحْمَدُ أَوْ يَدُومُ زَمَانَهُ      هَذَا فَمَا أَنَا لِلزَّمَانِ بِحَامِدٍ  
 فَقَرُّ كَفَقْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَغُرْبَةٌ      وَصَبَابَةٌ لَيْسَ السَّبَابُ بِوَاحِدٍ  
 وَاتَّجِهْ يَخَاطِبُ حَبِيبَتَهُ اللَّائِمَةَ:

كُنْفِي فَقَدْ أَلْهَاهُ عَنْ حَرِّ الْمَوِي      حَدَّثَ أَطْلَلُ مِنَ الْمَوَائِدِ الْبَارِدِ  
 كَيْفَ الْمَقَامُ بِأَمْدٍ وَبِلَادِهَا      مِنْ بَعْدِ مَا شَاهَبَتْ مَفَارِقُ أَمْدِي <sup>(2)</sup>  
 ضَحِكْتَ فَأَبْكَتَ عَيْنَ كُلِّ مُتَوِّهِ      مُتَقَلِّبِلِ تَحْتَ الضَّرِيبِ الْجَامِدِ <sup>(3)</sup>

ويتذمر من جور الزمان وميله مع القوي وضياع حق الفقير ويشكو البؤس وتغلب القوي الظالم، فهو في زمن القهر والضياع، وما تجدي الشكوى في زمن تسلط القروء: <sup>(4)</sup>

أَجْزُ مِنْ عَلِيَّةِ الصَّدْرِ الْعَمِيدِ      وَسَكُنْ نَافِرَ الدَّمْعِ الشَّرُودِ  
 فَمَا جَزَعُ الْجَزُوعِ مِنَ اللَّيَالِي      بِمُخْرِزِهِ وَلَا جَلَدُ الْجَلِيدِ  
 فَيَا وَنِعَ الْحَوَادِثِ كَيْفَ تُعْطِي      شَقِيَّ الْقَوْمِ مِنْ حَظِّ السَّعِيدِ

(1) ديوانه 1/ 264.

(2) آمد: تعرف اليوم بديار بكر، كانت لسورية واقطعها الأتراك مع ما اقتطعوا منها أيام الاحتلال الفرنسي.

(3) المموء: السحاب ينصب ماؤه. الضريب: الجليد.

(4) الديوان 1/ 314.

وكيفَ تجورُ إن همتَ بحُكْمِ فتحمِلَ للغويِّ على الرشيدِ  
وما يرحتُ صُروفُ الدهرِ حتى أرنتنا الأسدَ قتلى للقُروِدِ

وهو غريب في زمانه وبين أناس أشرار لا يخبر مظهرهم عن مخبرهم فهم أوغاد،  
ومواعيدهم الخُلف، متقلبون أناس سوء، سئم من سوء فعالمهم، فهمم بغال في لباس  
أناس: (١)

تقاذفُ بي بلادٌ عن بلادٍ كأني بينها جملُ شروِدُ  
وأيّنَ يكونُ مغترَّبُ بدهرٍ شريدٌ في حوادثِهِ طريدُ  
وحلَّقني الزمانُ على أناسٍ وجوهُهُم وأيديهم حديدُ  
لهم حُللٌ حَسَنٌ فهُنَّ يَبِضُّ وأخلاقٌ سَمُجَنَ فهُنَّ سُودُ  
وأخلاقُ البغالِ فكلُّ يومٍ يعنُّ لبغضهم حُلُقُ جديدُ

ويرى نفسه غريباً في هذا الزمان الذي اختلفت فيه القيم والموازن وأصاب أحراره

الضيمُ وذهب خيار الناس وساد جُهاهم: (٢)

وعيرتني سجالُ العُذمِ جاهلةٌ والنبعُ عزيانُ ما في فرعه نمرُ  
وما الفقيرُ الذي عيرتِ آونةً بل الزمانُ إلى الأحرارِ مُفتقرُ  
لم يبقَ من جُلِّ هذا الناسِ باقيةٌ ينأها الفهمُ إلا هذه الصورُ  
جهلٌ ويُخلُّ وحسبُ المرءِ واحدةً من تينٍ حتى يُعفى خلفه الأثرُ  
إذا محاسني اللاتي أدلُّ بها كانت ذنوبي فقل لي كيفَ اعتذرُ  
أهزُّ بالشعرِ أقواماً ذوي وِسَنٍ في الجهلِ لو ضربوا بالسيفِ ما شعروا  
عليّ نحتُ القوافي من مقاطعها وما عليّ لهم أن تفهمَ البقرُ

(1) الديوان 1 / 250.

(2) الديوان 1 / 410.

ويسافر الحسن بن محمد المهلبى إلى البصرة في أيام وزارته (ت 352هـ)، وينزل بمساربان من ضواحي البصرة<sup>(1)</sup>، ثم ارتحل إلى الأهواز، فوجدوا في بيته بيتين كتبها على الحائط في البصرة فيها شوق عاشق وحنين مشتاق إلى بغداد: <sup>(2)</sup>

أحنُّ إلى بغدادَ شوقاً وإنما      أحنُّ إلى ألفِ بها لي شائقُ  
مقيم بأرضٍ غبتُ عنها وبدعةً      إقامةً معشوقٍ ورحلةً عاشقِ

أما المتنبى (ت 354هـ) فقد كان يشعر بالغرابة في مجتمعه، فغرته غربة نفسية نابعة من تضخم الأنا والتمرد وحب الحكم والتسلط، وقد نشأ المتنبى ثائراً ناقماً على الحياة الفاسدة التي كانت سائدة في عصره، حيث الفسق والترف الذي يعيش فيه الملوك والأمراء، وقد رأى أن الخلافة صارت نهياً يتحكم فيها السفهاء والجهال، من جنود الترك الذين بغوا وأفسدوا وظلموا، وقد أعلن معارضته ونقمته على الفساد فأدى به إلى السجن، وحاول أن يصل للحكم عن طريق التقرب من الحاكمين، فلم يستطع أن يحقق طموحه، وعاش حياته غريباً في مجتمعه، نفوراً من واقعه، وكان كثيراً ما يصرح بأنه غريب في هذه الأمة: <sup>(3)</sup>

ما مقامي بأرضٍ نخلة إلا      كمقام المسيح بين اليهود<sup>(4)</sup>  
ويتحدث عن بطولته وفروسيته، وقد سئم تجواله في الأرض طلباً للمجد والرزق:  
ضاق صدري وطال في طلب الرزق      في قيامي وقلِّ عنه قعودي  
أبدأً أقطع البلادَ ونجمي      في نحوس وهمتي في سعودي  
ولعلي مؤملٌ بعض ما أبـ      لعلَّ باللطف من عزيز حميد

(1) وكانت مقراً للبريديين. تجارب الأمم 2م 53، و60، و112.

(2) أدب الغرباء ص 76.

(3) ديوان المتنبى 2/ 44-48، شرح عبد الرحمن البرقوثي.

(4) نخلة: قرية لبني كلب قرب بعلبك.

ولكن لم يجد ما يطمح إليه، فلا حياة مع الذل والهوان، بل يعيش كريماً عزيزاً، يقاتل ويطلب العز، بين طعن القنا وخفق البنود:

عش عزيزاً أو متت وأنت كريمٌ      بين طعن القنا وخفق البنود  
 فرووس الرماح أذهب للغيث      عظ وأشفى لغل صدر الحقود  
 لا كما قد حيت غير حميد      وإذا متت متت غير فقيد  
 فاطلب العز في لظى وذر الدُّ      ل ولو كان في جنان الخلود

وهو عزيز كريم يَشْرَفُ بنفسه وأفعاله ولم يتكء على شرف النسب وإن كان نسبه أشرف من أي نسب:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي      وبنفسي فخرت لا بجوددي  
 وبهم فخر كل من نطق الضأ      دَ وعوذ الجاني وغوث الطريد

وهو معجب بنفسه لأنه لم يجد من هو أعز منه وأعلى، فهو الشاعر من أصل كريم يحسده الناس والخصوم لبطولته، وهو غريب بين قومه كالأنبياء بين أقوامهم:

إن أكن مُعجِباً فمُعجِبٌ عجيبٌ      لم يجد فوق نفسه من مزيد  
 أنا تذبُّ الندى وربُّ القوافي      ويسامُ العدا وغيظُ الحسود  
 أنا في أمّة تداركها اللـ      هُ غريبٌ كصالح في ثمود

ولكثرة ترحاله من بلاط إلى آخر، يجتاب الأرض ويفارق الأهل والصحاب، فقد

ألفَ الغربةَ وجعل الفراق توأمه: (1)

أما الفراق فإنه ما أهدُّ      هو توامي لو أن بيننا يولدُ  
 ولقد علمنا أننا سنطبعه      لما علمنا أننا لا نخلدُ  
 من خصّ بالدم الفراق فإتني      من لا يرى في الدهر شيئاً يُحمدُ

وهو غريب في هذا الزمن الذي ساد فيه الجهلة الجبناء البخلاء ولم يجد فيهم من هو أهل لمصاحبتة ووده، فهو يذم الزمان وأهله: (1)

أذمُّ إلى هذا الزمانِ أهيلَهُ فاعلمتهم قَدَمٌ وأحزمتهم وَغَدُ  
وأكرمهم كلبٌ وأبصرهم عَمٍ وأسهدتهم فَهَدٌ وأشجعهم فَرْدُ  
ومن تكذِّ الدنيا على الحُرِّ أن يرى عدوًّا له ما من صداقته بُدُّ  
وأرحمُ أقواماً من العميِّ والغَبا وأغدرُ في بُغضي لأهمُّ ضدُّ

وهو في غربته يشتاقي إلى الأهل والوطن، ويأتي العيد وكل حبيب يضاحك حبيبه، أما هو فمن يضاحك في غربته، وفي عينيه دموع الشوق والاعتراب، فقد كثر البعد وعزَّ اللقاء: (2)

يُضاحِكُ في ذا العيدِ كلَّ حبيبه حِذائي وأبكي من أحبِّ وأنذبُ  
أجنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم وأين من المشتاقِ عنقاء مُغربِ

ويتدبر أمره وينظر في حاله فلا يجد إلا الغربة والضياع، فلا شيء يسعده ولا أحد يواسيه، وقد سئم ما هو فيه من حيرة وضياع، وعدَّبه هذا الطموح الكبير، ولكن ما الفائدة، لا ينفع ولا يدوم في هذه الدنيا سرور ولا حزن: (3)

بِمَ التعلُّلُ لأهلٍ ولا وطنٌ ولانديمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنُ  
أريدُ من زماني أن يُبلِّغني ماليس يبلغُهُ من نفسه الزمنُ  
لا تلقَ دهرَكَ إلا غيرَ مُكترِثٍ مادامَ يصحبُ فيه روحَكَ البدنُ  
فما يدومُ سرورٌ ما سُررتَ به ولا يرُدُّ عليك الفاتتَ الحزنُ

(1) الديوان 2/ 92-95.

(2) الديوان 1/ 307.

(3) 364-363/4.

وقد تحمل الكثير من نوائب الزمان وهو غريب فيه، يحمل همومه وجاء في زمن

غير زمنه: (1)

الدهرُ يعجبُ من حملي نوائبهُ      وصير جسمي على أحداثه الحطيم  
وقت يضيعُ وعمرٌ ليت مُدَّتُهُ      في غير أمته من سالف الأمم  
أتى الزمانُ بنوهُ في شيبته      فسرههم وأتيناة على الهرم

ويذم هذا الزمان الذي صار صغاراً الناس عليه متحكمين، وليس لهم عقول، فلا

تغرك ضخامة أجسامهم، فمعادهم تراب: (2)

فؤادٌ ما تسليه المدام      وعمرٌ مثل ما تب اللثام  
ودهرٌ ناسه ناس صغار      وإن كانت لهم جئت ضخام  
وما أنا منهم بالعيش فيهم      ولكن معدن الذهب الرغام  
أرانب غير أنهم ملوك      مفتحة عيونهم نيام

وكان المتنبي في حِلٍّ وترحال دائمين، فقد ألفت الغربية، وصار الفراق توأمه، وفي

ذلك الزمن الرديء عاش المتنبي قلقاً هارباً متنقلاً، اتصل بسيف الدولة ومدحه فلم يحقق طموحه، وهرب إلى مصر واتصل بكافور، فلم يغنم الولاية التي يطمح إليها، ثم فر إلى العراق، وعاش حياته هارباً مطارداً، يطارده القرامطة ويطارده حساده وخصومه، ولقي آخر الأمر مصرعه بالعراق مقاتلاً بطلاً على يد القرامطة.

وفارس آخر من فرسان الشعر العربي عاش حياة الغربية، وظل ينشد في الحنين إلى

الوطن، ذلك هو الفارس البطل أبو فراس الحمداني (ت 357 هـ) الذي عانى غربة الوطن وغربة الأسر، وأبو فراس هو ابن عم سيف الدولة، الذي كان فارساً شجاعاً كريماً، له كل عام

(1) الديوان 4/ 295-296.

(2) الديوان 4/ 190-191.

غزوة في بلاد الروم، وفي سنة إحدى وخمسين وثلثمائة أغار الروم على مدينة حلب، وقتلهم سيف الدولة ولكنه هُزم، واستطاع الروم أن يأسروا أبا فراس ويأخذوه إلى القسطنطينية، وبقي أسيراً سجيناً عانى آلام الغربية والسجن والحزن إلى الوطن، وطالت غربته أكثر من عامين ولم استطع سيف الدولة أن يفتديه ويفك أسره، وكان أبو فراس يرسل له شعر الشكوى وهي قصائد كثيرة عرفت بالروميات، يستنجد فيها بآبئ عمه أن ينقذه من محنة الأسر والغربة، ويصور حاله في ظلمة السجن وعذاب الغربية: (1)

دعوتك للجفن القريح المسهد	لدي، وللنوم القليل المشرّد
وما ذاك بخلأ بالحياة وإنما	لاول مبذول لأول مجتد
وتأبى وأبى أن أموت مؤسداً	بأيدي النصارى موت أكمّد أكبّد
نضوت على الأيام ثوب جلادي	ولكنني لم أنص ثوب التجلّد
أقلب طرفي بين حل مكبل	وبين صفي بالحديد مصفّد
دعوتك والأبواب تُزجج دوننا	فكن خير مدعو وأكرم مُنجد
فمثلك من يدعى لكل عزيمة	ومثلي من يُفدى بكلّ مسود

وبقي في أسره وسجنه حزينا متألماً، وسمع حمامة تنوح على شجرة فهيجت

أشجانه، وصار يخاطبها ويشكو لها همومه ومحنته: (2)

أقول وقد ناخت بقربي حمامة	أيا جارتا هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى	ولا خطرت منك الهوم بيال
أحمل محزون الفؤاد قوادم	على غصن نائي المسافة عال
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا	تعالى أقاسمك الهوم تعالي
تعالى ترني روحاً لدي ضعيفة	تردد في جسم يُعدب بال

(1) ديوان أبي فراس ص 68-69، تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد حماني، ط دار الشرق العربي، بيروت 1992.

(2) الديوان ص 174-175.

أَيْضُحْكُ مَأْسُورٌ وَتَبْكِي طَلِيقَةً  
لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَىٰ مِنْكَ بِالِدَمْعِ مُقْلَةً  
وكان في أسره دائم التفكير بأمه التي كثر بكاؤها وحنينها، وطال صبرها على فراق

ابنها الأسير، فكتب إليها يواسيها ويوصيها بالصبر الجميل: <sup>(1)</sup>

مُصَابِي جَلِيلٌ وَالْعِزَاءُ جَمِيلٌ  
جِرَاحٌ تَحَامَاهَا الْأَسَاءَةُ خَوْفَةٌ  
وَأَسْرٌ أَقَاسِيهِ وَلَيْلٌ نَجْوَمُهُ  
فِيَا أُمَّتَا لَا تَعْدَمِي الصَّبْرَ إِنَّهُ  
وَيَا أُمَّتَا لَا تُخْطِئِي الْأَجْرَ إِنَّهُ  
وظنني بأن الله سوف يُدِيلُ  
وُسُقْمَانٍ: بَادٍ مِنْهَا وَدَخِيلُ  
أَرَىٰ كُلَّ شَيْءٍ غَيْرَ مَنْ يَزُولُ  
إِلَى الْخَيْرِ وَالنُّجْحِ الْقَرِيبِ رَسُولُ  
عَلَى قَدْرِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَزِيلُ

ويذكرها بصبر أساء بنت أبي بكر ذات النطاقين، حين صبرت على قتل ابنها عبد

الله بن الزبير، واحتسبته الله، فالمصائب في الدنيا كثيرة في كل مكان وزمان:

أَمَا لِكَ فِي ذَاتِ النَّطَاقِينَ أَسْوَةٌ  
أَرَادَ ابْنُهَا أَخَذَ الْأَمَانَ فَلَمْ تُجِبْ  
تَأْسِي كِفَاكِ اللَّهِ مَا تَحْذِرِينَهُ  
بِمَكَّةَ وَالْحَزْبُ الْعَوَانُ تَجُولُ  
وَتَعْلَمُ عِلْمًا أَنَّهُ لَقَتِيلُ  
فَقَدْ غَالَ هَذَا النَّاسَ قَبْلَكَ حَوْلُ

ويجن التهامي علي بن محمد (ت 416) إلى أهله وأحبابه في الحجاز، ويتمنى أن

تعود ليالي الحب والصفاء التي فقدتها في البعد والغربة: <sup>(2)</sup>

اسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ رِشَا  
بِاللَّهِ يَا شَوْقُ رِفْقًا بِالْفَوَادِ فَمَا  
وَأَنْتِ يَا وَصْلُ عُنْجٍ فِي رِنَعٍ فُرْقَتِنَا  
وَسَقُّهُ مِنْ حَيَا التَّقْرِيبِ سَارِيَةً  
فِي رَوْضَةِ الْقَلْبِ مَاوَاهُ وَمَرْتَعُهُ  
أَطِيقُ أَكْثَرَ مِمَّا أَنْتِ تَصْنَعُهُ  
عَسَاكَ تَجْمَعُ شَمْلًا عَزَّ جَمْعُهُ  
فَإِنَّهُ دَائِرٌ قَدْ مَحَّ مَوْضِعُهُ <sup>(3)</sup>

(1) الديوان ص 171.

(2) المنازل والديار ص 220، ويعارض في هذه الأبيات من قصيدة، عينية ابن زريق البغدادي التي مطلعها لا تعذلي فإن

العدل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس بسمعه. ولا توجد الأبيات في ديوان التهامي المطبوع.

(3) الحيا: الغيث، السارية: السحابة تسري ليلاً، مُحَّ: درس وانمحي.

عسى الليالي بأرطاني سلفت      ترجفن فيه رجوعاً لا نودعه  
 وكان أسامة بن منقذ (ت 584هـ) قد عانى من الغربة والتشرد والنكبات وظلم  
 المحتل الغاصب، فشاع في شعره البكاء والحنين لمن فقد، والشكوى من الأسر والغربة،  
 يقول يشكو ظلم الزمان: <sup>(1)</sup>

علام يادهر بالعدوان تجبني      في غير جنسي ولم أفقد ولم أغب  
 هلابأدنى العذابين اقتنعت لنا      فالذبح أروح من تعذيب مغرب  
 ويشكو من طول الغربة وترحله في البلاد وقد كبرت سنه وكثرت همومه وقارب  
 التسعين: <sup>(2)</sup>

أهكذا أنا باقي العمر مغرب  
 لا تستقر جيادي في معربها  
 ناء عن الأهل والأوطان والسكن  
 حتى أروغها بالشد والظعن  
 ويشكو من البعد والغربة، ويحن إلى اجتماع الشمل، وقلبه تستعر فيه نيران الحنين  
 إلى لقاء الأهل والأوطان: <sup>(3)</sup>

أين السلث من المروع بالنوى      أبداً فلا وطن ولا خلان  
 عيد البرية موسم لعويله      وسروزم فيه له أحزان  
 وإذا رأى الشمل الجميع تراحمت      في قلبه الأمواه والنيران  
 ودائماً يهيج أشجان الغريب نوح الحمام ويذكره بغربته فيحن إلى أهله ووطنه: <sup>(4)</sup>  
 تبكي لأنتك الحمام وطالما      هاج الجوى لأخي الهوى تغريده  
 يراقد الأجفان عن قلب الحشا      وهان ألقى طرفه تسهيدة

(1) ديوانه ص 106، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، ط عالم الكتب، بيروت 1983.

(2) ديوانه ص 154.

(3) ديوان أسامة بن منقذ ص 154.

(4) ديوانه ص 113.

ماذا عليك إذا بكى أحبابه ذو غربة نائي المحل بعيده  
ويرى أسامة أن البعد عن الحبيب غربة، والغربة موت، وغربة الموت أقسى ما  
يعانيه الغريب، ورب حي هو ميت في غربته: (1)

أحبابنا من غاب عمّن يوده فسيان عندي بُعدُه واقترابه  
إذا الميت وارى شخصه عقر الثرى فهل يُدنيته أن يقل ترابه  
وكل غريب الدار فالأرض دونه وإن كان حياً فالجائم اغترابه

### من أثار الغربة في سبيل الغنى

وهناك اتجاه آخر يبرر الرضى بالغربة والصبر على فراق الأوطان، مادام في الغربة  
الكسب والغنى، وكل الأرض وطن، ومن الشعر الذي يروج لهجرة الأوطان في سبيل  
العزائم قول إبراهيم بن العباس الصولي (ت 243هـ) الذي يقول: (2)

لا يصبر فنتك عن عزمهم به نزوع نفس إلى أهل وأوطان  
تلقى بكل بلاد أنت ساكنها أرضاً بأرضي وإخواناً بإخوان

والذل في الوطن غربة ولا خير في العيش إذا نبت الأوطان فالرحيل أولى، وفي هذا  
القول تنفيس عن الحزن الذي يجده الشاعر شكر بن أبي الفتوح السليمانى (ت 453 هـ)  
في قوله: (3)

قوض خيامك عن أرضي ثمأن بها وجانب الذل إن الذل يجتنب  
وارحل إذا كانت الأوطان نايبة فالمندل الرطب في أوطانه حطب

(1) ديوانه ص 104.

(2) ديوانه في الطرائف الأدبية ص 151، وفي ديوان المعاني 2 / 534، أنشدها أبو سرح، مع خلاف يسير في اللفظ.

(3) المنازل والديار ص 240، ومآثر الأنافة 1 / 246، تحقيق عبد الستار فراج، ط الكويت.

وكذلك يرى صرد محمد بن عبد الله (ت 465هـ) الذي يبحث على الهجرة في قوله: <sup>(1)</sup>

قَلْبُ رِكَابِكَ فِي الْفِلا  
فمخالفو أوطانهم  
لولا التَّفَرُّبُ ما ارتقى  
دُرُّ البُحُورِ إلى النُحُورِ  
وَدَعِ الغَواني فِي القِصُورِ  
كشبيه سُكَّانِ القُبُورِ

وقال آخر يسوغ الاغتراب: <sup>(2)</sup>

لأرْحَلَنَّ المِطايِرِ خَلَّةً عَجَباً  
فكُلُّ خِلا إِذا صافيتُهُ سَكَنُ  
يكونُ أدنى مداها الصينُ أو عَدَنُ  
وكُلُّ أرضٍ إِذا أَحمدتها وَطَنُ

وقد سبق هؤلاء البحري (ت 284هـ) الذي يروى له قوله: <sup>(3)</sup>

إِذا نلتَ في أرضٍ معاشاً وإنْ نأتُ  
فما هي إلا بلدةٌ مثلَ بلدةٍ  
فلا تُكَيِّزُنَّ فيها نِزاعاً إلى الوطنِ  
وخيرُهما ما كانَ عَوناً على الزمنِ

وقال البحري أيضاً: <sup>(4)</sup>

كم مَشْرِقِي لي قد نَقَلتُ نِوالَهُ  
وأحَبُّ أوطانِ البلادِ إلى الفِتى  
فجَعَلتُهُ لي عُدَّةً للمغربِ  
أرضٌ يَنالُ بها كَريمَ المَكسَبِ

(1) ديوانه ص 210 ط دار الكتب، والمنازل والديار ص 238.

(2) المنازل والديار ص 238.

(3) المنازل والديار ص 237، وليس البيتان في ديوان البحري، وهما في محاضرات الأدباء، 273/2 منسوبان لأبي نواس،

وليسا في ديوانه.

(4) المنازل والديار ص 237-238، ديوان البحري 60/1.

### التنضيس عن الكربة في الغربية بالكتابة على الأبنية والجدران

ومن الطريف أن يلتفت أبو الفرج الأصفهاني (ت 356 هـ) إلى الغرباء وأحوالهم وآلامهم في ديار الغربية وما كانوا يعبرون به عن غربتهم ويحاولون أن يخففوا من آلامهم، فألّف كتاب أدب الغرباء الذي حققه ونشره العالم الأديب الدكتور صلاح الدين المنجد عن مخطوطة فريدة<sup>(1)</sup>، وهو كتاب طريف فريد في بابه، وقد بيّن أبو الفرج موضوع الكتاب وأهم ما جاء فيه في قوله:<sup>(2)</sup>

«وقد جمعتُ في هذا الكتاب ما وقع إليّ وعرفته، وسمعتُ به وشاهدته، من أخبار من قال شعراً في غربة، ونطق عمّاً به من كُرْبَةٍ، وأعلن الشكوى بوجده إلى كلِّ مسرِّدٍ عن أوطانه، ونازح الدار عن إخوانه، فكتبَ بما لقيَ على الجدران، وبأحَّ بسره في كلِّ حانةٍ وبستان، إذ كان ذلك قد صار عادةً الغرباء في كلِّ بلدٍ ومقصد، وعلامةً بينهم في كلِّ محضِرٍ ومشهد، فأرى الحال تدعو إلى مشاكلتهم، وحيث الزمان يقود إلى التحلّي بِسَمْتِهِمْ».

وهذه بعض المواقف والمشاهد منقبتسة من هذا الكتاب النفيس

#### 1- ما يكتبه الغرباء على الجدران:

ولد أحمد بن هشام عن أبيه قال:<sup>(3)</sup> كنتُ في جملة عسكر المأمون حين خرج إلى بلد الروم، فدخل وأنا معه إلى كنيسة قديمة البناء بالشام عجيبية الصور، فلم يزل يطوفُ بها، فلما أراد الخروج قال لي: من شأن الغرباء في الأسفار، ومن نزحت به الدار عن إخوانه وأترابه، إذا دخل موضعاً مذكوراً، ومشهداً مشهوراً أن يجعل لنفسه فيه أثراً، تبركاً

(1) نشر دار الكتاب الجديد، بيروت 1972.

(2) أدب الغرباء ص 21.

(3) أدب الغرباء ص 23.

بدعاء ذوي الغربة، وأهل التقطع والسياسة. وقد أحبيت أن أدخل في الجملة، فابغ لي دواة، فكتب على ما بين المذبح<sup>(1)</sup> هذه الأبيات:

يا معشر الغرباء ردكم  
قلبي عليكم مُشفقٌ وجلٌ  
ولقيتُم الأخبارَ عن قُربِ  
فشفأ الإلهُ بحفظكم قلبي  
إني كتبتُ لكي أساعدكم  
فإذا قرأتُم فاعرفوا كتبي

وكان بعضهم يكتبون على جدران القصور التي يزورونها استشهاداً بشعر الأقدمين، وذلك ما كتبه أبو جعفر من شعر لبيد بن ربيعة العامري: <sup>(2)</sup>

المرءُ يأملُ أن يعيشَ  
تودي بشاشتهُ ويعقبُ  
وطولُ عيشٍ قديضُهُ  
بعدَ حُلُو العيشِ مُرُهُ  
ونسوؤه الأيامُ حتَّى  
لا يرى شيئاً يسُرُهُ  
كم شامتٍ بي إن هلكتُ  
كثُ وقائلي اللهُ دُرُهُ

قيل: فما لبث إلا قليلاً.

حدث بعض بني نوبخت قال: لما اجتاز الرشيد في طريقه إلى خراسان أقام بخلوان أياماً ثم رحل، فوجد بخط على حجر كان بالقرب منه: <sup>(3)</sup>

حتى متى أنا في حلٍّ وترحالٍ  
ونازح الدارِ لا أنفكُ مُغترباً  
وطولِ سغيٍ وإدبارِ وإقبالِ  
عن الأجيّةِ لا يدرونَ ما حالي  
بمغربِ الأرضِ طوراً ثم مشرقها  
لا يخطرُ الموتُ من حرصي على بالي  
ولو قبعتُ أتاني الرزقُ في دعةٍ  
إنَّ القنوعَ الغنى لا كثرةُ المالِ

(1) المذبح: الموضع الذي تقيم فيه الكهنة القداس في الكنائس وتذبح الذبيحة غير الدموية. أقرب الموارد.

(2) أدب الغرباء ص 23 - 24، ديوان لبيد ص 356، تحقيق إحسان عباس، مع خلاف في رواية الشعر.

(3) أدب الغرباء ص 30.

قال: وحدثني أيضاً<sup>(1)</sup> قال: قال لي رجل من أهل الشام: اجتزت بمنارة الإسكندرية، فدخلتها لأرى عجيب بنائها وما أسمع من صفتها، فإني لأطوفُ فيها فمررتُ بموضعٍ في أعلاها فيه خطوط الغرباء والمجتازين قديمةٌ وحديثة، وإذا في جملة ذلك موضعٌ مكتوب بحبرٍ بيِّن: يقول محمد بن عبد الصمد: وصلتُ إلى هذا الموضع في سنة سبعين ومائتين. وصلتُ إليه بعد نَصَبٍ وشقاء، وملاقاةٍ ما لم أحسبُ أني ألقى، ولم أحبِّ الانصراف عنه إلا بعد أن يكون لي به أثر، فقلت هذه الأبيات وكتبتها فيه:<sup>(2)</sup>

شَرَّدْتَنِي نَوَائِبُ الْأَيَّامِ      وَرَمَّتَنِي بِصَابِئَاتِ السُّهُامِ  
فَرَّقَتْ بَيْنَ مَنْ أَحَبُّ وَبَيْنِي      وَنَحَّ قَلْبِي الْمَتِيمِ الْمُسْتَهَامِ  
لَهَفَ نَفْسِي عَلَى زَمَانٍ تَقْضَى      فَكَأَنِّي رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ

قال: وكنت بجامع الرصافة في مدينة السلام يوم الجمعة، وأظن ذلك في سنة إحدى أو اثنتين وخمسين وثلاث مئة، فمرت بي رقعةٌ قد حُذِفَ بها، كما تفعل العامةُ برقاع الدعاء، فأخذتها غير معتمد، فإذا فيها بخطٌ مليح في معنى خطوط الكتاب:<sup>(3)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم:

رَحِمَ اللَّهُ مَنْ دَعَا لَغَرِيبٍ      مُذْنَفٍ قَدْ جَفَاهُ كُلُّ حَبِيبٍ  
وَرَمَاهُ الزَّمَانُ مِنْ كُلِّ قَطْرِ      فَهَوَ لَا شَكَّ مَيِّتٌ عَنْ قَرِيبٍ

قال: وحدثني شيخ لنا قال: قرأتُ على حائط مقبرة سيبويه<sup>(4)</sup> مكتوباً:

رَحِلَ الْأَجْبَةُ بَعْدَ طَوْلٍ تَوَجُّعٍ      وَنَأَى الْمَزَارُ فَاسْلَمُوكَ وَأَوْجَعُوا

(1) المحدث هو أبو الطيب أحمد بن محمد المخزومي.

(2) أدب الغرباء ص 31.

(3) أدب الغرباء ص 33.

(4) قيل إن سيبويه دفن بالبصرة، وقيل إنه دفن بشيراز. تاريخ بغداد 12 / 198.

تركوك أوحش ما يكون بقفرة لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا  
قال: وقرأت على حائط مسجد الجامع بدسكرة الملك<sup>(1)</sup>: حضر فلان الصروي<sup>(2)</sup> في سنة  
ثلاث وخمسين ومئة، وهو يقول: <sup>(3)</sup>

سقى الله أيام التواصل غيئة ورد إلى الأوطان كل غريب  
فلاخير في دنيا بغير تواصل ولاخير في عيش بغير حبيب

وكتب مغترب بغدادي على صخرة بجزيرة قبرس: قذف بي الزمان إلى هذا المكان: <sup>(4)</sup>  
فهل نحو بغداد معاذ فيشتفي مشوق ومجظى بالزيارة زائر  
إلى الله أشكو لا إلى الناس، أنه على كشف ما ألقى من الهم قادر

وفي إكرام الغريب قيل: قال حمزة بن القاسم: قرأت على بعض قصور آل المهلب: <sup>(5)</sup>  
نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان في زمن المخل  
فما زال بي إكرامهم وافتقارهم ويرثهم حتى حسبتهم أهلي

وبلغ أحد المغتربين بلاد اليونان وكتب على جدار الحصن:

بسم الله الرحمن الرحيم. يقول فلان بن فلان: من وصل إلى هذا الموضع بعدي  
فليعجب من قصتي، وليرث لمحتي. خرجت هارباً من الإملاق، وتضايق الأرزاق،  
فعدل بي عن السداد، وتمت في البلاد، وبلغ بي الدهر إلى هذا القصر: <sup>(6)</sup>

(1) دسكرة الملك: قرية في طريق خراسان قريبة من شهربان، وكان هُرمز بن سابور يُكثر المقام بها فسميت بذلك. ومعنى

الدسكرة: الأرض المستوية. معجم البلدان 2/ 575.

(2) نسبة إلى نهر الصراة من أنهار بغداد. مراصد الاطلاع 2/ 836.

(3) أدب الغريب ص 34.

(4) أدب الغريب ص 42.

(5) أدب الغريب ص 44.

(6) أدب الغريب ص 69.

فيا ليت شعري متى ينقضي عنائي وتكشفت عني المحن  
شريداً طريداً قليل العزا و سحيق المحل بعيد الوطن

قال: فاستطرفنا أن تكون الغربية بلغت إنساناً إلى ذلك المكان.

وقال: حدثني فتى من أهل الموصل قال: كنت سائراً بالساحل في طريق مكة، وإني لفي بعض الطريق إذ سمعت صوتاً - ولا أرى أحداً - وهو يقول: (1)

نفسى الفداء لنفسي كل غريب وفداء كل مفارق لحبيب  
لعبت به الأيام في تصرفها ونأت به عن صاحب وقريب

فحفظت البيتين، ولما وصلت إلى جبل بالقرب من الموضع كتبتُهما على جانبه، ومضيتُ فأقمتُ بالرملة شهوراً، وعدتُ فاجتزتُ بالموضع الذي كنتُ كتبتُهما فيه، فإذا تحته مكتوب:

نحن نفديك يا ظريفَ الفعالِ أبداً بالنفوسِ والأموالِ  
أنقلتنا الأبياتُ بالشكرِ حتى قد ضعفنا عن نيله بمقالِ  
أنا ممن نأى وفارقه الإلـ ففأمسى مُعَيَّرَ الأحوالِ  
ولعلَّ الزمانَ يرحمُ ضِعفي فتعودُ الأيامُ لي بالوصالِ

قال: ولا أدري لمن الشعر الأول والثاني.

ومن أخبار العشاق الغرباء، ما رواه صالح بن عبد الرزاق قال: حججتُ فرأيتُ في تطوافي على حائط المسجد الحرام مكتوباً: (2)

يا أهل مكة قد قُنتُ بظبية ترعى دياركم فهل من مُسعودِ

(1) أدب الغرباء ص 72 .

(2) أدب الغرباء ص 78 - 79 .

إني غريبٌ والغريبُ مُسَاعِدٌ      ذو صَبْوَةٍ فارثوا لطولِ تكذُّري  
إني احتشمتُ لقاءكم وخطابكم      فكتبتُ ما ألقى ببابِ المسجدِ  
فحفظت الأبيات، ولم أدِر لمن هي.

وأقمتُ بمكة أياماً، فدخلتُ إلى مجلسٍ جارية لبعض أهل مكة تغني بالقضيب<sup>(1)</sup>، في نهاية الطيب والحلِّق، فأعجبني وأطربني، فغنت في آخر مجلسها:

قالوا غداة غدٍ رحيلُ الموسمِ      وفراقٌ من تهوى بأنفٍ راغِمِ  
ففرزتُ زفرةَ عاشقي متحيرٌ      ويكيثُ من جَزَعٍ بدمعٍ ساجِمِ  
هذا وما حُمَّ الفراقُ فكيف لو      قالوا الرحيلُ يكونُ حالَ الهائمِ

فقام فتى في آخر المجلس فصاح، وعَضَّ ثيابه، ولطم خدّه، ولم يزل يقول ويبيكي:  
هل ينفعُنِّي كتابي      على المساجدِ ما بي  
أم لا فأقتلُ نفسي      فلأنني في عذابِ  
فعلمتُ أن الأبيات المكتوبة على المسجد الحرام له، وأنه عاشقٌ للجارية.

وكانوا يرون، وما زالوا أن فقد الأجابة في الأوطان غربة، فكيف إذا اجتمعت الغربية وفقد الأجابة ١٢، جاء في أدب الغرباء<sup>(2)</sup>: قرأت على فناء المسجد الجامع بمتوث، وهي مدينة بين سوق الأهواز وبين قُرقوب<sup>(3)</sup>، عند اجتيازي بها مكتوباً: حضر المؤمل بن جعفر البندنجي في شهر رمضان من سنة سبع وعشرين وثلاث مئة وهو يقول: كنا نسمع أهل العلم يقولون: فقد الأجابة في الأوطان غربة، فكيف إذا اجتمعت الغربية وفقد الأجابة، وجملة الأمر أن الذي عرفته من حال الدنيا أنه لا يفي قُرقُها بترجها، فقلت:

(1) قال المحقق: أي أنها تغني وتضرب بالقضيب على نخدة من الجلد لضبط النغمة.

(2) ص 32.

(3) معجم البلدان - باقوت: متوث.

يا مَنْ على الدنيا يُجاذبُ      وعلى زخارفها يُغاضبُ  
لا تطلُبَنَّ وصالها      ليست لصاحبها بصاحب  
بيننا تراها عنده      إذ فارقتهُ ولم تُراقب  
إنسي خبرتُ حديثها      يا صاحٍ من طولِ التجاربِ

وإذا تحته مكتوبٌ بغير ذلك الخط:

صدقتُ صدقتَ وعندِي الخبرُ      سأحدّرُ منها ركوبَ الخطرِ  
وأهملُ نفسي على حالةٍ      فإمّا انتفاعٌ وإمّا ضررُ

ومن عادة الغريب المحزون أن يتجول بين الآثار وزيارة الأماكن المعمورة أو المهجورة ليلتمس السلوة والصبر والعزاء، قال أبو الفرج الأصفهاني: حدّثني أبو محمد حمزة بن القاسم الشامي قال: <sup>(1)</sup> اجتزت بكنيسة الرّها عند مسيري إلى العراق، فدخلتها لأشاهد ما كنتُ أسمعه عنها، فبينما أنا في تطوافي، إذ رأيتُ على ركنٍ من أركانها مكتوباً بالحمرة: حضر فلان بن فلان وهو يقول: من إقبال ذي الفطنة، إذا ركبته المحنة انقطاع الحياة، وحضور الوفاة وأشدُّ العذابِ تطاولُ الأعمار في ظلّ الإدبار. وأنا القائل:

ولي همةٌ أدنى منازلها السُّها      ونفْسٌ تعالي في المكارمِ والنُّهى  
وقد كنتُ ذا حالٍ بميروٍ قريبةٍ      فبلغتِ الأيامُ بي بيعةَ الرّها  
ولو كنتُ معروفاً بها لم أقم بها      ولكنتي أصبحتُ ذا عُزْبَةٍ بها  
ومن عادة الأيامِ إبعادُ مُضطفي      وتفريقُ مجموعٍ وتنغيصُ مشتهى

فاستحسنْتُ النظمَ والنثرَ وحفظتها.

(1) معجم البلدان: الرّماء 106/3-107، أدب الغريباء ص 36-37.



## الفصل الرابع

### الغربة في التراث الإسلامي

جاءت كلمة غربة في اللغة العربية في سياقين، الأول ديني، والثاني نفسي اجتماعي، ففي السياق الديني لم ترد كلمة ( غربة ) في القرآن الكريم، وإن كانت فكرة الاغتراب التي تعني انفصال الإنسان عن الله قد جاءت في قصة خلق آدم وهبوطه من الجنة، كما وردت في سورة البقرة.

يراد بالاغتراب الديني: الانفصال أو التجنب عن الله، وجاء معنى الاغتراب في الإسلام كما يوضحه الحديث النبوي، قال رسول الله ﷺ: ( بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء )، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله، قال: (الذين يصلحون إذا فسد الناس)، فالغرباء هم فئة قليلة من أهل الصلاح والتقوى استجابت للرسول [ في مبتدأ الدعوة، ونأت بنفسها عن الشبهات والشهوات.

وقد جاء الاغتراب في الإسلام في درجات ثلاث: اغتراب المسلم بين الناس، واغتراب المؤمن بين المؤمنين، واغتراب العالم بين المؤمنين. فغربة العلماء هي أشد أنواع الاغتراب، لِقَلَّتْهُمْ بَيْنَ النَّاسِ، وقلة مشاركة الناس لهم.<sup>(1)</sup>

وحين ظهر الإسلام وانتشرت دعوته زالت الغربة عن المسلمين، ولكن سرعان ما شعر المسلمون بالغربة حين دب الطمع وكثرت الأنانية والعصية القبلية بعد مضي أقل

(1) فتح الله خليف: الاغتراب في الإسلام، مجلة عالم الفكر المجلد العاشر، العدد الأول ص 83-98، 1979.

من قرن، فعاد الإسلام غريباً كما بدأ، وعرف المسلمون الصالحون الزاهدون الغربية وعاشوا أهوالها.

وكان الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ؓ قد عاش الغربية وعانى من أهوالها، وكان أول الثائرين حين رأى اختلال ميزان العدل بين طبقات المسلمين في أول العهد الأموي، وقد أنكر على بعض الأثرياء ما هم فيه من المملذات المادية، وصدعهم بقوله المأثور: «يولدون للموت، ويعمرون للخراب، ويحرصون على ما يفنى، ويتركون ما يبقى، لا حبذا المكروهان الموت والفقر». (1)

يذكر القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ) في رسالته ما يعاينه وأبناء زمنه من الغربية فيقول: وإذا كانت الغربية قد أسرعت إلى الإسلام في عصوره المبكرة، فما حال الإسلام في زماننا. وكيف لا يغترب الإسلام في زماننا بعد أن «زال الورع وطوي ساطه، واشتد الطمع، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، وإدانوا بترك الاحترام، وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركنوا إلى اتباع الشهوات، وعاد الإسلام غريباً كما بدأ، حين تفتشت في المسلمين فتنة الشبهات والشهوات» (2).

ولاشك أن الإسلام لم يحرم التمتع بالحلال من أمور الدنيا، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾﴾ (3)، ولكن الإسلام حرم الانغماس في

(1) أبو العلاء عفيفي: التصوف، النورة الروحية في الإسلام، ص 111، ط القاهرة 1963.

(2) عن خليفة: سيكولوجية الاغتراب ص 101، ط دار غريب، القاهرة د.ت.

(3) الأعراف 32.

شهواتها التي تشغل القلب عن ذكر الله، فالاغتراب بالمعنى الإسلامي اغتراب الحياة الاجتماعية الزائفة الجارفة، اغتراب عن النظام الاجتماعي الظالم المنحرف، فالغرباء قاوموا الحياة ومغرياتها بطريقة إيجابية، فقهروا السلطتين جميعاً: سلطة الحكام وسلطة النفس بترويضها على الطاعات واعتزالهم عن الناس، فحل النظام الروحي الداخلي الذي يشيع في النفس الشعور بالأمن والأمان، محل النظام السياسي الخارجي الذي أدخل الرعب والخوف في قلوب المسلمين، بعد أن تفتت بينهم فتنة الشهوات وفتنة الشبهات.<sup>(1)</sup>

### معنى الغريبة في الإسلام

وجاء معنى الغريب والغرباء عند الصوفية بالمعنى السابق نفسه، فالغريب عندهم: من يتجنب المجتمع وما يشيع فيه من معتقدات، وينفصل عن العامة والناس، باعتبار أنهم من عوامل ضياع ذاته الأصلية، ولذلك فهو دائماً ينشد السفر والتجوال لما فيهما من كشف عن حقيقة ذاته والتعرف عليها بعيداً عن العامة.<sup>(2)</sup>

وهناك اسم آخر أطلق على (الغرباء) عند الصوفية هو اسم (النوابت) ذكره ابن باجة (ت 1138 م) في كتابه (تدبير المتوحد)، يقول: «فأما من وقع على رأي صادق لم يكن في تلك المدينة، أو كان فيها نقيضه هو المعتقد، فإنهم يسمونهم النوابت. وكلما كانت معتقداتهم أكثر وأعظم موقعاً، كان هذا الاسم أوقع عليهم، وهذا الاسم يقال عليهم خصوصاً، وقد يقال بعموم على من هو يرى غير رأي أهل المدينة، كيف كان صادقاً أو كاذباً، ونُقِلَ إليهم هذا الاسم من العشب النابت من تلقاء نفسه بين الزرع، فلنخص نحن بهذا الاسم الذين يرون الآراء الصادقة»، ويوضح دلالة هذا

(1) فتح الله خليف: الاغتراب في الإسلام، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، سنة 1979، ص 83-98.

(2) الكمشخاني: جامع الأصول: ص 88، ط الحلبي، القاهرة. عمود رجب ص 44.

الاسم بقوله: «إن النوابت هم من لم يجتمع على رأيهم أمة أو مدينة، وهؤلاء هم الذين يعينهم الصوفية بقولهم الغرباء، لأنهم وإن كانوا في أوطانهم وبين أتريابهم وجيرانهم، غرباء في آرائهم، فقد سافروا فأفكارهم إلى مراتب أخرى هي لهم كالأوطان»<sup>(1)</sup>.

ويرافق الاغتراب العزلة والتوحد؛ العزلة الجسدية وعزلة الروح، وقد رافقت العزلة الأنبياء والصالحين، وكانت من صفات الزهاد وأهل التصوف، لما تمدهم العزلة من صفاء فكري وتأمل روحاني. وقد رافقت الغربة الأنبياء، فالنبي إبراهيم تغرب حين خرج من العراق إلى الجزيرة، وتغربت معه أسرته، وخرج موسى من مصر متوارياً من ظلم فرعون وقومه، ووطأ أرض مدين غريباً فأواه شعيب وتزوج إحدى ابنتيه، وكان في غربته قد ناجى ربه قائلاً: «ياربُّ إني وحيد مريض غريب، فناداه ربه: يا موسى، الوحيد من ليس له مثلي أنيس، والمريض من ليس له مثلي طيب، والغريب من ليس بيني وبينه معاملة»<sup>(2)</sup>.

وعاش رسول الله ﷺ الغربة وهو يتحمل أذى قومه من قريش، وعاش الغربة في مقامه بمكة وعند هجرته إلى المدينة متخفياً مع أبي بكر الصديق، وكان المسلمون الأوائل غرباء بين أهلهم يتحملون الأذى وهم صابرون، واضطروا إلى الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وجاء ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾<sup>(3)</sup>، وجاء ذكر الغربة في وصف الإسلام في قول النبي ﷺ: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء)<sup>(4)</sup>. وسئل رسول الله ﷺ

(1) رسائل ابن باجة الإلهية ص 42، 43، تحقيق ماجد فخري، بيروت 1968.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 2 / 123.

(3) الحج 40.

(4) صحيح مسلم 1 / 130 ط دمشق 1955.

عن الغرباء في الإسلام، فقال: (هم الذين يزيدون إذا نقص الناس)، وفسر ابن قيم الجوزية معنى الزيادة في الحديث النبوي فقال: «الذين يزيدون خيراً وإيماناً وتقياً إذا نقص الناس من ذلك». (1)

وحين استقرت الأمور في صدر الإسلام وكثرت الفتوح، أصاب بعض القرشيين من نعيم الدنيا وكثر المال والعقار في أيديهم، وبقيت هناك طوائف كثيرة في فقر وعوز، فظهرت جماعات تدعو إلى الزهد ونبذ الترف، وفي مقدمة أولئك أبو ذر الغفاري الذي كان غريباً في بيئته، فاضطهد وطُورِدَ، وما كان يقوله في أمر المترفين أهل الترف والشراء: «يولدون للموت، ويعمرون للخراب، ويحرصون على ما يفنى، ويتركون ما يبقى، ألا حبذا المكروهان الموت والفقر» (2)، لقد دخلت الغربة في الإسلام حين كثرت العقائد والمذاهب والفرق والنظريات، فعاد الإسلام غريباً كما بدأ. وكان من أثر ذلك ظهور الزهد والزهاد الذين دعوا إلى اعتزال الناس، ونبذوا الدنيا وشهواتها وملاذها، فصاروا باعتزالهم الناس ودنياهم غرباء، والزهد صورة من صور الغربة، والزاهد مغترب وهارب من مواجهة الواقع، ومحتج على القيم السائدة التي يراها خطأً وانحرافاً، ويرى القشيري أن الزاهد: «غريب في الدنيا، والعارف غريب في الآخرة» (3).

وكانت الخلوة والاعتزال والتغرب معروفة عند العرب منذ العصر الجاهلي، وقد عرف من هؤلاء المعتزلين قس بن ساعدة الإيادي، وأميمة بن أبي الصلت، وخالد بن سنان العبسي، وزيد بن عمرو بن نفيل (4)، والخلوة والاعتزال والانسحاب إلى الذات أعلى

(1) خليف: الاغتراب في الإسلام السابق والصفحة.

(2) أبو العلا عفيفي: التصوف، الثروة الروحية في الإسلام ص 111.

(3) فصوص الحكم ص 186، ط القاهرة 1946، وانظر: الغزالي: المنقذ من الضلال ص 11.

(4) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثاني في تراجم المذكورين.

درجات الاغتراب، ومما روي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال لمعروف الكرخي: «أقلل معارفك»، فسأله معروف المزيدي من هذا النصح فقال له: «أنكر من عرفت منهم»، وقال جعفر الصادق: «لولا الموضع الذي وضعني الله فيه لسرني أن أكون على رأس جبل، لا أعرف الناس ولا يعرفوني حتى يأتيني الموت»<sup>(1)</sup>.

والفكرُ الصوفي فكرٌ غربةٍ وانعزال، سأل أحد المتصوفة ذا النون المصري: متى تصح العزلة عن الخلق؟ ومتى يصح لي طلب الزهد؟ قال: إذا كنت زاهداً في نفسك، هارباً من جميع ما يشغلك عن الله.

والخلوة الصوفية انسلاخ عن الناس وعن النفس أيضاً، وبذلك يقول البسطامي: «انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها، ثم نظرت إلى ذاتي فإذا أنا هو»، وكان ابن عربي محمد بن علي محيي الدين (ت 638هـ) يدعو في بعض رسائله إلى: «الهرب من طريق الراحة»<sup>(2)</sup>.

وهناك من يرى أن الخلوة والاعتزال عند الصوفية ليست بسبب نفورهم وزهدهم في الحياة، فهم يحبون الحياة ويتعلقون بأسبابها، ويقال إن رابعة العدوية حين ذكر أصحابها الدنيا وذمها قالت: «اسكتوا عن ذكرها، فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها، إن من أحب شيئاً أكثر من ذكره»<sup>(3)</sup>، ويرى زكي مبارك: «أن الدنيا شغلت الصوفية، فلم تخل منها قلوبهم طرف عين، ولو خلعت منها قلوبهم لما طوّقوها بقلائد الهجاء، وإنما مثلها في أنفسهم مثل المرأة المطلقة التي يحن إليها زوجها ويتمنى لو عادت لياليها»<sup>(4)</sup>.

(1) كامل الشيبني: الفكر الشيعي ص 92.

(2) رسالة الخرقه لابن عربي، مخطوط في خزانة المتحف العراقي، الورقة 56 ب، عن الاغتراب والعبقرية: عادل الألويسي ص 67.

(3) الفزالي: إحياء علوم الدين 3 / 208.

(4) التصوف الإسلامي 2 / 126.

وتتكرر في عبارات الصوفية غربة الروح، ويعرفها الهروي بقوله: «غربة طالب الحق، غربة العارف، لأن العارف في شاهده غريب، موجودة لا يحملها علم، أو يظهرها وجد، أو تطيقها إشارة أو يشملها اسم، فغربة العارف غربة الغربة، لأنه غريب الدنيا والآخرة»<sup>(1)</sup>، وغربة الصوفية غربة روحية، تتجسد في سير أعلامهم حيث اعتزلوا الحياة والناس، وحاولوا الاتصال بالله عن طريق التجرد والتسامي والاستغراق في حب الذات الإلهية، كما فعلت رابعة العدوية (رابعة بنت إسماعيل العدوية ت 135 هـ) التي بدأت حياتها لاهية جرفها تيار المجون في أول صباها، ثم جاءت الصحوة فنبذت الإثم واتجهت إلى الحب الإلهي وتخلصت من الغربة الروحية حين وجدت طريقها إلى الله وعاشت في حماه، ومن أقوالها: «آن للغريب أن يرى حماه»، وكذلك كان الحال عند بقية المتصوفة كأحمد بن عاصم الذي يقول: «إني أدركت من الأزمنة زماناً عاد فيه الإسلام غريباً كما بدأ، وعاد وصف الحق فيه غريباً كما بدأ»<sup>(2)</sup>. وإذا كانت الغربة عذاباً عند الناس فإنها عند الصوفية ليست كذلك، بل هي عشق لله وحده، وهي مرحلة يقطعها المتصوف للوصول إلى الهدف الأعظم وهو الفناء في الذات الإلهية، يقول الشاعر المتصوف أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت 243 هـ)، حاكياً طبيعة غربته:<sup>(3)</sup>

أنا في الغربة ابكي      ما بكت عين غريب  
لم أكن يوم خروجي      من بلادي بمصيب  
عجباً لي ولتركي      وطناً فيه حبيبي

(1) الهروي: التمكن في شرح منازل السائرين ص 274.

(2) ابن رجب الحنبلي: كتاب الكربة في وصف حال أهل الغربة ص 15، ط القاهرة د.ت.

(3) عادل الألومي: الاغتراب والعبقرية ص 70.

وقد يبلغ العشق الإلهي عند الصوفية إلى درجة الهيام والجنون، كما نجد عند أبي بكر الشبلي (دلف بن جحدرت 334 هـ) الذي كان والياً في دنباوند من نواحي رستاق الري، وكان حاجباً للموفق العباسي، فقد ترك أملاكه للفلاحين وتصوف، وظل سنوات يستجدي الناس إحساناً، وقد طور الشبلي مفهوم العشق إلى معنى روحي هو العشق الإلهي، وتتضح الغربة عنده بالتفرد الذي يصل إلى درجة الفناء في المحبوب، فهو غريب متفرد في هذا العشق، فيقول في غربته هذه: <sup>(1)</sup>

تغرَّبَ أمري فانفردتُ بغربتي      وأفئنتني عني فصرتُ مجرِّداً

وينوه بعشق قيس بن الملوح الذي دفعه إلى الجنون، أما الشبلي فقد كتم هواه وتفرد

بهذا العشق: <sup>(2)</sup>

باح مجنونٌ عامرٌ بهوَاهُ      وكنمتُ الهوى ففزت بوجدي  
وإذا كان في القيامةِ نودي      أين أهل الهوى؟ تقدمتُ وحدي

(1) ديوان الشبلي ص 94، جمع وتحقيق كامل مصطفى الشبيبي، ط بغداد 1967، وانظر الحنين والغربة لماهر حسن فهمي ص 21.

(2) ديوان الشبلي ص 99.

## مؤلفات المسلمين في الغربية

وقد حفل الفكر الإسلامي بالمؤلفات التي تتضمن الغربية، ومن صور الغربية الاعتزال، وقد ألف الخطابي (ت388هـ) كتاب (العزلة)، وهو صورة من صور الاغتراب، وأوضح الخطابي المراد بالعزلة وبيّن أنها نوعان: العزلة الفكرية، والعزلة عن الناس، ويرى أن العزلة التي يريدونها هي ترك فضول الصحبة ونبذ الزيادة منها، وحط العلاوة التي لا حاجة بك إليها<sup>1</sup>، ويرى أن خير العزلة ما كانت لأجل العلم وإن كانت بعيدة عن الأهل والوطن<sup>2</sup>.

وحين تناول ابن عربي (ت638هـ) فكرة الخلق والهبوط، لم يجد سوى كلمة (الغربة) وفعل (الاغتراب)، قال: «إن أول غربة اغتربناها وجوداً حسياً عن وطننا، غربتنا عن وطن القبضة عند الأشهاد بالربوبية لله علينا ثم عمرنا بطون الأمهات، فكانت الأرحام ووطننا، فاغتربنا عنها بالولادة»<sup>3</sup>.

وجاءت الفكرة نفسها، أي فكرة الانفصال عن الله سبحانه عند السهروردي حكيم الإشراق (ت550-660هـ / 1155-1261م)، في قصته الرمزية (الغربة الغربية) التي تحكي الانفصال عن الأصل (مشرق الأنوار)، والوقوع في عالم البرزخ، وكيف أن الحكمة اللدنية (المشرقية) تقود الصوفي إلى أن يعي (غربته الغربية)، أي أن يدرك عالم البرزخ بوصفه "غرباً" يقوم قبالة "المشرق"<sup>4</sup>.

(1) الخطابي أحمد بن محمد البنداري: العزلة ص 11 - 13، تحقيق عبد الغفار سليمان، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1985.

(2) العزلة ص 52.

(3) الفتوحات المكية 2 / 696، وانظر: محمود رجب: الاغتراب سيرة ومصطلح ص 40 ط 4، دار المعارف 1993.

(4) محمود رجب ص 41.

والاغتراب عن الوطن الساهوي، اغتراب يشترك فيه المؤمنون جميعاً، فالمؤمن في الدنيا غريب أو عابر سبيل، وفي هذا المعنى يقول ابن الجوزي: (1)

وحى على جنان عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم  
ولكننا سيئ العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم  
وأى اغتراب فوق غربتنا التي لها أضحت الأعداء فينا محكم

والغربة عند ابن قيم الجوزية ثلاث: «غربة أهل الله وأهل السنة ورسوله بين الخلق، وهي غربة مدحها الحديث الشريف، وغربة مذمومة وهي غربة أهل الباطل، وغربة مشتركة لا تحمد ولا تذم وهي الغربة عن الوطن» (2).

لقد كان الاهتمام بالغربة بمعناها الروحي والنفسي عند المتصوفة أن ألف بعض الكتاب المسلمين مؤلفات منها: مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، وكشف الكربة في وصف الغربة لابن رجب الحنبلي، والعزلة للخطابي، والفلاكة والمفلوكون لشهاب الدين أحمد بن علي الدلجي، ومنازل السائرين للهروي الأنصاري، وكتب الزهد والتصوف الإسلامي مثل كتب الغزالي وابن عربي والقشيري وغيرهم.

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 3/ 126، وانظر: نبيل اسكندر: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر ص 33، ط دار

المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1988.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 3/ 196.

## غربة أبي حيان التوحيدي

وأصدق من عاش الغربة وعاش ويلاتها أبو حيان التوحيدي وفي غربة أبي حيان (ت 400 هـ) يقول عبد الرحمن بدوي:<sup>(1)</sup> «وصاحبنا لا نعرف له أصلاً، إنما هو من أولئك الموالي الذين اختلطت فيهم الدماء والعناصر فكانت مركباً غريباً، على أنه كان يشعر بواشجة قريبي مع الغرباء والأفاقيين، حتى كان لا يخالط (إلا الغرباء والمجتدين والأدنياء الأردياء)<sup>(2)</sup>، وما هذا إلا لشعوره بأنه واحد منهم، إذ كان يرتد إليهم مهتماً زجره عن ذلك زاجر من كبار القوم، على أن الأرجح أن يكون فارسي الأصل، مع احتمال دخول أجناس أخرى، وبالجملة فهو آري في غالب الظن، ولا شك أنه كان يشعر بالذَّخْل العنصري الذي كان بالغاً أشده في عهده، أعني القرن الرابع الهجري، خصوصاً وبدأ عنصره يتصر، بل ويستقل بدويلات لا تكاد تربطها بمركز الخلافة إلا أوهى الروابط، ومن هنا كانت عنايته كلها بأمر الشعوبية، وما ذلك إلا لما يعانیه من تجربة أو شعور أليم يبلغ حد المأساة، لأنه شعور عنصر بأسره في كفاح حضاري مع عناصر قوية أخرى كانت لها عليه مكانة السيادة»<sup>(3)</sup> ويقول: «وصاحبنا قد لقي الأهوال من الأحياء، عرف الشقاء الذي لا يستحقه، بينما وجد التافهين يرتفعون إلى أعلى مراتب الرياسة والشرف في الدنيا. وسعى ما استطاع لطلب المثالة بين الناس (ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم)<sup>(4)</sup> فحرم ذلك كله. وزاد من شعوره بالألم أنه طلب المجد عند أناس مهتهم مهنته، أعني حرفة الأدب، لكنهم بلغوا مراتب الوزارة وهو لم ينل إلا

(1) مقدمة الإشارات الإلهية ص 7.

(2) الإمتاع والمؤانسة 7/1 ط القاهرة 1939.

(3) السابق ص 12.

(4) ياقوت معجم الأدباء 5/1930 ط إحصان عباس.

البؤس والحرمان، وظن أنهم أقدر الناس على معرفة قدره، فلم يلق منهم إلا كل نكران وتحقير وإهانة لكل كرامة.

وعاد من حيث أتى، لم يزد إلا همماً على همٍّ، ومرارة إملاق على إملاق، فلم يجد غير القرطاس يصبُّ فيه جام غضبته المقدسة، فراح يفضح "مثالبها"، أو بعض المحرومين ممن على شاكلته مثل أبي بكر القومسي الفيلسوف الذي قال هو عنه إنه: (كان بحراً عجاباً وسراجاً وهاجاً، وكان من الضر والفاقة، ومقاساة الشدة والإضاقة، بمنزلة عظيمة، عظيم القدر عند ذوي الأخطار، منحوس الحظ منهم، مُتَّهَمًا في دينه عند العوام، مقصوداً من جهتهم)، يناجيه صاحبنا ويطارح كل منهما الآخر، حديث شقائه، وهما في الحرمان والشقاء صنوان. قال لصاحبنا هذا يوماً: (ما ظننت أن الدنيا ونكدها تبلغ من إنسان ما بلغ مني: إن قصدت دجلة لأغسل منها نضب ماؤها، وإن خرجت إلى القفار لأتيمم بالصعيد عاد صليداً أملس)<sup>(1)</sup>.

ومع ذلك كان ذا أنفة نفس واعتداد بالكرامة، فلم يشأ أن يترامى على أعتاب الرؤساء، هذا الداء العضال المستحکم في الشرق حتى اليوم ويا للأسف الشديد، بل ربا بنفسه عن كل هذا قائلاً: (معاناة الضر والبؤس أولى من مقاساة الجهال والتيوس، والصبر على الوخيم الوبيل أولى من النظر إلى مُحَيِّمًا كل ثقيل)<sup>(2)</sup>، فرد عليه صاحبنا: (ما أعرف لك شريكاً فيما أنت عليه وتتقلب فيه وتقاسيه سواي، ولقد استولى عليَّ الحزف وتمكن مني نكدُ الزمان)<sup>(3)</sup>. لقد انطلق يرمي زمانه وأهل زمانه بمقذع الهجاء، شاكياً نائحاً حيناً، متمرداً عنيداً يجذّف بكل شيء حيناً آخر.

(1) معجم الأدباء - ياقوت 1926/5 ط إحصان عباس.

(2) معجم الأدباء 1927/5.

(3) ياقوت السابق والصفحة.

«كذلك فرضت عليه الوحدة في الحياة، فظل عمره لا يجد حوله (ولداً نجيباً وصديقاً حبيباً، وصاحباً قريباً، وتابعاً أديباً ورئيساً مثيباً)»<sup>(1)</sup> ومن هنا شعر بالوحشة الهائلة في دنياه، فانطلق يصفها بكل حرارة ومرارة في معظم صفحات كتبه.

لقد أحس بأنه غريب في كل شيء: غريب في وطنه، غريب عن أحبائه، غريب عن كل ما في الوجود من أشياء وأحياء. فكان موضوع (الغريب) هذا من أبلغ ما سطره قلمه، وفيه ملامح وجردية لا يخطئها النظر من أول وهلة، ولهذا كان الباعث لي إلى تلمس الوجودية في كتابته، وفي مدينة بغداد التي كانت آنذاك مدينة عالمية، سرعان ما يستأصل فيها ساكنوها، خصوصاً إن كانوا ممن اصطلحت عليهم أخلاط من الأجناس والثقافات المتعارضة، فضلاً عما يضاف إلى هذا من انعدام الشعور القومي المحلي عند أمثال صاحبنا من المفكرين الفضوليين على الحياة السياسية، شأن المفكرين في ذلك الدور الحضاري: يكونون عادة عالمي النزعة (cosmopoles)، وهو ما عبر عنه أبو الفتح البستي (ت 400 هـ) خير تعبير في ذلك العهد نفسه فقال:<sup>(2)</sup>

إذا نبا بكريم موطنٌ فله وراءه في بسيط الأرض أوطانُ  
وإن نبت بك أوطانٌ نشأت بها فارحلُ فكلُّ بلاد الله أوطانُ

ولكن صاحبنا لا يقنع بهذا المعنى المبتذل في عهده ودور الحضارة الذي يتسبب إليه، وإنما يرفعه إلى المعنى الأعمق، فيقول: (قد قيل: الغريب من جفاه الحبيب. وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب، بل الغريب من تغافل عنه الرقيب، بل الغريب من حاباه الشريب، بل الغريب من نودي من قريب) ثم يرتفع بهذه النبذة إلى درجة عالية

(1) ياقوت 1930/5.

(2) ديوان البستي ص 192، بتحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1989، والبيت الآخر في

القصيدة نفسها ص 191.

فيصيح: (بل الغريب من هو في غربته غريب). آية روعة في هذه العبارة التي تبدو في صورة التناقض الوهمي المتناقض (paradoxe)، أو في صورة الابتدال! إذ معناها أن هذا الغريب قد صارت الغربية نفسها غريبة عنه، ذلك لأنه ارتفع فوق معنى الغربية عن الوطن إلى معنى الغربية عن الغربية بعد أن صارت الغربية نفسها وطناً له».

وصاحبنا حريص<sup>(1)</sup> كل الحرص على توكيد هذه التفرقة في كل فقرة من تلك الصفحات الدامية النابضة بكل حياة، فتراه يقول عن هذا الغريب بالمعنى الصحيح المليء: (هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه، ولم يتزعزع عن مهب أنفاسه، واغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيداً في محل قُربه، لأن غاية المجهود أن يسلو عن الموجود، ويغمض عن المشهود، ويُغضي عن المعهود، ليجد من يغنيه عن هذا كله بعطاء ممدود، ورفد مرفود، وركن موطود، وحد غير محدود)، وهذا تفسير جيد لحقيقة هذا الغريب في وطنه، البعيد في محل قُربه،، فالغربة إنما تأتيه من باطنه، إذ عليه أن يسلو عن الموجود، والموجود هنا يشمل كل شيء، الموجود بالمعنى المادي، الموجود بالمعنى الروحي، والموجود بالمعنى الميتافيزيقي، والأول بالزهد في الحياة والعزوف عن الدنيا، والثاني بالعلاء المستمر في معراج التطور الروحي».

### حقيقة تدين أبي حيان

«لن نستطيع أن نفصل في أمره في هذه الناحية بيقين<sup>(2)</sup>، حتى إن المؤرخين أنفسهم ليجتدلون في حقيقة إيمانه. فالذهبي - ولعله تأثر هنا بابن الجوزي - يرى أنه كان سيء الاعتقاد، وابن فارس في كتاب (الخريدة والفريدة) يقول عنه إنه كان (قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان، وإنه تعرض لأمر جسم من القدح في الشريعة

(1) عبد الرحمن بدوي: مقدمى الإشارات الإلهية مقدمة ص 15.

(2) السابق ص 18.

والقول بالتعطيل). وجاء ابن الجوزي في تاريخه فقال: (زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري. قال: وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأنه مجمج ولم يصرح)<sup>(1)</sup>، بينما جاء فريق آخر على رأسه ياقوت وابن النجار والسكي فبرأه من تهمة الزندقة، على أساس أن ما في كتبه لا يدل على شيء من ذلك. وهذا حق في جملته، إذ ما بقي لنا من كتبه لا يدلنا على زندقة بالمعنى الدقيق، لكن المستقصي لمراميه البعيدة لا يعدم أن يجد سنداً لاتهامه بأنه كان في القليل رقيق الدين، أو أنه كان يلونه بلون خاص به لا ينظر إليه أصحاب السنّة نظرة الرضا. على أننا نعتقد أن تكفير ابن الجوزي هنا له، إنها هو من نوع تكفيره للصوفية عامة، كما سيفعل ابن تيمية من بعد بالنسبة إلى ابن عربي والحلاج والصدر الرومي وابن سبعين، ومع ذلك فيجب أن نعتف بأننا لا نملك الوثائق الكافية للحكم في هذه المسألة حكماً صحيحاً.

### إحراق كتبه

«إنه لم يأت في هذا ببدعة فله (في إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدي بهم، ويؤخذ بهديهم)<sup>(2)</sup>، يذكر منهم أبو عمرو بن العلاء اللغوي الأديب الممتاز، وداود الطائي (وكان من خير عباد الله زهداً وفقهاً وعبادة، ويقال له تاج الأمة: طرح كتبه في البحر، وقال يناجيهما: (نعمّ الدليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول، وبلاء وخمول)، ثم يوسف بن أسباط، والصوفي الكبير أبا سليمان الداراني الذي جمع كتبه في تنور وسجّرها بالنار ثم قال: (والله ما أحرقتك حتى كدت أحرقتك بك)<sup>(3)</sup>، ويذكر كذلك أن سفيان الثوري، وأبا سعيد السيرافي، وقد كان شيخ صاحبنا، ثم هو قد فعل فعله هذا

(1) السبكي - طبقات الشافعية 4/3.

(2) ياقوت: معجم الأدباء 5/1931.

(3) ياقوت 5/1931.

وهو في حال من المرض والعسر والفاقة، وهذه حال نفسية يرى فيها من العذر أضعاف ما أبدى. وبهذا كشف عن كل العوامل التي تضافرت وتمالات حتى حملته على أن يصنع صنيعه هذا الذي لم ينفرد به، بل سبقه إليه طائفة صالحة من أجلة العلماء.

### من كتاب الإشارات الإلهية:

قال أبو حيان من رسالة: <sup>(1)</sup> «سألني - رفق الله بك، وعطف على قلبك - أن أذكر لك الغريب ومحني، وأصف لك الغربة وعجائبها، وأمر في أضعاف ذلك بأسرار لطيفة، ومعان شريفة، إماماً مُعَرَّضاً، وإماماً مُصَرَّحاً، وإماماً مُبَعَّداً، وإماماً مقرباً.... وما الذي أقول وأصنع، وبماذا أصبر، وعلى ماذا أجزع؟ وعلى العلل التي وصفتها والقوارف التي سترتها أقول:» <sup>(2)</sup>

إِنَّ الْغَرِيبَ بِحَيْثُ مَا حَطَّت رَكَائِبُهُ ذَلِيلٌ  
وَيَدُ الْغَرِيبِ قَصِيرَةٌ وَلِسَانُهُ أَبْدَأُ كَلِيلٌ  
وَالنَّاسُ يَنْصُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَنَاصِرُهُ قَلِيلٌ

وقال آخر:

وما جَزَعًا من خَشْيَةِ الْبَيْنِ أَخْضَلْتُ دَمْعِي وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ غَرِيبٌ

يا هذا! هذا وصف غريب نأى عن وطن بُنِيَ بالماء والطين، وَيُعَدَّ عن الْأَفِّ له عهدهم الخشونة واللين، ولعله عاقرهم الكأس بين الغُدْران والرياض، واجتلى بعينه محاسن الحَدَقِ المِراض، ثم إن كان عاقبة ذلك كله إلى الذهاب والانقراض، فأين أنت عن قريب قد طالت غربته في وطنه، وَقَلَّ حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه؟! وأين أنت عن غريب لا سبيل له إلى الأوطان، ولا طاقة به على الاستيطان؟! قد علاه الشحوب وهو

(1) الإشارات الإلهية ص 112، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، ط وكالة المطبوعات الكويت ودار القلم بيروت 1981.

(2) السابق ص 113.

في كين، وغلبة الحزن حتى صار في كأنه شن<sup>(1)</sup>، إن نطق نطق حزناً منقطعاً، وإن سكت سكت حيران مرتدعاً.... قد أكله الخمول، ومصّه الذبول، وحالفه النحول، لا يتمنى إلا على بعض جنسه، حتى يُفضي إليه بكامنات نفسه، ويتعلّل برؤية طلعتة، ويتذكر لمشاهدته قديم لوعته، فينثر الدموع على صحن خده، طالباً للراحة من كده.<sup>(2)</sup>

وقد قيل: الغريب من جفاه الحبيب. وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب، بل الغريب من تغافل عنه الرقيب، بل الغريب من حاباه الشريب<sup>(3)</sup> بل الغريب من نودي من قريب، بل الغريب من هو في غريته غريب، بل الغريب من ليس له نسيب، بل الغريب من ليس له من الحق نصيب، فإن كان هذا صحيحاً، فتعال حتى نبكي على حالٍ أحدثت هذه النفرة، وأورثت هذه الجفوة:

لعل انحذار السدم يُعقِبُ راحةً من الوجودِ أو يشفي نجيّ البلايل<sup>(4)</sup>

يا هذا ! الغريبُ من غرَبَتْ شمسُ جماله، واغترَبَ عن حبيبه وعُدَّاله، وأعرَبَ في أقواله وأفعاله، وغرَبَ في إدباره وإقباله، واستغرَبَ في طيمره وسزباله. يا هذا ! الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة، ودلَّ عنوانه على الفتنة عُقب الفتنة، وبانت حقيقته فيه في الفينة حدَّ الفينة. الغريب من إن حضر كان غائباً، وإن غاب كان حاضراً. الغريب من إن رأيته لم تعرفه، وإن لم تره لم تستعرفه. أما سمعت القائل حين قال:

بِمَ التعلُّلُ لا أهلٌ ولا زمنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنٌ

(1) الشنُّ والشنة: القرية الصغيرة الخلق.

(2) السابق ص 114.

(3) أي النديم .

(4) البيت لذي الرمة ص 492 ط مكارنتي، كمبروج 1919.

هذا وصف رجلٍ لحقته الغربة، فتمنى أهلاً يأنس بهم، ووطناً يأوي إليهم، وندياً  
يحلُّ عُقدَ سرِّه معه، وكأساً يتشبي منها، وسكناً يتوادع عنده. فأما وصف الغريب الذي  
اكتفته الأحزان من كل جانب، واشتملت عليه الأشجان من كل حاضر وغائب<sup>(1)</sup>  
وتحكمت فيه الأيام من كل جانب وذاهب، واستغرقت الحشرات على كل فائت وآئب،  
وشتت الزمان والمكان بين كل ثقة ورائب، وفي الجملة أتت عليه أحكام المصائب  
والنوائب، وحطته بأيدي العواتب عن المراتب، فوصفٌ يخفى دونه القلم، ويفنى من  
ورائه القرطاس، ويشلُّ عن بَجْسِه<sup>(2)</sup> اللفظ، لأنه وصف الغريب الذي لا اسم له  
فيذكر، ولا رسم له فيشهر، ولا طيَّ له فينشر، ولا عُذْرَ له فيُعذر، ولا ذنبَ له فيغفر،  
ولا عيبَ عنده فيُسّر.

هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه، ولم يتزعزع عن مهَبِّ أنفاسه، وأغربُ  
الغرباء من صار غريباً في وطنه، وأبعد البُعْداء من كان بعيداً في محلِّ قُربه، لأن غاية  
المجهود أن يسلو عن الموجود، ويُغمض عن المشهود، ويُقصي عن المعهود، ليجد من  
يُغنيه عن هذا كله بعباء ممدود، ويرفد مرفود، وركن موطود<sup>(3)</sup> يوحد غير محدود.

يا هذا! الغريب من إذا ذكَّر الحقُّ هُجِرَ، وإذا دعا إلى الحقِّ زُجِرَ، الغريب من إذا  
أسند كُذِّبَ، وإذا تطاهر<sup>(4)</sup> عُدِّبَ. الغريب من إذا امتار لم يَمْرٍ<sup>(5)</sup> وإذا قعد لم يُرَزَّ. يا  
رحمتا للغريب<sup>(6)</sup>.

(1) الإشارات الإلهية ص 115.

(2) يضعف عن جريانه.

(3) ثابت.

(4) تطاهر: تنزه عن الأدناس، من الطهر.

(5) امتار: جلب البرقة، الطعام.

(6) يذكر بيت علي بن الجهم، ديوانه ص 154، تحقيق خليل مردم، ط دار الأمان الجديدة، بيروت 1980.

## وارحمنا للغريب بالبلد النازح ماذا بنفسه صنعنا

طال سفره من غير قدم، وطال بلاؤه من غير ذنب، واشتد ضرره من غير تقصير، وعظم عناؤه من غير جدوى!

الغريب من إذا قال لم يسمعوا قوله، وإذا رآه لم يدوروا حوله. الغريب من إذا تنفس أحرقة الأسي والأسف<sup>(1)</sup>، وإن كتم أكمده الحزن واللّهف. الغريب من إذا أقبل لم يوسّع له، وإذا أعرض لم يُسئل عنه، الغريب من إذا سأل لم يُعط، وإن سكت لم يُبدأ. الغريب من إذا عطس لم يُسَمِّت، وإن مَرَضَ لم يُتَقَدَّ. الغريب من إن زار أُغْلِقَ دونه الباب، وإن استأذن لم يُرفع له الحجاب.

الغريب من إذا نادى لم يُجِبْ، وإن هادى لم يُحَبِّ. اللهم إنا قد أصبحنا غرباء بين خلقك، فآنسنا في فِئتك. اللهم وأمسينا مهجورين عندهم، فصلنا بحبائك<sup>(2)</sup>. اللهم إن عادونا من أجلك لأننا ذكرناك لهم فنفروا، ودعوناهم بثوابك فاستكبروا، وأوعدناهم بعذابك فتحيروا، ووعدناهم بثوابك فتجبروا، وتعرّفنا بك إليهم فتنكروا، وصنّك عنهم فتنمّروا، وقد كُنّا<sup>(3)</sup> عن نذيرهم، ويثنا من توقيهم.

أيها السائل عن الغريب ومحتته! إلى ههنا بلغ وصفي في هذه الورقات. فإن استزدت زدت، وإن اكتفيت اكتفيت، والله أسأل لك تسديداً في المبالغة، ولي تأييداً في الجواب، لتتلاقى على نعمته، ناطقين بحكمته، سابقين إلى كلمته.

(1) الإشارات الإلهية ص 116.

(2) الحياء: العطفية.

(3) كمنّا: هبنا وحبنا.

يا هذا ! الغريب في الجملة من كله حُرقة، وبعضه فرقة، وليله أسف، ونهاره لهف<sup>(1)</sup>، وغذاؤه حَزَن، وعشاؤه شجن، وآراؤه ظَنَن، وجميعه فِتَن، ومفرقه حِجَن، وسِرُّه عَلَن، وخوفه وطن.

الغريب من إذا دعا لم يُجِب، وإذا هاب لم يُهَب.

الغريب من إذا استوحش استوحش منه: استوحش لأنه يرى ثوب الأمانة ممزقاً، واستوحش منه لأنه يجد لما بقلبه من الغليل مُحرقاً.

الغريب من فجَعته مُحكمة، ولوَعته مُضرمة.

الغريب من لبسته حِرقة، وأكلته سَلقة، وهجَعته حَفقة.

دع هذا كله ! الغريب من أخبر عن الله بأنباء الغيب داعياً إليه. بل الغريب من تهالك في ذكر الله متوكلاً عليه، بل الغريب من توجه إلى الله قالياً لكل من سواه. بل الغريب من وهب نفسه لله متعرضاً لجدواه.

يا هذا ! أنت الغريب في معنالك.

أيها السائل عن الغريب ! اعمل واحدة ولا أقل منها، وإذا أردت ذكر الحق فانس ما سواه، وإذا أردت قُرْبَهُ فابعد عن كل ما عداه، وإذا أردت المكانة عنده فدد ما تهواه لما تراه، وإذا أردت الدعاء إليه فميّزه مالك مما عليك في دعواه.<sup>(2)</sup>

(1) الإشارات الإلهية ص 117.

(2) انتهى النقل من الإشارات الإلهية.

## مثيرات الحنين والغربة

الغريب الذي يهزه الحنين والشوق إلى وطنه تذكره وتميجه مثيرات تعصف به وتثير أشجانه، وكثيراً ما تكون سبباً لعذابه، فهي تذكره بغربته، وتذكره بأحبابه وأهله وأوطانه، منها هذا البرق الذي يتوهج من ناحية وطنه، والريح التي تأتي بأنسام أرضه وشذى أحبابه، والناقة رفيقة أسفاره التي تحن إلى أرضها ومراعيها، وهديل الحمام الذي يثير أشجانه ويذكره بأحبابه، وصوت حبيبة القلب التي تشكو الفراق والبعاد وتعاتبه وتحاوره، وقطرات المطر أو الندى التي تذكره بدموع الزوجة والأسرة حين الوداع، ونجوم السماء والثريا التي يسهر وإياها ليلاً، فيذكر وطنه الذي تظله هذه النجوم وسمره ومن يحب وهي ترعاهم ببريقها، والسحب الجارية التي يتمنى أن تسقي أرضه ليعم الخير فيها، ويتمنى أن ينعم وأهله بخيرها بعد أن تنكشف الغمة ويجمع الشمل، كل تلك المحفزات والرؤى تثير عواطف الحنين وأشواق العودة إلى الأحبة والوطن الحبيب، وقد حفل الشعر الذي مر بنا وغيره بهذه المثيرات فأبكتهم وأشجتهم وأنطقتهم بروائع شعر الغربة والحنين.

وهذه بعض النماذج مما جاء في مثيرات الشجا والحنين:<sup>(1)</sup>

### \* العين والدموع:

يقول الحارث المخزومي:<sup>(2)</sup>

بالخيف حاجت شؤوناً غير جامدة فانملت العينُ تُذري واكفاً سحجاً

ويقول الصمة القشيري:<sup>(3)</sup>

(1) ينظر فاطمة السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي ص 410 — 457.

(2) شعره ص 94.

(3) شعره ص 64.

ألا من لعينٍ لا ترى قُلَّ الحِمَى      ولا جبل الأوشالِ إلا استهلتِ  
 وقال: (1)

فليست عشيات الحمى برواجعٍ      عليك ولكنَّ نَحْلَ عينيكِ تدمعا  
 وقال: (2)

بكت عينك اليسرى فلما زجرتها      عن الجهلِ بعد الحلمِ أسبلتا معا  
 محمد بن بشير الخارجي: (3)

باتت لعينك عبرةً وسجوُمُ      وثوت بقلبك زفرةً ومهُومُ  
 مالك بن الربيع: (4)

أقلُّبُ طرفي حول رحلي فلا أرى      به من عيون المونسات مراعيًا  
 طريح بن إسماعيل الثقفي: (5)

فاستبق عينك لا يودي البكاءُ بها      واكفف بوادِرِ دمعِ منك تستبِقُ  
 كثير عزة: (6)

فطوراً أكثرُ الطَرْفِ نحو تهامةٍ      وطوراً أكثرُ الطَرْفِ كراً إلى نجدِ  
 الصمة القشيري: (7)

(1) شعره ص 110 .

(2) شعره ص 107 .

(3) شعره ص 122 .

(4) شعره ، ضمن أشعار اللصوص ص 297 .

(5) شعره، ص 98 .

(6) ديوانه ص 129 .

(7) شعره ص 118 .

نظرتُ وطَرْفُ العَيْنِ يَتَّبِعُ الهَوَىٰ      بشرقيُّ بُضْرَىٰ نظرةً المتطاوِلِ

الريح: وما يثير الشوق والحنين الريح وهبوبها ونسائمها  
يقول يزيد بن لظثرية: (1)

ألا يا صبا نجد متى هجبت من نجد      فهيج لي مسراكِ وجداً على وجد

عبيد الله بن الحر: (2)

ستعلم إن مالت بي الريح ميلاً      عليك غداً أني أوياك أجزع

هدبة بن الخشرم: (3)

ألا ليت الرياح مسخراتُ      بحاجتنا تُباكرُ أوتووبُ  
فتُخبرنا الشمال إذا أتتنا      وتُخبرُ أهلنا عنا الجنوبُ

جميل بثينة: (4)

أياريح الشمالِ أما تريني      أهيمُ وأنسي بادي النحولِ  
هبي لي نسمةً من ريحِ بَشْنِ      ومُنِّي باهبوبِ على جميلِ

الصمة القشيري: (5)

إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضكم      أتنا برِّياكم فطاب هبوبها

(1) شعره، ص 68.

(2) شعره، ص 107.

(3) شعره ص 57.

(4) ديوانه ص 192.

(5) شعره ص 31.

الأحوص الأنصاري: (١)

أصاح ألم تخزنك ربح مريضاً  
فإن الغريب الدار ممّا يشوقه  
ويزق تلالا بالعقيقين لامع  
نسيم الرياح والبروق اللوامع

البرق: وما يثير الشوق والشجن ويذكر بالأهل والأوطان برق السماء.

يقول جميل بثينة: (٢)

وليلة بتنا بالجنينة هاجني  
سنا بارق من نحو أرضك يلمع

السمهري العكلي: (٣)

أعني على برق أريك وميضه  
أرقت له والبرق دون طمينة  
يشوق إذا استوضحت برقاً عنانيا  
وذي نجب ما بعده من مكانيا

الصمة القشيري (٤)

وحنت قلوصي آخر الليل حنة  
حنت في تنائها وشب لعينها  
فيا روعة ما راع قلبي حينها  
سنا بارق وهناً فجئن جئونها

العرجي: (٥)

أرقت بسلع إن ذا الشوق يارق  
أشيم سناه من بعيد ورّما  
لبرق تبدى آخر الليل يخفق  
تشم البروق من بعيد فتصدق  
فما ذقت من نوم وما زال عاملاً  
إلى الصبح ذاك البارق المتألق

(1) ديوانه ص 184.

(2) ديوانه ص 44

(3) ديوانه ص 150

(4) شعره ص 135

(5) ديوانه ص 274

نجوم السماء

مالك بن الرب: (١)

أقول لأصحابي ارفعوني فإنه يقرُّ بعيني أن سهيلٌ بدا ليا

المتوكل الليثي: (٢)

أراعي التاليات من الثريا ودمع العين منحدراً سجاما

قيس لبني: (٣)

وتجمعنا الأرض القراز وفوقنا سماء نرى فيها النجوم تجول

الأحوص: (٤)

أراقبُ النجم كالخيران مرتقباً وقلص النوم عن عيني فانشمرا

الشمردل اليربوعي: (٥)

أرعى الثريا تقودُ التاليات معاً كاتتابع خلف الموكب الرقن كانه شاة رمل مفرد لهن

الحمام: كثر ما يهيج الشوق ويبعث الحنين صوت الحمام:

يقول أبو دهب الجمحي (٦)

وأزقني بالرّي نوح حمامة فنحت وذو البث الغريب ينوح  
ألا يا حمام الأيك إلفك حاضرٌ وغضنك مياد فقيم تنوح

(1) شعره ضمن أشعار اللصوص ص 294

(2) شعره ص 113

(3) ديوانه ص 140.

(4) ديوانه ص 162

(5) شعره ص 196.

(6) ديوانه ص 75.

العرجي<sup>(١)</sup>

وما يبيح القلب يا صاح نحوها إذا باكر الأيك الحمام السواجع

المتوكل الليثي<sup>(٢)</sup>

طربت وشاقتني يا أمم بئير دعاء حمامة تدعو حماما

جحدر بن معاوية<sup>(٣)</sup>

ألقدهاجني فازددت شوقاً بكاء حمامتين تجاويان

يزيد بن الطثرية: <sup>(٤)</sup>

تذكرت ليلي أن تغنت حمامة وأنى بليلى والفؤاد قريح

جميل بثينة: <sup>(٥)</sup>

أبيكي حمام الأيك من فقد إله وأصبر ا ما بي عن بثينة من صير

الشمردل اليربوعي: <sup>(٦)</sup>

وهاتفه فوق الغصون تفجعت من الوزق بالأصياف نواحة الضحى  
لفقد حمام أفردتها جباله إذا الغرقد التفت عليه غياطه

جميل بثينة: <sup>(٧)</sup>

ويوم وردنا قرح حاجت لي البكا من الوزق حمام العلاطين تصدح

(1) ديوانه ص 259.

(2) شعره ص 111.

(3) شعره ص 182.

(4) شعره ص 28.

(5) ديوانه 102.

(6) شعره ص 542.

(7) ديوانه ص 44.

مجنون ليل<sup>(1)</sup>

ألا ليتنا كنا همي مفازة نظير ونأوي بالعشي إلى السوكر

وشعراء آخرون هاج الحمام حنينهم فذرفوا الدمع الغزير شوقاً وحنيناً، قال شقيق بن السليك الأسدي:<sup>(2)</sup>

وقد هيّجت شوقي حمامة أيكية تنادي حماماً فاستباحث همي وجمدي  
فقلتُ تعالي نبك من ذكرٍ ماضى فنذكرُ منه ما نسيته وما نُبدي  
فإن تُسعديني نبكٍ عبرتنا معاً وإلا فإني سوف أسفحها وخذني

ويقول شاعر آخر إن الحمام يهيج الأشجان، فيألم السامع العاشق وهو لا يتألم، ويشير البكاء وهو لا يبكي<sup>(3)</sup>

هائمٌ لم تهتج وهبجنَ ذاهوى بتواجها بين الغصونِ النواضيرِ  
تُبكي وما تبكي ولكن هتوفها يهيجُ لوعاتِ القلوبِ الزوافيرِ

والشعر الذي قيل في الحمام وما يهيج من لوعة وحنين كثير في كل العصور، وجاء بعض منه في تضاعيف هذا الكتاب.

الإبل: وكانت الإبل شريكة الإنسان في حله وترحاله، تحن كالإنسان إلى الرفقة والوطن، وكثيراً ما تهيج عواطف صاحبها وتشاركه ويشاركها الهموم ولوعة الفراق.

يقول الأحوص يحدث نفسه:<sup>(4)</sup>

فانت إلى سلمى تحسنُ صبايةً كما حنَّ آلافُ المطيِّ السواجرِ

(1) ديوانه ص 164.

(2) الزهرة 1/ 239-240.

(3) ابن المرزبان: الحنين إلى الأوطان ص 74-75.

(4) ديوانه ص 114.

الفرزدق<sup>(1)</sup>

وليلةً بثنا دبرَ حسانَ نبّهت  
بغتِ ناقتي ليلاً فهسّاجَ بكاؤها  
ترومٌ على نُعمانَ في الفَجْرِ ناقتي  
هُجوداً وَعَيْساً كالحَصِيَّاتِ ضَمراً  
فُواداً إلى أهلِ الوريعةِ أصوراً  
وإنْ هي حنّتْ كُنْتُ بالشوقِ أعذراً

الصمة القشيري: <sup>(2)</sup>

ووجدني بطياً وجدُّ بكرٍ غريرة  
ووجدني بطياً وجدُّ هيماءَ حُلثت  
على والديها فارقاها فجنّتِ  
عن الماءِ كانت منذُ خمسينَ ضلّت

مالك بن الربب: <sup>(3)</sup>

وهل أترك العوينسَ العواليَ بالضحى  
وعرّ قلوصي في الركابِ فإئها  
برُكبانها تلعو المتانَ الفياfia  
ستفلقُ أكباداً وتُبكي بواكيا

ويذكر الصمة القشيري ناقته وحنينها ويعني نفسه ومعاناته، وهذه الأبيات من أروع صور الشوق والحنين في سياق حوار الشاعر وناقته: <sup>(4)</sup>

وحنّت قلوصي آخرَ الليلِ حنةً  
حنّت في تنائها وشبّ لعينها  
فقلت لها صبراً فكلّ قرينة  
فما برحت حتى ارعونا لصوتها  
تحنُّ إلى أهلِ الحجازِ صباةً  
فياربّ أطلقْ قيدها وجريزها  
فقلت لها: حني رويداً فإنني  
فيا روعةً ماراعَ قلبي حنينها  
سنا بارقي وهناً فجنّ جنوتها  
مفارقها — لا بدّ يوماً — قرينها  
وحتى انبرى منّا مُعينٌ يُعينها  
وقد بُتّ من أهلِ الحجازِ قرينها  
فقدراعَ أهلِ المسجدينِ حنينها  
وإياك تُبدي عولةً سنينها

(1) ديوانه ص 345، ط دار صادر

(2) شعره ص 68.

(3) شعره ص 296 - 297.

(4) شعره ص 135.

## النخلة والحنين إلى الوطن

كان للنخلة في عواطف الشعراء وشعرهم مكاناً متميزاً وحنيناً يذكّر بالأهل والوطن والخُصْب والخير، وقد ذكرها شعراء كُثُر، نذكر بعض ما تيسر من شعرهم، ولأهمية هذه الشجرة عند العرب وما تثيره من عواطف تذكّر الغرباء بأوطانهم، ولذلك سنقف عندها وقفة تبين أهميتها في إثارة الشوق والحنين إلى الوطن، وقبل البدء بذكر الشعر الذي فيه ذكر النخلة وما تهيجه من ذكرى وشوق وحنين نقف وقفة عند النخلة ومكانتها في ذاكرة التاريخ:

للنخلة شَبَهَ بالإنسان فهي كائن حي ذكر وأنثى، وتتزوج باللقاح، وتتم عملية الإخصاب في فصل الربيع، ويسمى أهل حرّان الوثنيين الشهر الذي يلحق فيه النخل بشهر (البَلَح)، وفيه يحتفلون بزواج الأرباب والربّات، وقد عرفت هذه الاحتفالات في الجزيرة العربية<sup>(1)</sup>.

والنخلة تشبه الإنسان فلها جذع منتصب كالإنسان، ومنها الذكر والأنثى، ولا تثمر إلا إذا لُقِّحَتْ، وإذا قُطِعَ رأسها ماتت، وإذا تعرّض قلبها لصدمة قوية هلكت، والنخلة مغطاة بالليف الشبيه بشعر جسم الإنسان<sup>(2)</sup>، وكان العرب يعتقدون أن روح (العزّي) حلّت في ثلاث سَمُرَات يبطن نخلة، وكانوا يتقربون إليها بالقرايين والندور. والنخلة من أقدم أنواع الشجر الذي عرفه الإنسان، وذكّرت في شريعة حمورابي، وفرضت عقوبة على من يقطع شجرة النخل، وعُرفت عند الفينيقيين بشجرة الحياة.

(1) فريزر: الفصن الذهبي 398/1، ترجمة أحمد أبو زيد وآخرين، ط مصر 1971

(2) ابن وحشية: كتاب النخل ص 70، تحقيق إبراهيم السامرائي، مجلة المورد، بغداد 1971.

الغزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ص 231، ط الحلبي، مصر 1956.

ووجدوا بينها وبين آلهة الإخصاب والتعشير (عشترت) أو (عشتار) واعتبرت شجرة الميلاد وشجرة العائلة عند شعوب غرب آسيا، وفي مصر وبابل وفينيقيا والجزيرة العربية.<sup>(1)</sup>

وقد أضفى القدماء على النخلة القدسية، ولذلك كانوا يضعون السعف على القبور، وارتبط هذا التقديس بولادة بعض الأنبياء تحت الشجرة من ذلك أن مريم العذراء ولدت السيد المسيح تحت جذع النخلة<sup>(2)</sup>، وفي التوراة أن جدران هيكل سليمان منقوش بتمثيل النخيل، ومن طقوس بني إسرائيل في عيد (العرازيل) أنهم يأخذون سعفاً طرياً فيسجدون له ويحملونه عند تلاوة صلاة العيد، وسموا فتيانهم (تمارا) أي التمر، تفاؤلاً بالجمال وتيمناً بالإنجاب والخصوبة، ويجرص النصارى على تزيين جدران معابدهم بسعف النخيل، ويحملون سعف النخيل في عيد (الشعانين)<sup>(3)</sup>، وقدست بعض القبائل العربية مثل جهينة وحنيفة في الجاهلية النخلة وصنعوا من تمرها صنماً، وحين أصابتهم المجاعة اضطروا إلى أكله، وقد عيرهم بذلك الشعراء فقالوا:<sup>(4)</sup>

أكلت جهينة ريباً      زمن التَّقْحِمِ والمجاعة  
وقال آخر:

أكلت ريباً حنيفةً من جُوعٍ      عٍ قديمٍ بها ومن إعوازِ  
وتُسبِّبُ النخلة بالمرأة الحسنة، وكثر في الشعر الجاهلي تشبيه الطعائن بالنخيل، من ذلك قول أبي دؤاد الإيادي:<sup>(5)</sup>

(1) أنور أبو سويلم: مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي ص 51، والصفحات التالية، ط دار عمار، عمان 1991،

شوقي عبد الحكيم: مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، ص 59، بيروت 1978.

(2) سورة مريم آية 23.

(3) أبو سويلم ص 53، توفيق الفكيكي: شجرة العذراء ص 30.

(4) الألوحي: بلوغ الأرب 2/ 227.

(5) الأصمعيات ص 186.

وتراهن في الهواج كالغز  
نخلات من نخل بيسان أينغ  
لان ما إن يهاهن السهام  
من جميعاً ونبتهن ثؤام

ويقول ليبيد: (١)

فكان ظعن الحي لماً أشرفت  
نخل كوارغ في خليج محلم  
بالأل وارتفعت بهن حزوم  
مكمت فمنها مؤقر مكموم  
سحق يمتعها الصفا وسريه  
عم نواعم بينهن كروم

وشبهوا شعر المرأة الكثيف بعذق النخلة المتداخل ، يقول امرؤ القيس:

وفرع يغشي المتن أسود فاحم  
أثيث كقنو النخلة المتعكل

وأعجبوا بطعم البلح ورائحته، فشبهوا ريق الحبيبة بنكهة البلح ، يقول الأعشى (٢)

أيام تجلو لنا عن بارد رتل  
تحال نكهته بالليل سيابا

وصور النخلة في الشعر العربي كثيرة أكثر من أن يحاط بها.

ويمننا هنا رمز النخلة إلى الوطن ، وما رأى المغتربون فيها صورة الوطن فحنوا إليه واشتاقوا إلى نخل أوطانهم وبيئاتهم ومواطن صباهم ، وحين يرى الغريب النخلة يرى فيها امرأة تشاركه الغربة والحنين فتهيج أشواقه حينئذ إلى الأهل والأوطان ، فهذا الشاعر عبد الله بن كعب العميري يتشوق إلى نخلتي بلده مَرَّان: (٣)

أيا نخلتي مَرَّان هل لي إليكما  
أمنيكما نفسي إذا كنت خالياً  
على غفلات الكاشحين سبيل  
ونفككما إلا العناء قليل

(1) ديوانه ص 120.

(2) ديوانه ص 411 ، الرتل: مستوي الأسنان حسن التضييد، والسياب: البلح.

(3) ابن المزيان: الحنين إلى الأوطان، ص 96، أمالي القاضي 2/ 128-129، معجم البلدان: مَرَّان.

وما لي شيء منكما غير أنني أمني الصدى ظلّيكما فأطبل

ويقول الأحمير السعدي متشوقاً إلى الأهل والوطن ويخص نخلات كرمان والكرخ

بالخير والسقيا.<sup>(1)</sup>

أيا نخلات الكرم لا زال رائحاً  
سقيتني مادامت بكرمان نخلة  
سقيتني مادامت بنجد وشيخة  
الأحبداء الماء الذي قابل الحمى  
وأيا منابالمالكية أنني  
ويا نخلات الكرخ لا زال ماطر  
وما زالت الأيام حتى رأيتني  
لقد كنت ذا قرب فأصبحت نازحاً  
عليكن منهل الغمام مطير  
عوامر تجري بينهن بحور  
ولا زال يسعى بينكن غدير  
ومرتبّع من أهلنا ومصير  
هن على العهد القديم ذكور  
عليكن مستن السحاب ذرور  
بدورق ملقى بينهن أدور  
بكرمان ملقى بينهن أدور

ومن أروع نثبات الحنين ما قاله عبد الرحمن الداخل<sup>(2)</sup> حين سقطت دولة الأمويين

وهرب إلى الأندلس وأنشأ هناك الدولة الأموية، وقد بنى قصرأ بالرصافة على نسق

رصافة الشام، وكان في حديقته نخلة فريدة تذكره بغرته وتهيج أشجانه فقال يخاطبها:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة  
فقلت شبيهي في التغرب والنوى  
نشأت بأرض أنت فيها غريبة  
سقتك غواذي المزن من صوبها الذي  
تناءت بأرض الغزب عن بلد النخل  
وطول التناهي عن بني وعن أهلي  
فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي  
يسح ويستمري السماكين بالوئيل

(1) ديوان اللصوص 1/ 58 - 59، جمع محمد نبيل طريف، ط دار الكتب العلمية، بيروت 2004، معجم البلدان: كرمان.

(2) دورق: بلد بخورستان. معجم البلدان: دورق.

(3) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان.

(4) المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب 2/ 716، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1968، معجم البلدان: الرصافة.

وكان كثير الشوق والحنين إلى وطنه الشام وأهله، فكتب إلى أخته بالشام يثبها

أشواقه وحنينه: (1)

أيها الراكبُ الميِّمُ أرضي      إقِرْ بعضَ السلامِ عني لبعضِ  
إنَّ جسمي كما تراه بأرضي      وفؤادي ومالكه بأرضي  
قُدِّرَ البينُ بيننا فافترقنا      وطوى البينُ عن جفوني غمضي  
قد قضى الله بالفراقِ علينا      فعسى باجتماعنا سوفَ يقضي

وتنسب لعبد الرحمن الداخل أبيات أخرى: (2)

بانخل أنت فريدةٌ مثلي      في الأرضِ نائيةٌ عن الأهلِ  
تبكي وهل تبكي مكممةً      عجماءُ لم تُجبلْ على جَنبي  
ولأنها عقلت إذا كبكت      ماءَ الفراتِ ومنبتِ النَّخلِ  
لكنها حُرمت وأخرجني      بُغضي بنِي العباسِ عن أهلي

ونخلتا حلوان (3) مشهورتان وقد ذكرهما غير شاعر ونفس عن همومه بذكرهما والشوق إليهما، وأول من ذكر نخلتي حلوان مطيع بن إياس وكان مع سلم بن قتيبة بالري، قال أبو الفرج: «فلما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب على العباسيين، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجل على عمله والقدوم عليه في خاصته على البريد، قال مطيع: وكانت لي جارية يقال لها جودانة كنت أحبها، فأمرني سلم بالخروج معه، فاضطرت إلى بيع الجارية، فبعتها، وندمت على ذلك بعد خروجي،

(1) المقرئ 707/2.

(2) تنسب الأبيات أيضاً إلى ابن عمه والي إشبيلية في مخاطبة نخلة فريدة في حديقة بأشبيلية فذكرته بغرته وحنينه إلى وطنه:

المقرئ 718/2.

(3) حلوان: مدينة في العراق وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. باقوت: حلوان.

وتمنيت أن أكون أقمتُ وتبعْتُها نفسي ، ونزلنا حلوان ، فجلستُ على العقبة أنتظر ثقلي  
وعنانُ دأبتي في يدي ، وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى ، فتذكرت  
الجارية واشتقتُها ، وقلت: (١)

أسعداني يا نخلتي حلواني	وابكيالي من ريب هذا الزمان
واعلم أن ريبه لم يزل يفـ	رؤى بين الألف والجيران
ولعمري لو ذقتما ألم الفز	قة أبكما الذي أبكاني
أسعداني وأيقنا أن نخساً	سوف يلقاكما فتفترقان
كم رمثني صروف هذي الليالي	بفراق الأحباب والخلائن
غير أني لم تلق نفسي كما لا	قيت من فرقة ابنة الدهقان
جارية لي بالرّي تُذهب همي	ووسلي دثوها أحزاني
فجعلني الأيام أغط ما كُنـ	تُ بصدع اللبين غير مُدان
ويرغمي أن أصبحت لا تراها الـ	عين مني وأصبحت لا تراني
إن تكُن ودعت فقد تركت بي	هَباً في الضمير ليس بوان
كحريق الضرام في قصب الغا	ب زفتة ريمان تختلفان
فعليك السلام مني ما سا	غ سلاماً عقلي وفاص لساني

وبقيت نخلتنا حلوان في ذاكرة التاريخ ، وبقيت أبيات مطيع بن إلياس تحمي هاتين  
النخلتين كلما أريد قطعها ، ومن ذلك ما روي أن المنصور اجتاز بنخلتي حلوان وكانت  
إحداها على الطريق ، وكانت تُضيقه وتزدحم الأثقال عليه ، فأمر بقطعها ، فأنشد قول  
مطيع: (٢)

واعلم إن بقيتها أن نخساً      سوف يلقاكما فتفترقان

(1) الأغاني 13 / 355 — 357 ، وانظر معجم البلدان 2 / 292 حلوان ، ومعجم الشعراء ص 480 .

(2) الأغاني 13 / 359 ، معجم البلدان : حلوان .

فقال: لا والله ، لا كنتُ ذلك النحس الذي يفرق بينهما ، فانصرف وتركها.

وقيل إن المهدي قال: أكثر الشعراء في ذكر نخلي حلوان ، ولهممتُ بقطعها ، فبلغ قولي المنصور فكتب إليّ: بلغني أنك هممت بقطع نخلي حلوان ، ولا فائدة لك في قطعها ، ولا ضرر عليك في بقائها ، وأنا أعيذك بالله أن تكون النحس الذي يلقاهما فيعرف بينهما ، يريد بيت مطيع:

واعلما إن بقيتما أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

وتستمر قصة النخلتين في حياة المهدي، فقد خرج وبلغ عقبة حلوان ، فاستطاب المكان وتغدى، ودعا بحسنة المغنية فقال لها: أما ترين طيب هذا الموضع ؟ غنيني بحياتي حتى أشرب ها هنا أقداحاً ، فأخذت محكة كانت في يده ، وأوقعت على محدة وغمته: <sup>١</sup>  
 أيا نخلي وادي بوانة حبذا إذا نام حراس النخيل جناكما <sup>٢</sup>  
 وحسنا كما زاد على كل بهجة وزاد على طيب الغناء غناكما

فقال المهدي: أحسنت ، ولقد هممتُ بقطع هاتين النخلتين - يعني نخلي حلوان - فمنعني منها هذا الصوت، وقالت له حسنة: أعيذك الله يا أمير المؤمنين أن تكون النحس المفرق بينهما ، فقال لها: وما ذاك ؟ فأنشدته أبيات مطيع بن إياس ، فلما بلغت قوله:

أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

قال: أحسنت والله فيما قلت ، إذ نبهتني على هذا ، والله لا أقطعها أبداً ، ولأوكلنَّ بهما من يحفظهما ما حييتُ، ثم أمر بأن يُفعل ذلك ، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات. <sup>٣</sup>

(1) الأغاني 13/ 358، معجم البلدان: حلوان ، والبيت مع ثان لوضاح اليمن في ديوانه ص 88، جمع محمد خير البقاعي، ط دار صادر 1996.

(2) بوانة: من مياه بني عقيل، وقيل هضبة وراء ينبع قرية من ساحل البحر.

(3) الأغاني 13/ 358 - 359، معجم البلدان: حلوان 2/ 392 - 393.

ويبدو أن واحدة من نخلتي حلوان قد قُتلت ففُطِعَ من رأسها واستُخْرِجَ قلبُها، وذلك حين خرج الرشيد إلى طوس<sup>(1)</sup> هاج به الدم يحلوان، فأشار عليه الطبيب أن يأكل جُجَاراً<sup>(2)</sup>، فأحضر دهقان حلوان وطلب منه جُجَاراً، فأعلمه أن بلده ليس بها نخل، ولكن على العقبة نخلتان، فمُرَّ بقطع إحداهما، ففُطِعَتْ، فأُتِيَ الرشيد بجُجَارِتها، فأكل منها وراح<sup>(3)</sup>، فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة، والأخرى قائمة، وإذا على القائمة مكتوب: <sup>(4)</sup>

أسعداني يا نخلتي حلوان      وابكيا لي من ريب هذا الزمان  
أسعداني وأيقنا أن نحساً      سوف يلقاكما فتفترقان

فاغتمَّ الرشيد، وقال: يعزُّ عليَّ أن أكون نَحَسْتُكما، ولو كنتُ سمعتُ بهذا الشعر ما قطعْتُ هذه النخلة ولو قتلتني الدم.<sup>(5)</sup> وصارت النخلتان رمزَ الحنين والألفة، وكثر من يردد الأبيات التي شاعت في النخلتين ويتغنى بها، وصارت النخلتان حديث الشعراء، يعارضون أبيات مطيع بن إلياس في نخلتي حلوان، من ذلك أن حمَّاد عجرد مرَّ بقصر شيرين<sup>(6)</sup> فاستظَّلَ من الحرِّ بين سِدْرَتَيْنِ<sup>(7)</sup>، كانتا بإزاء القصر، وسمع إنساناً يغني:

أسعداني يا نخلتي حلوان      وأرثيا لي من ريب هذا الزمان

(1) طوس: مدينة بخراسان فُتحت في أيام عثمان بن عفان، وبها قبر علي بن موسى الرضا، وقبر هارون الرشيد. معجم

البلدان: طوس 4/49.

(2) الجزار: شحم النخل.

(3) راح: نشط وارتاح.

(4) الأغانى 3/358.

(5) معجم البلدان: حلوان 2/293.

(6) قصر شيرين: موضع قريب من قريسين بين همدان وحلوان في طريق بغداد إلى همدان، وفيه أبنية عظيمة شاهقة. معجم

البلدان 4/358.

(7) السدر: شجرة التين، واحده سدره.

جعلَ اللهُ سِدْرَتِي قَصْرَ شِيرِي — مِنْ فِدَاءٍ لِنَخْلَتِي حُلْوَانِ  
جِئْتُ مُسْتَسْعِدًا فَلَمْ يُسْعِدَانِي وَمُطِيعٌ بَكَتْ لَهُ النَخْلَتَانِ  
فقال حماد عجر: (1)

جعل اللهُ سِدْرَتِي قَصْرَ شِيرِي — مِنْ فِدَاءٍ لِنَخْلَتِي حُلْوَانِ  
جِئْتُ مُسْتَسْعِدًا فَلَمْ يُسْعِدَانِي وَمُطِيعٌ بَكَتْ لَهُ النَخْلَتَانِ  
وشاعر آخر يذكر نخلتي حُلْوَانِ ويتأسى بالشاعر مطيع بن إلياس فيقول: (2)

أيها العاذلان لا تعذلاني ودعاني من الملام دعاني  
وابكيالي فإني مستحقٌ منكما بالبكاء أن تسعداني  
إنني منكما بذلك أولى من مطيع بنخلتي حُلْوَانِ  
فهما تجهلان ما كان يشكو من هواه وأنتما تعلمان

ويلتمس أحمد بن إبراهيم الكاتب العبرة في الفراق من النخلتين فيقول: (3)

فكذلك الزمان ليس وإن أَل — لَفَ يَبْقَى عَلَيْهِ مُؤْتَلِفَانِ  
سَلَبْتُ كَفُّهُ الْعَرِيَّ أَخَاهُ ثَمَّ تَنَى بِنَخْلَتِي حُلْوَانِ (4)  
فكَأَنَّ الْعَرِيَّ قَدْ كَانَ فَرْدًا وَكَأَنَّ لَمْ تَجَاوِرِ النَخْلَتَانِ

وفي حُلْوَانِ مَصْرَ نَخِيلٍ عَامِرَةٌ مَوْقَرَةٌ بِالتَّمْرِ، وَحُلْوَانٌ كَمَا يَصِفُهَا يَاقُوتُ: «قَرْيَةٌ مِنْ قَرْيِ مِصْرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفَسْطَاطِ نَحْوِ فَرْسَخَيْنِ مِنْ جِهَةِ الصَّعِيدِ مَشْرُفَةٌ عَلَى النَّيْلِ، وَكَانَ قَدْ وَقَعَ بِمِصْرَ طَاعُونَ سَنَةَ 70 هـ، وَوَالِيهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، فَخَرَجَ هَارِبًا مِنْ

(1) الأغاني 358/14 — 359، 360/13، معجم البلدان: حُلْوَانِ 2/293.

(2) الأغاني 360/13، معجم البلدان 2/293.

(3) الأغاني 360/13، معجم البلدان 2/293.

(4) في معجم البلدان: العزيز، والغري: واحد الغرين، وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي

طالب. معجم البلدان 4/196.

مصر، فلما وصل حلوان هذه استحسن موضعها، فبنى بها دوراً وقصوراً واستوطنها، وزرع بها بساتين وغرس كروماً ونخلًا، فلذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات يصف تمر هذه النخيل: <sup>(1)</sup>

سقياً حلوان ذي الكروم وما صَنَّفَ من تينه ومن عنبه  
نخلٌ مواخيرٌ بالفناء من الـ برني يهتز ثم في سربة <sup>(2)</sup>  
أسود سُكَّانُه الحام فما تنفكُ غربائُه على رُطبُه

وكانت بيسان إحدى مدن الأردن بالغور الشامي، وهي بين حوران وفلسطين توصف بكثرة النخل <sup>(3)</sup>، ذكر نخلها المتمر، وعين موضعها أبو دواد الإيادي في سياق تشبيهه الظعائن بالنخل: <sup>(4)</sup>

وتراهن في الهوادج كالغز لان ما إن يناهن السهام  
نخلات من نخل بيسان أينغـ ن جميعاً ونبتهن ثوام  
وتدلت على مناهل بُردٍ وفلنج من دونها وسنام

وبعد فإن مهيجات الحنين والأشواق كثيرة في ما حول الشعراء من طبيعة ساكنة أو متحركة، وللنخلة أثر شديد في إثارة أشجان الغريب وتذكر الأوطان والحنين إليها.

(1) معجم البلدان: حلوان 2/ 294، ديوان ابن الرقيات ص 13، تحقيق عماد يوسف نجم، ط دار صادر، بيروت د.ت.

(2) في الديوان: البرني غلب يهتز في سربه. البرني ضرب من التمر أصفر مدور، واحده تيرنية.

(3) وموضع بأرض البامة، وبيسان أيضاً من قرى مرو الشاهجان، وبين البصرة وواسط كورة واسعة كثيرة النخل والقرى

يقال لها ميسان بالميم. ياقوت: بيسان 1/ 527.

(4) ياقوت: بيسان 1/ 527— 528، الأصمعيات ص 186.

## الحنين إلى نجد في الشعر العربي

تحتل نجد مكانة كبيرة في الشعر العربي في مختلف العصور، فقد تغنى بها الشعراء وحنوا إليها، وذكروا مراتبها، سواء من عاش بنجد أو من كان بعيداً عنها، فقد ظلت نجد ملهمة للشعراء يتغنون بها وصارت رمزاً للشوق والحنين إلى الأرض والوطن. وقد اشتهر من الشعراء الذين تغنوا بنجد من القدماء، الصمة بن عبد الله القشيري، ويزيد بن الطثرية، وقد أثر هذان في شعر من جاء بعدهما وخاصة الأبيوردي ثم الطغرائي<sup>(1)</sup>، ونذكر ما جاء من شعر قاله الشعراء في الحنين إلى نجد مما تيسر لنا الوقوف عليه:

### الصمة القشيري

ذكر الصمة القشيري المتوفى في حدود سنة 95 هـ، نجداً وحن إليها وتغزل بحسانها في شعر رقيق جميل، أجاد فيه وأبدع فيه، نختار منه هذه الإضامة الرائعة<sup>(2)</sup> قال:<sup>(3)</sup>

لکم سنْدُ الودکاءِ أنْ تبکیا جَهْدًا	خَلِيْلِيَّ إنْ قابلتما المَضْبَبَ أو بَدَا
خُزازی ومَدَّ الطرفَ هل آنَسَ النجدَا	سَلَا عِبْدَ الاعلیٰ حیثِ أوْفَىٰ عَشِيَّةَ
إلی جَبَلِ الأوشالِ مُسْتَخْبِيًا بَزْدَا	فَمَا مِنْ قَلِيٍّ لِلنجدِ اصْبَحْتُ هَامِنَا
إِذَا لم یَجِدْ مِنْ أَنْ يُطالِبَهَا بُدًّا	ولكنَّ حَاجَاتِ الفَتَى قُدْفٌ بِهِ
لَعِبْنُ بِنَا شِيبًا وَسَيَّبْنَا مُرْدَا	دَعْوِيٍّ مِنْ نَجْدٍ فَإِنَّ سِنِينَةَ

(1) ينظر: نجد في الشعر العربي: محمد الحمدان، ضمن بحوث مؤتمر الأدباء السعوديين الأول 5 / 1833.

(2) الصمة بن عبد الله القشيري حياته وشعره، جمع وتحقيق خالد الجبر، منشورات جامعة البترا 2003، واعتدنا في هذه المختارات على مجموع شعره المذكور، ونشير إليه باسم: الديوان، وكان الشيخ حمد الجاسر قد جمع شعر الصمة القشيري ونشره في مجلة العرب الجزء الأول السنة الأولى 1966، والسنة الثانية 1967، وقد أفاد صاحب الديوان منه، كما أفاد غيره عن نشر ديوان الصمة، وينظر: شعراء بني قشير في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي — عبد العزيز محمد الفيصل 2 / 179، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1978 م.

(3) ديوان الصمة القشيري ص 77 - 80.

بخيلاً وحرَّ القوم تحسُّبُ عبدا  
 إذا مارآني جاهلً ظنني عبدا  
 أراني بتجدي ناعماً لابساً بُزدا  
 ويجلو دُجى الظلماء أذكركني نجدا  
 بتجدي على ذي حاجةٍ طربٍ بُعدا  
 وماذا تُرجي من ربيع سقى نجدا  
 رأيت به المكنانَ والتفأل الجعدا<sup>(1)</sup>  
 بنجدٍ ويزدادُ النطافُ به برداً<sup>(2)</sup>  
 وللبيضِ والفتيانِ منزلةً حمدا  
 بأعيانكم هل تؤنسانِ لنا نجدا  
 فنشرف أن يزدادَ— ويحكما— بُعدا  
 فلولم تفض عيناى أبصرتا نجدا  
 مع الرائحين المصعدين لهم عبدا  
 رسالتنا لقيت من رُفقىة رُشدا  
 تحيةً من قد ظنَّ أن لا يرى نجدا  
 ولكننا جُزنا لنلقاكم عمدا  
 بكبلِ الهوى من ذكركم مضميراً وجداً<sup>(3)</sup>

لحا الله نجداً كيف يتركُ ذا الندى  
 على أن نجداً قد كسانى حُلَّة  
 سواداً وأخلاقاً من الصوفِ بعدما  
 ألا أيما البرق الذي بات يرتقي  
 وهيجني من أذرعَات وما أرى  
 سقى الله نجداً من ربيعٍ وصيفٍ  
 ونجداً إذا جادت به رهمُ الحيا  
 ألم تر أن الليل يقصُر طوله  
 بلى إنهُ قد كان للعيشِ قُرَّة  
 خليلي قوما أشرفا القصر فانظرا  
 وائي لأخشى إن علونا علوه  
 نظرتُ وأصحابي بذروة نظرة  
 إذا مرَّ ركبٌ مُصعدين فليتنى  
 أيارفقة من آلِ بضرى تمملوا  
 إذا ما وصلتُم سالمين فبلغوا  
 وقولوا لهم: ليس الضلالُ أجارنا  
 وإننا تركنا الحارثيَّ مكبلاً

قال في الحنين إلى نجد وشوقه إليها: <sup>(4)</sup>

(1) الرهم: جمع رهمة، المطر الخفيف الدائم الخفيف القطر. المكنان: ضرب من النبات زهرته صفراء. التفأل: ضرب من النبات دقيق.

(2) النطاف: قطر الماء.

(3) يريد بالحارثي نفسه، والحارثية في شعره حبيته رثياً.

(4) الديوان ص 83.

أَجْنُ إِلَى نَجْدٍ وَإِنِّي لِيَأْسُ طِوَالَ اللَّيَالِي مِنْ رَجُوعٍ إِلَى نَجْدٍ  
فَإِنَّكَ لَالِئِلَى وَلَا نَجْدَ فَاعْتَرِفْ بِهِجْرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْوَعْدِ

وقال الصمة يذكر نجداً وقد فارق أهله ولحق بالجد: <sup>(1)</sup>

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَّا لَيْلَةً  
وَهَلْ أَقْبَلْنَا النَّجْدَ أَعْنَاقَ أَيُّنِي  
وَهَلْ أَحْبَبْنَا الْقَوْمَ وَالرِّيحُ طَلَّةً  
وَكُنْتُ أَرَى نَجْدًا وَرِيًّا مِنَ الْهَوَى  
فَدَعَنِي مِنْ رِيًّا وَنَجْدٍ كَلِيهِيهَا  
أَقُولُ لِعِيَّاشٍ صَجِينَا وَجَابِرِ  
قِفَا فَانظُرَا نَحْوَ الْجَمَى الْيَوْمَ نَظْرَةً  
فَلِمَا رَأَيْنَا قُلَّةَ النَّيْرِ أَعْرَضْتِ  
وَأَعْرَضَ رُكُنٌ مِنْ سِوَاكِ كَأَنَّهُ  
أَصَابَ بَجْهَوْلِ الْقَوْمِ تَتِييْمٌ مَابِهِ

بَسْعِدٍ وَلِمَا تَخَلُّ مِنْ أَهْلِهَا سَعْدٌ <sup>(2)</sup>  
وَقَدْ سَأَلَ مَسِيًّا تَمَّ صَبْحَهَا النَّجْدُ  
فِرُوعِ الْأَيْ حَفَّةً عَقْدٌ جَعْدُ  
فَمَا مِنْ هَوَايَ الْيَوْمِ رِيًّا وَلَا نَجْدُ  
وَلَكِنِّي غَادٍ إِذَا مَا غَدَا الْجُنْدُ  
وَقَدْ حَالَ دُونِي هَضْبٌ عَارِمَةٌ الْقَرْدُ  
فَإِنَّ غَدَاةَ الْيَوْمِ مِنْ عَهْدِهِ الْعَهْدُ  
لَنَا وَجِبَالَ الْحَزَنِ غَيْبَهَا الْبُعْدُ  
لِعَيْنِكَ فِي آلِ الضُّحَى فَرَسٌ وَرُذُ  
فَحَنٌّ وَلَمْ يَمْلِكْهُ ذُو الْقُوَّةِ الْجَلْدُ <sup>(3)</sup>

وقال الصمة القشيري في شوقه إلى نجد وأهلها: <sup>(4)</sup>

أَقُولُ لِمُصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي  
تَمْتَعُ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ  
وَبَيْنَ قِفَارِهَا قَفِيفِ الْمَطَايَا

بِنَابِيْنَ الْمَيْفَةِ وَالصَّمَارِ  
فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ <sup>(5)</sup>  
فَإِنَّ الْعَيْسَ تُحْبَسُ بِالْقِفَارِ

(1) الديوان ص 86 — 88 .

(2) سعد قرية في ديار قشير.

(3) التميم: ذهاب العقل.

(4) الديوان ص 94 — 95 .

(5) العرار: نبات طيب الرائحة ، وهو النرجس البري.

ألا يا حَبْدًا نَفَحَاتُ نَجْدٍ      وَرَبًّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقَطَارِ  
 وَأَهْلِكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا      وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِ  
 شَهْوَرٌ يَنْقُضِينَ وَمَا عَلِمْنَا      بَأَنْصَافِ هُنَّ وَلَا سِرَارِ  
 تَقَاصَرَ لَيْلُهُنَّ فَخَيْرُ لَيْلٍ      وَأَطِيبُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّهَارِ  
 أَيْسَتْ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَالَ حُزْنِي      فَقَلْبِي مَوْجَعٌ وَالدمْعُ جَارِ

وقال متحناً إلى نجد بعد أن ذهب مع الجند الفاتح ، ويتغزل غزلاً جميلاً فيه شوق  
 وحوار ومعاتبة ، والقصيدة طويلة من جيات قصائد الغزل: (1)

أَكْرَزُّ طَرْفِي نَحْوَ نَجْدٍ وَإِنِّي      إِلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يُذْرِكِ الطَّرْفُ أَنْظُرُ  
 حَنِيناً إِلَى أَرْضِي كَأَنَّ ثَرَابَهَا      إِذَا مُطِرَتْ عَوْدٌ وَمَسْكٌ وَعَنْبَرُ  
 بِلَادٌ كَأَنَّ الْأَقْحُونَ بَرَوْضَةٍ      وَنَوْرُ الْأَقَاحِي وَشَيْ بُرْدٍ مَحْبَرُ  
 أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَحَاجَتِي      خِيَامٌ بِنَجْدٍ دُونَهَا الطَّرْفُ يَقْضُرُ  
 وَمَا نَظَرِي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ بِنَافِعِي      أَجَلٌ لَا وَلَكِنِّي إِلَى ذَاكَ أَنْظُرُ  
 أَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةً ثُمَّ عَبْرَةً      لِعَيْنِكَ مَجْرَى مَائِهَا يَتَحَدَّرُ  
 مَتَى يَسْتَرِيحُ الْقَلْبُ إِذَا مَجَاوِرٌ      بِحَرْبٍ وَإِذَا نَازِحٌ يَتَدَكَّرُ

ومن قصيدة طويلة أولها: (2)

خَلِيلِيَّ عَوْجًا مِنْكُمَا الْيَوْمَ أَوْدَعَا      نُحْيِي رُسُومًا بِالْقُبَيْبَةِ بَلْقَعَا

وبعد أن يقف على الديار ويتغزل ويبيكي شوقاً إلى حبيبته العامرية ، يذكر نجداً

وأيامه فيها وشوقه إليها:

قَفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى      وَقَلَّ لَنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَعَا

(1) الديوان ص 102.

(2) الديوان ص 106 ، 110.

وما أحسن المصطاف والمترعبا  
 على كيدي من خشيية أن تصدعا  
 عليك ولكن حل عينك تدمعا  
 بوضلي الغواني مذ لدن أن ترعرا  
 إليه العيون الناظرات التطلعا  
 إذا ستمتهن الوصل أمسين قطعا  
 تراهن بالاقدام إذ مسن ظلعا  
 فقلن: سقاك الله بالسّم مُنقعا  
 لنفسي من دون الحمى اليوم مُنقعا  
 بنائك من يُمنى ذراعيك أقطعا  
 وجالت بنات الشوق يحنن نزعنا  
 وجعت من الإصغاء لبتا وأخذعا  
 يقينا ونزوى بالشباب فنقعا  
 إذا حل الواذا الحشا فتمنعا<sup>(1)</sup>  
 كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا  
 يُصب على صم الصفا لتصدعا  
 بوادي الشرى والغور ماء ومرتعا<sup>(2)</sup>  
 مصادر نجد والفضاء فرجعا  
 مراتعة من بين قف وأجرعا<sup>(3)</sup>  
 وما لا يرى فيه أخوالقيد مطمعا

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا  
 وأذكر أيام الحمى ثم أنشي  
 فليست عشيأت الحمى برواجع  
 معي كل غر قد عصى عاذلاتيه  
 إذا راح يمشي في الرداءين أسرعت  
 وسرب بدت لي فيه بيض نواهد  
 مشين أطراد السيل هونا كأنها  
 فقلت سقى الله الحمى ديم الحيا  
 وقلت: عليكن السلام فلا أرى  
 فقلن: أراك الله إن كنت كاذبا  
 ولما رأيت النير أعرض دوننا  
 تلفت نحو الحي حتى وجدثني  
 فإن كتتم ترجون أن يذهب الهوى  
 فردوا هبوب الريح أو غيروا الجوى  
 أما وجلال الله لو تذكرتني  
 فقالت: بلى والله ذكرا لو أنه  
 فما وجد علوي الهوى حن واجتوى  
 رأى وهو في رأس الشرى مُتمنعا  
 تشوق لما عضه القيد واجتوى  
 ورام بعينه جبالا منيفة

(1) الواذا الحشا: مكان الحشا

(2) الشرى جبل بنجد في ديار طيء، وجبل بتهامة موصوف بكثرة السباع. معجم البلدان: الشرى.

(3) القف: ما ارتفع من الأرض وغلظ. باتوت: قف. الأجرع: الكتيب جانب منه رمل وجانب حجارة. اللسان: جرع

إذا رام منها مطلعاً ردّ شأوه  
 بأكبر من وجيد برّيا وجدته  
 ولا بكرة بكر رأت من جوارها  
 إذا رجعت في آخر الليل حنة  
 لقد خفت أن لا تقنع النفس بعدها  
 وأعدّل فيها النفس إذ حيل دوتها  
 سلام على الدنيا فما هي راحة  
 ولا مزججاً بالربع لستم حلولة  
 فماء بلا مرعى ومرعى بغير ما  
 لعمرى لقد نادى مُنادي فراقنا  
 بكُلّ بلادٍ أم بكُلّ مظنة  
 كأننا خلقنا للنوى وكأنها

أمين القوى عَضّ اليدين فأوجعا  
 غداة دعا داعي الفراق فأسمعا  
 مجرأ حديثاً مُستئيناً ومضرعاً  
 لذكر حديث أبكت البُزَل أجمعا  
 بشيء من الدنيا وإن كان مقنعا  
 وتأبى إليها النفس إلا تطلعا  
 إذا لم يكن شملي وممنلكم معا  
 ولو كان تحضّل الجوانب ثمّرعاً  
 وحيث أرى ماء ومرعى فمستبما  
 بتشتيتنا في كل وادٍ فأسمعا  
 أخو أملٍ مِنّا يُحاول مَطْمَعاً  
 حرام على الأيام أن تتجمعا

ويقول في الحنين إلى الحجاز ونجد مشاركاً الناقة في عراطفها وحنينها إلى الصحب والأرض والديار: (١)

وحنّت قلوصي آخر الليل حنة  
 حنّت في تنائبها وشبّ لعينها  
 فقلت لها: صبراً فكلّ قرينة  
 فما برحت حتى اروعينا لصورتها  
 تحنّ إلى أهل الحجاز صباة  
 فياربّ أطلّق قيدها وجريزها  
 فقلت لها: حني رويداً فإني

فيا زوعةً ماراع قلبي حنينها  
 سنا بارقٍ وهناً فجئن جنوتها  
 مفارقها لأبداً يوماً قرينها  
 وحتى انبرى مِنّا معينٌ يعينها  
 وقدبت من أهل الحجاز قرينها  
 فقدراع أهل المسجدين حنينها  
 وإياك تُبدي عولة سنينها

(1) الديوان ص 135 - 136.

خليلي هل بالشام عين حزينه  
 وهل بائع نفساً بنفس أو الأسي  
 وأسلمها الباكون إلا حمامة  
 تُجاوبها أخرى على خيثرانية  
 نظرت بعيني مؤنسني فلم أكذ  
 فكذبت نفسي ثم راجعت نظرة

تُبكي على نجدٍ لعلٍ أعيها  
 إليها فأجلاها بذاك حنينها  
 مُطوّقة قد بانَ عنها قرينها  
 يكادُ يُدنيها من الأرض لينها  
 أرى من سهيل نظرة أستبينها  
 فهيج لي شوقاً لنجدٍ يقينها

### يزيد بن الطثرية

وقال يزيد بن الطثرية (ت 126 هـ) يذكر نجداً وقد هيّجت الحمامة أشجانها فصار

يحاورها ويشكو همّه وأشواقه ويذكر حبه لحبيته التي أحب الناس لأجلها: (1)

ألا يا صبا نجدٍ متى هجيت من نجدٍ  
 أن هتفت ورتاء في رونق الضحى  
 بكيت كما يبكي الحزينُ صبايةً  
 وقد زعموا أن المُحبَّ إذا دنا  
 بكلُّ تداوينا فلم يُشف ما بنا  
 هوأي هذا الغور غور تهاية  
 فوالله رب البيت لا تجديني  
 ولا أشتري أمراً يكون قطيعةً  
 فمن حُبها أحييت من ليس عنده  
 الأرياً أهدى لي الشوق والجوى

لقد زادني مسراكٍ وجداً على وجدٍ  
 على فتن غصن النبات من الرند (2)  
 ودبت من الحزن المبرح والجهد  
 يملُّ وأن النأي يشفي من الوجد  
 على أن قرب الدار خير من البعد  
 وليس بهذا الجلس من مستوى نجدٍ  
 تطلبت قطع الحبل منك على عمد  
 لما بيننا حتى أغيب في لحدي  
 يد بيد تُجزي ولا مئة عندي  
 على النأي منها ذكرة قلما تجدي

(1) شعر يزيد بن الطثرية ص 68-72، جمع حاتم الضامن، بغداد 1973، شعراء قشير 2/ 129، الأغاني 5/ 246.

(2) رونق الضحى: إشراقه. الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية.

## الأبيوردي

ومن ولع بنجد والتغني بربوعها والشوق إلى حماها وأهلها الأبيوردي أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق القرشي الأموي يتصل نسبه بمعاوية الأصغر بن محمد بن أبي العباس، المتوفى سنة 557هـ، كان شاعراً ظريفاً مشهوراً، وراوية نَسابة، قسم ديوانه شعره إلى أقسام: منها العراقيات، ومنها النجديات، ومنها الوجديات، وله تصانيف كثيرة منها تاريخ أبيورد ونساء، وكتاب المختلف والمؤتلف، وطبقات كل فن، وله في اللغة مصنفات كثيرة، وتوفي بأصبهان مسموماً سنة سبع وخمسين وخمسة<sup>(1)</sup>، ولا يُدرى هل زار الأبيوردي نجداً وأقام فيها، أم ذكر مرابعها على الوصف والسمع؟ وقيل إنه زار نجداً ومكث فيها، وتعلق بامرأة نجدية وصار يذكرها في شعره وأحب لأجلها نجداً وأهلها، ويحفل ديوانه بالحنين إلى الوطن والشوق إلى الأهل والديار، والتغني بنجد والتغزل بصباياها، وشعره عامر بالشوق والوجد والحنين، يقول وهو في غربته في العيد يتشوق إلى وطنه:<sup>(2)</sup>

الناس بالعيد مسرورون غير فتى	يشفق في إسار الغربة الحزن
وبين جنبيه هم لا ييؤح به	ففرحة المرء حيث الأهل والوطن
ولا اغتراب علينا فالبلاد لنا	فتوحها ونا يسترحب العطن <sup>(3)</sup>
إذ لم تكن قبلنا بالمجد حالية	ولاها منظر من بعدنا حسن
والأرض تزهى بنا أطرافها فمتى	نجل إلى الشام يحسدها بنا اليمن

(1) وفيات الأعيان 4/ 444-449، ط إحصان عباس.

(2) ديوان الأبيوردي النجديات 2/ 83-84 تحقيق عمر الأسعد، ط 2 مؤسسة الرسالة، بيروت 1987، وانظر محمد بن

عبد الرحمن الربيع، الرياض 1983.

(3) العطن: زحابة الصدر، يقال: فلان واسع العطن، إذا كان رحب الذراع. أساس البلاغة: عط.

وتلك دائرٌ ورثناها معاويةً  
 أصبو إليها وأشواقِي تُبرِّحُ بي  
 فليت شعري وليت غيرُ نافعةٍ  
 وهل أنيخُ ببابِ القصرِ ناجيةً  
 هنالك الهضباتُ الحُمُرُ لو هتفتُ  
 لكنَّ كوفنَ ألقانا بها الزمنُ<sup>(1)</sup>  
 وتمنحُ العينَ أن يعتادها الوسنُ  
 هل يبدونَ لعيني مُنجِدُ حَصْنُ<sup>(2)</sup>  
 مُناخها فيه من صوبِ الحيا قوينُ  
 بالميتِ راجعَ فيها روحةَ البدنُ

وقال أبو المظفر الأبيوردي لما استولى الفرنج على بيت المقدس في سنة اثنتين  
 وتسعين وأربع مئة يأسف على ما حل بالبلاد ويحن للوطن السليب:<sup>(3)</sup>

مزجنا دماءً بالدموعِ السَّواجِمِ  
 وشَرُّ سلاحِ المرءِ دمعٌ يُفِيضُهُ  
 فإنيأ بني الإسلامِ إن وراءكم  
 آتِهومةً في ظلِّ أمني وغِبْطيةٍ  
 وكيفَ تنامُ العينُ مِلءَ جفونها  
 وإخوانكم بالشامِ يُضحى مقبلهمُ  
 نسوئهمُ الرومُ الهوانَ وأنتمُ  
 وكم من دماءٍ قد أبيضتُ ومن دُمى  
 بحيثُ السيفُ البِيضُ مُحَمَّرُهُ الظُّبا  
 فلم يبقَ مِنَّا عَرَصَةٌ للمراحِمِ  
 إذا الحربُ شَبَّتْ نارُها بالصَّوارِمِ  
 وقائعٌ يُلحِقنَ الدُّرا بالناسِمِ  
 وعيشِ كَنُوارِ الحَميلَةِ ناعِمِ  
 على هَقَواتِ أيقظتُ كلَّ نائمِ  
 ظهَورَ المذاكي أو بَطونَ القشاعِمِ  
 تُجرُّرونَ ذَيْلَ الحَقَضِ فَعَلَّ المُسالِمِ  
 تُوارِي حياءَ حُسْنِها بالمعاصِمِ  
 وسُمُرُ العوالي دَامياتُ اللهاذِمِ

(1) ورثناها معاوية: أي من معاوية. كوفن: بليدة صغيرة في خراسان على ستة فراسخ من أبيورد التي ينسب إليها الشاعر الأبيوردي. معجم البلدان: كوفن.

(2) حصن: جبل شامخ بنجد. معجم البلدان: حصن، مجمع الأمثال 2/ 299.

(3) الديوان 2/ 156 — 157.

وَبَيْنَ اخْتِلاصِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَقَفَّةٌ  
وَتِلْكَ حُرُوبٌ مَنْ يَغِيبُ عَنْ غِيَارِهَا  
سَلَكْنَ بِأَيْدِي الْمُشْرِكِينَ قَوَاضِيًا  
يَكَادُ هُنَّ الْمُسْتَجِنُّ بِطَيْبَةِ  
أَرَى أُمَّتِي لَا يُشْرِعُونَ إِلَى الْعِدَا  
وَيَجْتَبِرُونَ النَّارَ خَوْفًا مِنَ الرَّدَى  
أَنْزَحِي صَنَادِيدُ الْأَعَارِبِ بِالْأَذَى  
فَلَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَسُدُّوْا حِمِيَّةً  
وَأَنْ زَهَدُوا فِي الْأَجْرِ إِذْ حَسَّ الْوَعَى  
لَنْ أَدْعَتَ تِلْكَ الْخِيَاشِيمُ لِلْبَرَى  
دَعُونَاكُمْ وَالْحَرْبُ تَرْنُو مِلْحَةً  
تُرَاقِبُ فِينَا غَارَةَ عَرِيَّةً  
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَغْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ

وقال في الحنين إلى نجد ، وهي أول النجديات: (1)

خَلِيلِي إِنَّ الْحَبَّ مَا تَغْرِفَانَهُ  
أَجْنٌ وَلِلْأَنْضَاءِ بِالْعَوْرِ حَنَّةٌ  
وَتَضْبُو إِلَى رَنْدِ الْجَمَى وَعَرَارِهِ  
وَعَمَا شَجَانِي أَنْ لَيْلِي تَغْبِطُكَ  
هُدَيْمٌ وَسَعْدٌ يَغْدِلَانِ عَلَى الْهَوَى

فَلَا تُتَكْرِمَا أَنَّ الْخَنِينَ مِنَ الْوَجْدِ  
إِذَا ذَكَرْتَ أَوْطَانَهَا بِرُبَا نَجْدِ  
وَمَنْ أَيْنَ تَدْرِي مَا الْعَرَارُ مِنَ الرَّنْدِ (2)  
فَقَالَتْ سِرَارًا وَالْمَطِيَّ بِنَا تَحْدِي (3)  
فَمَاذَا لَقِينَا مِنْ هُدَيْمٍ وَمَنْ سَعْدِ (4)

(1) الديوان 2 / 172.

(2) العرار والرند: نباتان طيبا الرائحة من نبات نجد.

(3) تحدي: تسرع.

(4) فماذا لقينا: أي فأى أمر عظيم لقينا منها.

وقال في الحنين والشوق ويكي على فراق الأهل والأحباب: (1)

ولوعةٍ بِتْ أخفيها وأظهرها  
والدمعُ يغلبني طوراً وأغلبه  
حتى تبيّن صخبي ما اتهمتُ به  
ظَلَلتْ تُذري دموعاً ما يُنهزها  
هَبني أغيضها ما لم تُشَب بدم  
وهكذا كنت تبكي يومَ ذي بقرٍ  
فانتِ أمنعُ لي بما أحاوله  
ونح العَدولِ أما يُبقي على دَنفٍ  
يمشي بعرضي إلى ظمياء يثلمه  
إن أعرضتِ ونأتِ أو أقبَلتِ ودتتِ  
ورُبَّ ليلٍ طليحِ النجمِ قَصَره  
تقبيلةٌ كانتهازِ الصَّفرِ قُرَصته  
ولم يكن بعدها إلا التَّقَى وطرّ  
ثم افترقنا فأغتننا مباسمها  
والفقرُ منها كعقدٍ وهو مُنتظِمٌ  
والليلُ ينفسي ضياءَ الصُّبحِ ظلَمتهُ

بمَنزِلِ الحَيِّ بينَ الضالِّ والسَّلمِ (2)  
ومَن يُطيقُ غِلابَ المَدَمَعِ السَّجِمِ  
فقلْتُ للطَّرِفِ هذا موضعُ التَّهمِ  
عَدَلُ الصَّديقِ فسِرِّي غيرُ مُكْتَمِ  
فكيفَ أسرَّها تمزوجةٌ بِدمٍ  
وليلةُ الحِزْرِعِ والمشوى على إضَمِ (3)  
من الوشاةِ فدعني والهوى ونَمِ  
طوى الحيازيمَ من وَجدٍ على أَلَمِ (4)  
وقد درى أن من الحاظِها سَقَمِي  
فهي المني والهوى النَّجديُّ من شيمي (5)  
بها الشفاءُ إن من لثَمِ ومُلْتَزِمِ (6)  
بها التقى في عناقِ خلدُها وفمي  
وهل خَطَّتْ بي إلى ما شانني قَدَمِي ؟  
عن البروقِ وأجفاني عن الدَّيمِ  
والدَّمَعُ مِنِّي كعقدٍ غيرِ مُنتظِمِ (7)  
كعابِسٍ ما به أنسٌ يُبْتَسِمِ (8)

(1) الديوان 2 / 197 - 198.

(2) الضال والسلم: شجرتان من أشجار البادية.

(3) ذو بقر: واد بين أخيلة الحمى، حمى الرعدة، إضم: موضع فيه ماء بين مكة والبيامة. ياقوت: بقر، إضم.

(4) الحيازيم: عظام الصدر، يقول: أما يرحم مريضاً أضمر في صدره ألم الوجد، يريد به نفسه.

(5) الهوى النجدي: يوصف صاحبه بالوفاء.

(6) طليح النجم: ضعيف النجم. الملتزم: المعانقة.

(7) أي أن أسناننا عند التيسم كالدر المنظوم، ودعني عند البكاء كالدر المنتور.

(8) يريد: أن الليل والصبح افترقا، والليل عابس والصبح مبسم، كما افترقنا نحن وأنا بك وهي مبتسمة.

إِنْ شَاعَ عَنْ أَزْرِهَا مَنْ عَفَّتِي حَبْرٌ فَإِنَّ شَاهِدَهَا فَيَا حَكَّتْ كَرَمِي

ويقول في قصيدة يتغزل بحبيته ويذكر نجداً وحينه إليها: <sup>١</sup>

هِيَ الْجُرْعَاءُ صَادِيَةٌ رُبَاهَا فَزُرْهَا يَا هُدَيْمُ أَمَا تَرَاهَا  
وَحَلَّ بِهَا دَمَوْعَكَ وَكَفَاتِ وَكَيْفَ الشُّخْبِ وَاهِيَةً كَلَاهَا

وبعد غزل بنساء شبيهات الظباء يقول في وصف حبيبته النجدية:

لَهَا بَيْتٌ رَفِيعُ السَّمَكِ صَخْمٌ بِهِ تُزْمَى إِذَا انْتَسَبَتْ أَبَاهَا  
أَظُنُّ الْخَمَرَ رِيْقَتَهَا وَظَنِّي مُتَّقُهُ إِذَا قَبَّلْتُ فَاهَا  
مَنْى ابْتَسَمْتَ تَكْتَفُفَ عَنْ أَفْحٍ تَقْرُطُهُنَّ سَارِيَةً نَدَاهَا <sup>٢</sup>  
أَجِبُّ حُبِّهَا تَلْعَاتٍ نَجْدٍ وَمَا شَفَفِي بِهَا لَوْلَا هَوَاهَا  
أَمَا وَالرَّاقِصَاتِ تُقَلُّ رُكْبَاءُ كَأَنَّهُمُ الصُّقُورُ عَلَى مَطَاهَا <sup>٣</sup>  
لَتَرَمَّيْنِي بِاللَّيْلِ دَاجٍ إِلَيْهَا الْعَيْسُ مَائِلَةٌ طَلَاهَا  
فَإِنَّ بِهَا أُوَيْسَ نَاضِلْتَنِي بِالْحَاظِ تَغِيْظُ بِهَا مَهَاهَا <sup>٤</sup>  
وَمُرْتَبِعاً بِهِ الْعُذْرَانُ تُخْدي إِلَيْهَا النَّاجِيَاتُ عَلَى وَجَاهَا  
وَتَلْصِقُ صِحَّةً بِالذَّاءِ مِنْهَا إِذَا اعْتَنَقَتْ كَلَاكِلُهَا نَرَاهَا <sup>٥</sup>

(1) الديوان / 2 - 201 - 203.

(2) عن أفاح: أي أسنان بيض كزهر الأقران.

(3) الراقصات: الإبل المرعات على ظهورها ركبان كأنهم الصقور في الخفة.

(4) ناضلتي: رميتي بسهام عينيها، مهاها: أي مها التلعات.

(5) كلاكل الإبل: صدرها.

ويتغزل بامرأة من بنات الحمى في نجد ويذكر الشيب الذي وخط ذوائبه: <sup>(1)</sup>  
 ومُرْتَبِحٍ من مَسْقَطِ الرَّمْلِ بِالْحَمَى      يُحَاصِرُهُ وَاِدْ أَعْنُ خَصِيبٌ <sup>(2)</sup>  
 تَحِلُّ بِهِ ظَمِيَاءٌ وَهِيَ حَيِيَّةٌ      إِلَيَّ وَمَغْنَاهَا إِلَيَّ حَيِيبٌ  
 إِذَا مَسَحَبَتْ أَذْيَالَهَا فِي عِرَاصِهِ      وَجَدْتُ ثَرَى تَلَكَّ الرَّبَاعِ يَطِيبُ  
 وَيَحْلُو بِفِي الشُّعْرَمَا أَطْرَبْتُ بِهِ      وَمَا كَانَ يَحْلُو لِي لَدَيَّ نَسِيبُ  
 وَلَمَّا رَأَتْ وَخَطَّ القَتِيرِ بِلَمَّتِي      تَوَلَّتْ كَمَا رَاعَ العَزَالَةَ ذَيْبٌ <sup>(3)</sup>  
 وَكُنَّا كغُضْنِي بَانَةَ طَابَ عِرْفُهَا      فَطَالَا وَلَكِنْ ذَابِلٌ وَرَطِيبٌ <sup>(4)</sup>  
 فَمَا بَالُهَا تَرْمِي إِلَيَّ بِنَظْرَةٍ      تُغَازِلُهَا البَغَضَاءُ وَهِيَ تُرِيبُ  
 كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ الشَّيْبَ أَوْ لَيْسَ فِي الوَرَى      ذَوَائِبُ فِي أَطْرَافِهِنَّ مَشِيبُ  
 وَلَا غَرَوَ أَنْ أُكْسَى القَلَى مِنْ كَوَاعِبِ      رِدَاءِ شَبَابِي عِنْدَهُنَّ سَلِيبٌ <sup>(5)</sup>

ومن غزله في النجديات وفيها محاورة رقيقة شائقة فيها حنين وشوق ووصف

لمحاسن الحبيبة: <sup>(6)</sup>

نظرتُ وللأدمِ النوافِخِ فِي البُرَى      بِشَرْقِيٍّ نَجْدٍ يَا هُدَيْمُ حَنِينٌ <sup>(7)</sup>  
 إِلَى خَفِرَاتٍ مِنْ نُعْمَرٍ كَأَنَّهَا      ظِيَاءٌ كَجِيَلَاتِ المَدَامِعِ عَيْنُ

(1) الديوان 2/ 209-210.

(2) واد أعن: كثير النبات. خصيب: كثير النعم.

(3) القتير: الشيب، أي كما أخاف الذئب الغزالة.

(4) يقول: أنا ذابل من شدائد العشق وهي كالغصن الرطيب الناضر.

(5) رداء الشباب: ما للشباب من البهجة وسواد الشعر وغيرها.

(6) الديوان 2/ 213-214.

(7) الأدم: الإبل البيض، البرى: جمع برة، وهي حلقة من صفر تكون في أنف البعير.

إذا ما تنازعنَ الحديثَ اشتفى به  
 كأن الذي استودعته منه لؤلؤ  
 وقد سمعت بي فاعتزتها بشائفة  
 وسدَّ خصاصَ الخدرِ طَرْفٌ ومَسَمَعٌ  
 وقالت سُلَيْمَى مرحباً بك مالنا  
 فقال هُذَيْمٌ وهو خَلِيٌّ وناصِحٌ  
 ألم تعلمي أن الصَّبَابَةَ أَجَحَفْتُ  
 فقالت له: مَنْ أَنْتَ تبغي انتِسابَهُ  
 أبوه عَلِيْمِي النَّجَّارِ وَأُمُّهُ  
 فقالت: يمانٍ أَبَعَدَ اللهُ دَارَهُ  
 تَنَحَّ فَمَا لِلْحَيِّ كَلْبٌ بِأَرْضِنَا  
 فَارْحُنَا وبِالْكَلْبِي غَيْظٌ يُجِئُهُ  
 كَأَنِّي وَإِيَاهُ بِسَائِقَةِ النَّقَا

من الوجد متبول الفؤاد حزين<sup>(1)</sup>  
 يلوح على أيدي التجار ثمين  
 ومثلي بها عند الكرام قمين  
 ونخرٌ وخدٌ واضحٌ وجبين  
 نرى أثرَ البلوى عليك يمين  
 لها وعلى أسرارها من أمين  
 به وأخوك العامري سمين  
 فقال: هجاناً لم يلذه هجين<sup>(2)</sup>  
 أبوها زهيرٌ نماء عرين<sup>(3)</sup>  
 له من نزارٍ صاحبٌ وخدين  
 قرادٌ يقيها الثائبات مكين  
 ولي من هواها زنة وأنين<sup>(4)</sup>  
 أخوسقم يشكو الجراح طعين

وقال الأبيوردي متغزلاً وذاكراً ديار نجد ومن يجب من أهلها، ويقسم بالبيت

الحرام في سياق الغزل: <sup>(5)</sup>

أَلَيْتَنَا بِالْحَزْنِ عَوْدِي فَبَأْنِي  
 وَأَذْرِي بِهِ دَمْعاً يُرْوِي غَلِيلَهُ  
 وَأُقْسِمُ بِالْبَيْتِ الرَّحِيبِ فِنَاؤُهُ  
 وَأَطَامِنُ أَحْشَائِي عَلَى لَوْعَةِ الْحَزْنِ  
 فَلَمْ يَتَحَمَّلْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ مِنَ الْمُنْزَنِ  
 وَبِالْحَجَرِ الْمَلْثُومِ وَالْحَجَرِ الرَّكْنِ

(1) متبول الفؤاد: أسقمه الحب وذهب بعقله.

(2) الهجان: الكريم، وامرأة هجان: كريمة ليست من الإماء، والهجين: غير الأصل، الذي ولدته أمة.

(3) عليمي: منسوب إلى عليم، حي من كلب، وكنب حي من اليمن.

(4) الزنة: التهمة.

(5) الديوان 2/ 219-220.

وَذِكْرُكَ أَحْلَى فِي فَوَادِي مِنَ الْأَمَنِ  
وَيَذُرُّ الدُّجَى مِنْ حَاسِدِيهَا عَلَى الْحُسْنِ  
وَرَابِعُنَا مَاضِي الْغِرَارَيْنِ فِي الْجَفْنِ  
فَلَمَّا افْتَرَقْنَا صَارَ كَالْقُرْطِ لِالْأَذْنِ  
رَمَقَتْ بِذَاتِ الرُّمْتِ نَارَ بَنِي حِصْنِ  
عَلَى قِصْدِ الْحَطِيّ بِالْمَنْدَلِ اللَّذْنِ  
فَقُلْتُ ابْنَ أَرْضِ ضَلَّ فِي لَيْلَةِ الدُّجَنِ  
وَنَجْدٌ هَوَاهُ وَهِيَ تَعْرِفُ مَا أَعْنِي

لَأَنْتِ إِلَى نَفْسِي أَحَبُّ مِنَ الْغِنَى  
فَكَمْ غَادَةٌ جَلَى ظِلَامِكَ وَجْهَهَا  
خَلَوْتُ بِهَا وَحْدِي وَثَالُثُنَا التُّقَى  
يَذُودُ الْكَرَى عَنَا حَدِيثٌ كِعَقْدِهَا  
وَأَخْرُ عَهْدِي بِالْمَلِيحَةِ أَنْسِي  
فَحَيِّبَتْ أَهْلَ الصُّوْرِ وَهِيَ تَشْبُهَهَا  
فَقَالُوا مَنِ السَّارِي وَقَدْ بَلَّهَ النَّدَى  
لَهُ حَاجَةٌ بِالْعَوْرِ وَالِدَارُ بِالْحَمَى

وقال يتغزل في نجدية مترفة ويذكر وجده بها وما يعانیه من الشوق ويذكر مشاركة

الحيوان في حنينه وعواطفه: (١)

لَأَسْرَبَهَا فِي عَامِرٍ مَا تَمَكَّتِ  
بِهِ فَاسْتَقَرَّتْ عِنْدَهُ وَاطْمَأَنَّتِ  
وَهَاجَ مَطَايَاهُمْ حِينِي فَحَنَّتِ  
يَقُولُ أَلَا لِلَّهِ نَفْسٌ تَعْنَتِ  
وَإِنْ نَشَرَ اللَّيْلُ الْجِنَاحَ أَرْنَتِ  
لَهَا الْخَيْرُ مَاذَا أَضْمَرَتْ وَأَجْنَتِ  
بَنَجْدٍ أَوِ الْأَيْكِيَّةُ الْوُزُقُ غَنَّتِ  
وَمَنْ أَجْلَهَا حَنَّتْ وَرَنَّتْ وَأَنْتِ  
عَلَيْنَا وَلَوْ لَا بُخْلُهَا مَا تَجَنَّتِ  
أَلَا سَاءَ مَا ظَنَنْتُ بِنَا حِينَ ظَنَنْتِ

وَأَلْفَةَ لِلْخَيْدِ ظَاهِرَةَ التُّقَى  
تَجِلُّ بِنَجْدٍ مَنْزِلًا حَلَّتِ الْعُلَا  
تَذَكَّرْتُهَا وَالرَّكْبُ مُغْفٍ وَسَاهِرٌ  
وَهَبَّ صِحَابِي وَاجْمِينَ وَكُلُّهُمْ  
إِذَا حَدَرَ الصُّبْحُ اللَّثَامَ تَأَوَّهَتْ  
وَلَسْنَا نَرَاهَا تَسْتَقِيقُ مِنَ الْهَوَى  
تَهَيَّمُ إِذَا رِيحُ الصَّبَا نَسَمَتْ لَهَا  
وَتَصْبُو إِلَى لَيْلِي وَقَدْ سَطَّتِ النَّوَى  
مِنَ الْبَيْضِ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَجَنِّيًا  
تَضِنُّ بِمَا نَبَغِي لَظَنُّ تَسِينُهُ

وقال يتشوق إلى نجد ويحن إليها ويبكي شوقاً ووجداً: <sup>(١)</sup>

ألام على نجد وأبكي صباية  
فلي بالحى من لا أطيق فراقه  
وأكرم من جيرانه كل طارىء  
إذا لم يدغ مني نواه وحبه  
ولولا الهوى ما رقت للدهر جانبي  
رونذك ياد معي ويا عاذلي رفقا  
به يسعد الواشي ولكنني أشقى  
يود ودادا أنه من دمي ينقى  
سوى رمي يا أهل نجد فكم أبى  
ولا رصيت منكم قرينش بما ألقى

وقال في الشوق والحنين إلى نجد وأهلها: <sup>(٢)</sup>

يانجد ما لأجيتي شطوا  
ظعنوا فمالك لا تفارقهم  
وكان عينهم على حديق  
ألفت جوار الركب غانية  
والعين بما الهند تطبعه  
رعيئة الأباء إن نسبت  
ياسلم شف الحسم وعذك لي  
وملات مزطك إنه نسم  
إنني لأخي الليل مكتيباً  
في منزل أزدعت عرصته  
لم يحم أرك مثلمهم قط  
يا قلب إن رحلوا وإن حطوا  
تذمي الجفون دموعها تخطر  
بأبي جوار عقودها القزط  
والقد بما ينبت الحط  
فلها أراقم وائل رقط <sup>(٣)</sup>  
برضى يشف وراة سُخط  
برمخص ببنله المزط <sup>(٤)</sup>  
حتى يرى وفرعه سُمنط <sup>(٥)</sup>  
مسكاً يمُج قيتة المشط

(1) الديوان 2/ 227.

(2) الديوان 2/ 231-232.

(3) أصل الأرقام: الحيات الرقش، والمراد هنا الشجعان.

(4) المرط: كساء تنزر به المرأة. لائه: لفته وتلفعت به. ويريد بملات المرط: الكفل.

(5) الفرع: شعر الرأس. شمط: ييض، أي يبيض شعر رأسه.

وقال الأبيوردي في الحنين إلى نجد وديارها وأهلها: (1)

أَرْضِ الْعُدَيْبِ أَمَا تَنْفِكُ بَارِقَةً  
أَصْبُو إِلَى أَرْضِ نَجْدٍ وَهِيَ نَازِحَةٌ  
وَأَسْأَلُ الرَّكْبَ عَنْهَا وَالدَّمُوعُ دَمٌ  
وَإِنْ سَرَى الْبَرْقُ مِنْ تَلْقَائِهَا غَرَضَتْ  
وَالرَّيْحُ إِنْ نَسَمَتْ عَلْوِيَّةً نَضَحَتْ  
فَهَلْ سَبِيلٌ إِلَى نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ  
لَيْسَ الْعِرَاقُ لَهُ بَعْدَ الْحَمَى وَطَنًا  
وَتَسْتَرِيحُ الْمَطَايَا مِنْ تَوْقُصِهَا  
فَلَيْتَ شِعْرِي وَكَمْ غَرَّ الْمُنَى أُمًّا  
هَلْ أَهْبَطْنَ بِلَادًا أَهْلُهَا عَرَبٌ  
عَلَى مُطَهَّمَةٍ جُرْدٍ جَحَافِلُهَا  
إِذَا رَمَوْا مَنْ يُعَادِيهِمْ بِأَرْجَعَتْ  
فَلَا دُرُوعَ لَهُمْ إِلَّا جُلُودُهُمْ  
إِنْ يَجْمَعُ اللَّهُ سَمْلِي يَا هُدَيْبِيُمْ بِهِمْ

تَسْمُو بِطَرْفِي إِلَى الرَّيَانِ أَوْحَصَنِ  
وَالْقَلْبُ مُشْتَعِلٌ مِنِّي عَلَى الْحَزَنِ  
بِنَاطِرٍ لَمْ يَحِطْ جَفْنًا عَلَى وَسَنِ  
عَيْسِي بِدِي سَلَمٍ مِنْ مَبْرَكِ حَشِينِ (2)  
بِالدَّمْعِ حَنَّةً عَلْوِيٍّ إِلَى الْوَطَنِ (3)  
يَهْزُ مَنْ أَلْفَ الْمِصْرَيْنِ لِلظُّعَنِ (4)  
يَمِيسُ عَافِيَهُ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ (5)  
إِذَا فَلَكَ لِمَ الْحَوْدَانِ بِالثَّنَنِ (6)  
مَنْ قَرَعَ عَدْنَانَ وَالْأَذْوَاءَ مِنْ يَمَنِ (7)  
لَمْ يَشْرَبُوا غَيْرَ صَوْبِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ (8)  
يَبْضُ تَلَوُّحٌ عَلَيْهَا رَغْوَةُ اللَّسَنِ (9)  
بِالنَّهْبِ دَامِيَةَ اللَّبَاتِ وَالثَّنَنِ (10)  
وَلَا عَلَيْهِمْ سِوَى الْأَحْسَابِ مِنْ جُنَنِ  
فَلَسْتُ مَا عَشْتُ بِالزَّارِي عَلَى الزَّمَنِ

(1) الديوان 2/ 235 — 237.

(2) غرضت: ملئت وسمت.

(3) العلوية: نسبة إلى عالية نجد، أي صار حنينه سيباً لانسكاب دمه.

(4) يريد بالمصريين: الكوفة والبصرة، الظعن: الارتمال.

(5) العطن: موضع الإناخة.

(6) توقص وثب وثباً قصيراً، فلت: قطعت. الحودان: نبت. الثنن: اخفاف البعير، وكل ما غلظ من جسمه ومباركه.

(7) الأذواء: ملوك اليمن.

(8) العارض الهتن: السحاب الماطر.

(9) المطهم: الجواد التام الحسن. جرد: جمع أجرد أي سباق. الجحافل: جمع جحفة، والجحفة للفرس كالشفة للإنسان.

(10) الثنن: جمع ثنّة وهي الشعرات التي في مؤخر رجل الفرس.

ويذكر حنينه وشوقه إلى حبيبته وهو في منى وقد لبى الحاج وطلبوا المغفرة فيسأل

الله سبحانه أن يجمعه بمن يجب: (1)

سَجَانِي بِأَعْلَامِ الْمُحْصَبِ مِنْ مَنَى  
وَقَدْ رَفَعَ الشَّعْثُ الْمَلْبُونُ أَيْدِيَا  
فِيَارِبُ إِنَّ الْمَالِكِيَّةَ حَاجَتِي  
وَلَمْ أَرَهَا إِلَّا بِنَعْمَانَ مَرَّةً  
فَلَا الْحُبُّ يُجِدِينِي وَلَا الشُّوقُ يَنْقِضِي  
خَفِي حَنِينِ رَجَعْتُهُ الْإِبَاعِرُ (2)  
بِحَاجَاتِهِمْ وَاللَّهُ مُعْطٍ وَغَافِرُ  
وَأَنْتَ عَلَى أَنْ تَجْمَعَ الشَّمْلَ قَادِرُ  
وَقَدْ عَطَّرْتَ مِنْهَا ثَرَاهُ الصُّفَانِرُ  
وَلَا دَارَهَا تَذْنُو وَلَا الْقَلْبُ صَابِرُ

ويذكر مرابع نجد ويحن إلى الديار والغيد الحسان: (3)

وَمَرْحَةَ بَرِيَا نَجْدٍ مُهْدَاةٍ  
إِذَا الصَّبَا نَسَمَتْ وَالْمُزْنَ يَتَضَبُّهَا  
تَقِيلُ فِي ظِلِّهَا يَبْضَاءُ آنَسَةٌ  
سُودٌ ذَوَائِبُهَا يَبْيَضُ تَرَائِبُهَا  
عَارَضَتْهَا فَاتَّقَتْ طَرْفِي بِجَارَتِهَا  
وَرِنْتُ مُلَقَى عَلَى سِقْطِ اللَّوَى لَمِي  
ثُمَّ انْتَبَهَتْ وَوَلَّحَ الْفَجْرُ فِي ظَلَمِ  
وَبَلَّ دِزْعِي وَمُهْرِي صَوْبُ غَادِيَّةٍ  
وَالْعَيْنُ مِنْ حُبِّ أَعْرَابِيَّةٍ عَرَضَتْ  
فَلَيْتَهَا لِي — وَالْأَمَالُ أَكْثَرُهَا  
أَغْصَانُهَا فِي غَدِيرِ ظَلِّ يُزْوِيهَا  
مَشَى النَّسِيمُ عَلَى آيِنِ يُنَاجِيهَا (4)  
تَكَادُ تَنْشُرُهَا لِينًا وَتَطْوِينَهَا  
مُحَرَّرًا مَجَاسِدُهَا صُفْرًا تَرَاقِيهَا  
كَالسَّمْسِ عَارَضَهَا غَيْمٌ يُوَارِيهَا  
وَتَفْحَةُ الْمَسْكَ تَسْرِي فِي نَوَاجِيهَا  
غَدَا يَفْقُصُ سَنَاهُ مِنْ حَوَاشِيهَا  
فَالْبَرْقُ يُضْحِكُهَا وَالرَّعْدُ يُبْكِيهَا  
تَعْوَمُ فِي عَبْرَاتِ كُنْتُ أَذْرِيهَا  
يُعْدَبُ النَّفْسَ — بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

(1) الديوان 2 / 284.

(2) المحصَّب: موضع رمي الجمار بمنى

(3) الديوان 2 / 286 — 288.

(4) المزن يبيضها: أي يرويها. الأين: الإعياء

وقال في الشوق إلى نجد وأهلها: (1)

على ديار سُعادِ  
 بها الطَّلُوبُ الصَّوادي  
 يَحْدَنُ مَيْلَ الوادي (2)  
 ومن زفيرِي حادِ  
 حَلَّتْ سَرَارَةَ وادي (3)  
 كالْبَاتِرَاتِ الحِدادِ  
 تَمْلِؤُهُ من رُقَادِ  
 بها الحُدُوجُ الغَوادي  
 فَمَا وَجَدْتُ فُؤادي

قَفَا بَنَجْدِ نَسَلْمِ  
 فلي دُمُوعٌ تُرَوِي  
 والنَّاجِيَاتِ إِلَيْهَا  
 لها من الشُّوقِ هَادِ  
 وكم بها من ظِيَاءِ  
 نَسِي الأَسْوَدِ بِنَجْلِ  
 كَأَنَّهَا من قُتُورِ  
 عَارَضَتْهَا إِذْ تَوَلَّتْ  
 أَبْغِي الفُؤَادَ لَدَيْهَا

وقال في الحنين إلى نجد وساكنيه: (4)

وَفِي لِي الطَّرْفِ من دَمْعِي بما وَعَدَا  
 حتى ترى لَوْلُؤاً من مَدْمَعِ بَدَدَا  
 دَنَا لِيَنْزِعَ من أَحْشَانِكَ الكَبِدَا  
 فلنَ تَرى بعدَ نَجْدِ عَيْشَةَ رَعَدَا  
 وعن قَرِيبِ تَراهُ يَلْتَوِي كَمَدَا  
 يُذِيبُ من أَدْمَعِي ذِكْرَاهُ ما جَمَدَا  
 عَدَاةً مَدَّ لِتَوَدِيعِ الحَبِيبِ يَدَا  
 به الصَّبَابَةُ إنْ أَتَمَّتْهَا نَجْدَا

إِنْ أَخْلَفَ الرَّغْدَ حَيٌّ يظَعْنُونَ غَدَاً  
 فلا تَرى لَوْلُؤاً من مَبْسِمِ نَسَقَاً  
 يا سَعْدُ إنْ فِرَاقاً كُنْتَ تُحَذِّرُهُ  
 هَلُمَّ تَبْكِ على نَجْدِ وساكِنِيهِ  
 ودَعْ هُدْيِيّاً فَقْدَ طَافَ السُّلُوبِ بِهِ  
 ويا هُدْيِيْمُ ألا تَبْكِي على وِطَنِ  
 هَلْأَ أَتَدَيْتُ بِسَعْدِ في صَبَابِيهِ  
 أَتُنْجِدَانِ فُؤاداً شَيْعاً عَلِقَتْ

(1) الديوان 2/ 288.

(2) يحدن: الوخذ ضرب من السير سريع.

(3) سرارة الوادي: خير المواضع فيه.

(4) الديوان 2/ 291—292.

أم تَنْقُضَانِ عُهُوداً كُنْتُمْ أُبْرِمُهَا      إن تَنْقُضَاهَا فَلَا لِقَائِنَا رَشَدَا  
متى تغيبا ولم يمتنعكما كرم      أن تخيرا بأحاديث الهوى أحدا  
فلارات علمي نجد غيرنكما      ولا رعى بالحلمي نضواكما أبدا

وقال يحن ويتشوق إلى ديار الحبيبة: (1)

خليلي هذا رنح ليل بذي الغصى      سقى الله ليل والغصى وسقاكما  
وقد كنتما لي مُسْعِدَيْنِ على البكا      فما لكما لا تُسْعِدَانِ أخاكما  
أظُلُّ وحيداً لا أرى من أجبه      وهل بالحلمي لي من خليلٍ سواكما  
ولو غاب عني واحد منكما ومث      قوى الصنير لا أوهى الزمان قواكما  
فكيف أذودهم عني تجلداً      وقد غبتما عن أرض نجد كلاكما

والنجديات في ديوان الأبيوردي كثيرة، وفيها غزل ووجد ووصف وفخر وأغراض أخرى، ويعد الأبيوردي أكثر الشعراء الذين ذكروا نجداً ومواضعها وحن إلى أهلها وتغزل بنسائها، وفيما اخترناه من شعره في نجد بيان لشدة تعلقه وحبه وحنينه لهذه البيئة التي أحبها الشعراء منذ الجاهلية وحتى العصور الحاضرة، وما أحب الشعراء نجداً إلا لأنها ترمز للأصالة العربية والفروسية والنقاء اللغوي بالإضافة إلى جمال الطبيعة وجمال أهلها وطبيبتهم ونقاء أصولهم وأعرافهم.

(1) الديوان 2 / 292.

## حجازيات الشريف الرضي

ولم يكن حب نجد والحجاز مقصوراً على الأبيوردي ، وإن كان أكثرهم شعراً في هذا الفن، بل كان هناك شعراء آخرون شاركوا في الحنين والشوق إلى نجد والحجاز، من ذلك الشريف الرضي (ت 406 هـ) الذي اشتهر بالحجازيات ، وهي قصائد ومقطعات في الغزل فيها حنين وشوق إلى الحجاز ونجد وأهله، وكان الشريف الرضي سابقاً في هذا الضرب من الشعر واحتذى حذوه الأبيوردي، وقد قيل إن الأبيوردي تلميذ المتنبّي في الفخر ، وتلميذ الشريف الرضي في الغزل.

ومن شعر الرضي (ت 406 هـ) في الحنين إلى نجد وأهلها والغزل بحبيته هناك ، هذه الأشواق:<sup>(1)</sup>

خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى	فلاقي بها ليلاً نسيمٌ ربا نجدٍ
فإنّ بذاك الحي إنفاً عهدئهُ	وبالرغمٍ مني أن يطولَ به عهدي
ولولا تداوي القلب من ألم الجوى	بذكر تلاقينا قضيتُ من الوجدِ

ويحن إلى نجد ويشتاق إلى موطنه ويتمنى أن يلتقي الأحبة والصحاب هناك:<sup>(2)</sup>

يا قلبُ ما أنت من نجدٍ وساكنه	خَلَفْتَ نجداً وراء المدليج الساري
راحت نوازغُ من قلبي تتبعهُ	على بقايا لُباناتٍ وأوطارٍ
يا راكبانِ تعالا واقضيا وطّري	وخبّراني عن نجدٍ بأخبارٍ
هل روّضت قاعة الرّعاء أم مطرت	جميلة الطَّلح ذات البان والغارِ

(1) ديوان الشريف الرضي 389/1 ط صارد، بيروت .

(2) الديوان 517/1 .

أم هل أبيتُ ودارٌ عندَ كاظمةٍ داري وسمازُ ذاك الحيِّ سُمَّاري

ومن أشواقه وحسراته على نجد وأهله قوله: <sup>(1)</sup>

أهأ على نفحاتِ نجدٍ إنها رُسلُ الهوى وأدلةُ الأشواقِ

ويرى أن أشواقه وأوجاعه التي بالعراق لا شفاء لها، فلربما وجد طبيها في نجد: <sup>(2)</sup>

عَمْتُ دوائِي بالعراقِ فرُّمًا وجَدْتُم بِنَجْدٍ لي طبيباً مداويا

---

(1) الديوان 1/389.

(2) الديوان 1/517.

### نجد في شعر الطغرائي

ومن ذكر نجداً وحنّ إليها كما حنّ معاصره الأبيوردي، الطغرائي (ت 513 هـ) يقول متغنياً بنجد ومواضعها وأهلها ويتغزل بحسانها ويصف مغانيها، وهي من جباد شعره: (1)

أيا حادي الأضعان عَرُدْ فقد بدا	لنا حَصْنٌ واستقبلتنا صبا نجد
وبشّرنا وَعَدُّ من المَزنِ صادقُ	بواصي من الحَوَذانِ والنَّقْلِ الجَعْدِ
وطارح رذاياها وقد مَلَّتِ السُّرى	أغاريدُ يُغرينَ الطلائحَ بالوَحْدِ
فإنَّ بذاك الجُورِ فاتنةَ اللّمي	أسيلةٌ مجرى الدمعِ واضحةُ الخدِّ
إذا ما المداري حُضِنَ سُودَ لِمَاهِا	خَلَطْنَ فُتاتَ المِسكِ بالعَنَبِ الوَزْدِ
لقد طالَ عهدي بالحمى وحلولِهِ	ولولا شقائي لم يطلُ بهمُ عهدي
أسائلُ عنه من لقيتُ وعنهمُ	متى جادَهُ غيْثٌ وما فعلوا بعدي
هل اخضَرَ وادبهم فعاشوا بغيْطِةِ	أم استبدلوا الصمَّانَ بالأجرعِ الفَرْدِ
وهل جَذوةُ النارِ التي يوقِدونها	لها حيثُ شبَّوها دليلٌ على كَبدي
وهل نُغْبَةُ الماءِ التي يردونها	على الحائمِ الحيرانِ ممنوعَةُ الوَزْدِ
أقولُ لأصحابي غداةَ تَزافَروا	رُويَدَكمُ إنَّ الهوى داؤه يُعدي
إذا ما قدَحْتُمُ نارَ وَجِدِ فإنَّها	شرارتُها فيكم وبجَمَرَتُها عندي

ويقول متشوقاً إلى نجد ويذكر حنينه لها وقد بعد عنها وحُرم منها: (2)

أقولُ لهُ وأنضاءِ المِهَارِ	طلائحُ قد ونيْنَ من السِّفارِ
تَعزُّ أخوا العُريبِ فما بنجدِ	لنا أخرى الليالي من قرارِ

(1) دبرانه ص 138-139.

(2) الديوان ص 168.

أَنْطَمَعُ فِي شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ      وَهَلْ "بَعْدَ الْعَشِيَةِ مِنْ عَرَارٍ"<sup>(1)</sup>  
 سَتَطَلُبُ مِنْهُمْ دَاراً بَدَارٍ      فَتَرَضَى دُونَهُمْ جَاراً بَجَارٍ  
 وَمَا فَارَقْتَهُمْ طَوْعاً وَلَكِنْ      قِضَاءً مَا مَلَكَتْ لَهُ اخْتِيَارِي  
 هُمُومٌ قَدُمْنِيَتْ بِهَا طِوَالٌ      لِأَيَّامٍ مُضَيَّنَ بِهِ قِصَارِ

ومن قصيدة غزلية رقيقة يعرّج فيها على ذكر نجد، ويحمن إليها ويصف طبيعتها  
 ومحاسن أرضها، وبطولة رجالها وكرمهم، وجمال صبيتها:<sup>(2)</sup>

يَا حَبِذَا نَجْدٌ وَأَعْرَاقُ الثَّرَى      لَدُنَّ وَأَنْفَاسُ النَّسِيمِ رِقَاقُ  
 فَهَوَاؤُهُ خَصِرُ النَّسِيمِ وَثُرَيْئُهُ      حَالِي الْأَدِيمِ وَمَاؤُهُ رَفَاقُ  
 وَسَاكِنِيهِ إِنْ اسْتَقَرَّ بِنَا النَّوَى      تُشْفَى النَّفُوسُ وَتُمْسِكُ الْأَرْمَاقُ  
 وَالْحَيُّ بِالْجُرْعَاءِ بَيْنَ يُوسُومِهِمْ      أُنْسُدُّ وَعَيْنُ جَاذِرٍ وَعِتَاقُ  
 وَالْبَيْضُ أَمْثَالُ الْخُدُودِ صَقِيلَةٌ      وَالسُّنْمُ أَشْبَاهُ الْقُدُودِ رِشَاقُ  
 وَالْجَرُودُ وَالْإِقْدَامُ فِي فِتْيَانِهِمْ      وَالْبُخْلُ فِي الْفَتِيَاتِ وَالْإِشْفَاقُ  
 وَالرَّمِي فِي الْأَخْدَاقِ دَابُّ رُمَاتِهِمْ      وَالرَّامِيَاتُ سِهَامُهَا الْأَحْدَاقُ

ويذكره البرق نجداً ومن بنجد فيشتاق إلى الحبيبة، وتلومه العاذلة فيحاورها  
 وتحاوره، ويث أشواقه ويتحدث عن ذكرياته في نجد ومن حلّ نجداً:<sup>(3)</sup>

أَرِنْتُ لِبَرْقٍ لَاحَ عَنِّي وَمِيضُهُ      وَإِنْسَانُ عَيْنِي فِي صَرَى الدَّمْعِ سَابِحُ  
 وَمَا لَاحَ لِي إِلَّا وَبَيْنَ جَوَانِحِي      جَوَى مِثْلُ سَيْرِ الزَّنْدِ أَوْرَاهُ قَادِحُ

وبعد أن يذكر آلامه وأشواقه يقول:

(1) يضمن بيت الصمة الفشيري السابق، شعراء قشير 2/ 179.

(2) الديوان 261.

(3) الديوان ص 108 - 110.

وأعوزُ شيء ما يرومُ النواصِحُ  
تردَّتْ بأفوافِ المشيبِ المسابِحُ  
إليه على طولِ العنَاءِ جَوَانِحُ  
وقد ضاعَ وَهناً رنْدُهُ المتفَاوِحُ  
أطَارَ البرى أنضَاؤُهُنَّ الطلايحُ  
قليلاً لسالتْ بالشُّجونِ الأباطِحُ  
ثقيلاً ما تحتَ الحُصورِ رواجِحُ  
وهنَّ لأطرافِ المروطِ روامِحُ  
براقعها تلكَ العيونُ اللوامِحُ  
يفسِقُ ولا النفسَ النقيَّةَ صالحُ  
إذا عَنَّ ظبيُّ بالصَّريمةِ جانِحُ

وعاذلةً هبَّتْ ترومُ نصيحتي  
تقولُ: ألا يصحُّ فؤادكُ بعدما  
فقلتُ دعيني والهوى فجوانحي  
ولا تذكري نجداً وطيبَ هوائه  
فبي طربُّ لو أنَّ بالعيسِ مثلهُ  
وبي شجنٌ لو كنتُ بمنَّ يُذيعهُ  
وفي الجيرةِ الأدنينِ هيفٌ خصورها  
برزنٌ بالحاظِ العيونِ نواشبا  
جلونٌ سُفوفاً عن سُنوفٍ ونقبتُ  
فلم يملكِ العينَ الطموحُ مجاهرٌ  
ولا غرواً أن يرتاحَ للصَّيدِ قانصُ

ويذكر ديار الحبيبة في نجد وقد ذكره بها البرق الذي يجتاز على إصم ويبلغ نجداً

فيحن إلى الحبيب ويذكر محاسنه: (1)

إذا شكوتُ إليه زادني مرصاً  
أرسلتُ طرفي سهماً وانثنى غرضاً  
يسري ويمري جفوني كُلاًّ ومثلاً  
يهفو بلبي وقلبي كُلاًّ عرضاً  
بالجارِ جاراً وما أرضى بهم عرضاً  
عن الرضاعِ تقضى والشبابُ مضي

يا صاحبي أعيناني على سكين  
ظبي غريزٍ إذا حاولتُ غرتةُ  
مالي وللبرقِ مجتازاً على إصم  
برقٌ يلوخُ بتنجيدِ الحمى وطني  
من مبلغِ الحمي شطتْ دأرهم ورضوا  
ما طابَ عنكم فؤادٌ طابَ قبلكم

ويتذكر أيامه في نجد حين شدَّ الرحال ووصل أرض الأجابة، وتنسم أنسام البادية

وما فيها من أريج نباتها وعليل هوائها، ويفوح العطر حين ترعد السماء وينزل القطر،

(1) ديوانه ص 213-214.

فحبذا العيش هناك، فتلك جنته بين أحبابه الذين يحن إليهم أبداً، وهذه قطعة من قصيدة من طوال وجياد قصائده: (1)

واللظِّلُ في أخفائهنَّ مَقِيلُ	الأحْبَادُ شدُّ الرِكايبِ صَحْوَةٌ
وقد كَادَ مِيزَانُ النِّهَارِ يَمِيلُ	ومُذَقَّةُ ظِلِّ بَيْنَ غُضُنِي أَرَاكِيَةٌ
تَسَاهَمَ فِيهَا سَمَالٌ وَقَبُولُ	ومن شِجِّ نَجْدٍ نَفْحَةٌ سَحْرِيَّةٌ
نَبَاتٌ رِياضِ مَسْهَنُ ذُبُولُ	ومُرْتَجِزُ بِالرَّعْدِ يَرِضِعُ دَرَّةٌ
صَلِيبٌ يَرِدُ النَّابَ وهو كَلِيلُ	وعاجِزَةٌ عودِي ولم تَدِرِ أَنَّهُ
شَرِيبٌ لِأَشْلَاءِ الكِرَامِ أَكْوَلُ	تُخَوِّنِي زَيْبُ الزَّمَانِ وَأَنَّهُ
وهِيهَاتَ مَنِي أن يَقَالَ بِخِيلُ	وتَأْمُرني بِالْمَالِ أوكي عِيَابُهُ

وهكذا فإن لنجد في شعر الطغرائي نصيب وافر، وكان خير شعره غناءً بنجد وأهلها ومرابعها وغيدها الحسان.

### نجد في كتاب المنازل والديار

وجاء ذكر نجد متفرقاً غير مجموع، في ثنايا كتاب أسامة بن منقذ (ت 584 هـ) نذكر ما جاء من ذلك في شعر الشعراء:

قال أبو زياد الطائي: (2)

بلادي ولا قومي ولا ساكننا نجدا!	أحقاً عباد الله أن لست ناسياً
أسلي بها قلبي ولا مَحْدِثاً عَهْداً	ولا ناظراً نحو الجَمَى اليومَ نظرةً
وكان بها عَضْرُ الصَّبَى نَضِراً رَغْداً	بلاذٍ بها نِيَطَتْ عَلِيٌّ تَمَائِمِي
وإن لم أجد من طولِ هِجْرَتِهَا بُدّاً	بلاذٍ بها قومي وأرضُ أَجْبِهَا

(1) ديوانه ص 280.

(2) المنازل والديار ص 246.

وقال صدقة بن نافع الغنوي: (1)

بيضاء نجد حيث كان مسيرها  
ولانت لنا أيامها وشهورها  
ودار علينا بالنعيم سرورها

ألا ليت شعري هل أسير ناقتي  
بلادها أنضيت راحلة الصبي  
فقدنا بها الهمة المضل وشربه

أنشد المبرد، قال أنشدتني القريظية: (2)

وماذا تُرَجِّي من ربيع سقى نجدا  
وللبيض والفتيان منزلة حمدا

سقى الله نجداً من ربيع وصيف  
على أنه قد كان للعيش مرة

وقال أبو نباتة الكلابي: (3)

وحرته العليا الغيوث الرواجس (4)  
إذا اطردت فيه الرياح الطيالس  
إلى أهلها أم أنت من ذاك آيس

أزيتك إن نجداً أظ بأهليه  
وعاد نبات الأرض رطباً كأنه  
أمطلع تلك الديار فناظر

وقال أبو تمام: (5)

وحئت كما حئت وشائع من بُرد (6)  
فيا دمع أنجذني على ساكني نجد  
بلاي وجددتم علي بلى الوجد

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي  
فأنجذتم من بعد إتهام داركم  
لعمري لقد أبليتكم جدّة البكا

(1) المنازل والديار ص 247.

(2) المنازل والديار ص 46.

(3) المنازل والديار ص 82.

(4) أظ به: أقام به ولزمه وألح عليه، الرواجس الشديدة الصوت والرعد.

(5) المنازل والديار ص 101، ديوانه 2/ 109.

(6) شهدت: حلفت، حئت: أخلفت، الوشائع: خيوط الثوب.

وقال قعنب بن أم صاحب: (1)

قد كنتُ أفصرتُ عن نجدٍ فهيجني  
لما وردتُ بلاداً كنتُ أعرفُها  
فقلتُ قد حانَ من أرضي وُلدتُ بها  
عَلَّ النَّوَى بِكَ يوماً أنْ تَربِعَ فقد  
على تذكُّرِها الحَقَّانُ والحَضَنُ (2)  
وشاقني ذِكْرُ أُخرى هاجَ لي حَزَنُ  
أوبٍ وقد حانَ من صَرَفِ النَّوَى قَرَنُ (3)  
تَذُنُو الغرِيبَةَ حَتَّى يَذُنُو الوَطَنُ (4)

وقال رجل من تميم: (5)

حَنَّتْ قَلُوصِي فِي عَدَانٍ إِلَى نَجْدٍ  
إِذَا مِثْنَتْ لَأَقِيْتُ الْقَلُوصَ وَلَا أَرَى  
وَلَمْ يُنْسِهَا أَوْطَانَهَا قَدَمُ الْعَهْدِ (6)  
لِقَوْمِي أَشْبَاهاً فِي أَلْفِهِمْ وَوَدِّي

وهكذا كان لنجد في ذاكرة الشعر العربي مكانة مرموقة، فنجد رمز الحنين إلى الوطن والأصل والنقاء، ونجد رمز الحياة البريئة الطاهرة العفيفة الخصبية، ورمز الجمال والحب والعفة، حفظ الله نجداً وساكنيها ومن يحنُّ إليها، وليس هذا كل ما قيل في نجد فهناك شعر كثير في دواوين الشعراء، نكتفي بما مر من شعر بدیع رائع.

(1) المنازل والديار ص 210.

(2) حضان: موضع قرب الكوفة، حضان: جبل بأعلى نجد.

(3) القرن: الجمع والاقتران

(4) تربيع: ترجع.

(5) المنازل والديار ص 226.

(6) عدان: موضع في ديار بني تميم.

## الفصل الخامس

### الحنين إلى العراق، وبغداد خاصة

العراق أصل الحضارة ومنبع العلوم وأول بلد عرف العلم والكتابة، وأول من سن القوانين، وكان إشعاع نوره أن ملأ الأرض وعمَّ خيره بقاع الدنيا، وبعد قرون من أمجاد العراقيين الأوائل عُرفت بغداد درة العواصم وأجمل مدن الدنيا، وأكثرها خيراً وعطاءً، وكانت مدينة المنصور وبقيت على مرور الزمان أم الدنيا ومصدر الإشعاع للخير والعلم، منها شعت أنوار الحضارة، وفيها عرف الفن وزها الشعر، وكانت منارة الدنيا ومقصد العلماء ومهوى الأفئدة، ورغم ما نزل بها من مصائب وكوارث، وما أصابها من اجتياح وعدوان من الهمج الغزاة، فإنها سرعان ما تنهض وتعاود ازدهارها وأمجادها، فيشع نورها وتزدهر حضارتها وعلومها من جديد ليشمل ما حولها من دول وأمم. بارك الله في بغداد أم الخير والأجداد التي يمن إليها كل من زارها أو سكنها أو تنعم بخيرها ونهل من علمها، وما من أحد من العلماء والأدباء زارها أو أقام فيها قليلاً أو كثيراً إلا أحبها وأحب أهلها، وأحب كل خير فيها، فقد زارها كثرة من علماء العرب وأدبائها وشعرائها فأحبوها وحننوا إليها، ولا يُبْغِضُ لها ويحن إليها إلا الكرام الأصلاء الأوفياء ذوو الأصول الكريمة، ودع عنك الطَّعام اللثام من وحوش الأرض الذين يتربصون بها، ويوجهون إليها سهام الغدر والخيانة والكيد اللثيم.

ولنقرأ الصفحات الخيرة من الشعر الذي قاله فيها المحبون والمعجبون من أهلها ومن زائريها، وشعر الحنين إلى بغداد وأهلها كثير وكثير وسنكتفي بالمختار منه «وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق»<sup>(1)</sup>

(1) الميداني: مجمع الأمثال / 1 / 196.

## من القدماء

### الأبيوردي

ومن أشهر الشعراء الذين كثر حنينهم إلى العراق، وإلى بغداد خاصة الشاعر الأبيوردي، أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق (ت 507 هـ)، كتب من أصفهان إلى صديقه في بغداد مدينة السلام، من قصيدة طويلة، نظر إلى السماء ورأى البرق يضيء فهجج أشجانه وحنينه، نقتطف منها قوله: <sup>(1)</sup>

أضاء بُرَيْقٌ بِالْعُدَيْبِ كَلِيلُ	فَنَيْيُ نِجَادِي لِلدُمُوعِ مَسِيلُ
تَنَاعَسَ فِي حِضْنِ الْغَمَامِ كَأَنَّهُ	حَسَامٌ رَمِيضٌ الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلُ <sup>(2)</sup>
يُنِيرُ سَنَاهُ مَنْزَلَ الْحَيِّ بِاللَّوِيِّ	وَيُسْنِدِيهِ مِزْزَامُ الْعَشِيِّ هَطُولُ <sup>(3)</sup>
تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَحَنَّتْ نَوَيْقَةٌ	يُجَاذِبُهَا فَضْلُ الْمِرَاحِ جَدِيلُ
وَبِ مَا بَهَا مِنْ لُوعَةٍ وَصَبَابَةٍ	وَلَكِنَّ صَبْرَ الْعَبَسِيِّ جَمِيلُ
وَمَا لِي إِلَّا الْبَرْقُ يَسْرِي أَوَالِصْبَا	إِلَى حَيْثُ يَسْتَنُّ الْفَرَاتُ سَبِيلُ

ويذكر حنينه لبغداد وأهلها وما يعانيه من شوق، وينفّس بالبكاء عن لوعة أشجانه:

فَقُلْ لِأَخْلَاطِي بِنِغْدَادَ هَلْ بَكُم	سُئِرُوا؟ فَعَنْدِي رَنَّةٌ وَعَوِيلُ
تُرْتُخِنِي ذِكْرَاكُمُ فَكَأَنَّمَا	تَمِيلُ بِي الصُّهْبَاءُ حِينَ أَمِيلُ
لَسْتُ قَصْرَتْ أَيْامُ أُنْسِي بِقُرْبِكُمْ	فَلَيْلِي عَلَى نَائِي الْمَزَارِ طَوِيلُ
وَحَوْلِي قَوْمٌ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ نِي	بِهِمْ — وَهَمْ يَكْتُرُونَ — قَلِيلُ
إِذَا نَشَّتْ التَّجْرِبُ عَنْهُمْ تَشَابِهَتْ	سَجَايَا كَأَطْرَافِ الرِّمَاحِ تُكْوِلُ

(1) ديوان الأبيوردي 1/ 567 — 571.

(2) رميض: حاد.

(3) المرزاق: الغمام المرعد.

وقال يذكر حنينه إلى العراق، ووجهه ببغداد وهو في طريقه إليها: <sup>(1)</sup>

عَرَضْتُ نَاشِئَةً الْمُزْنَ لَنَا  
هَزَّهْمَ بِالْمَرْجِ ذَكَرِي بَابِلِ  
فَتَجَادَبْنَا عَلَى أَكْوَارِهَا  
وَسَرَى الطَّيْفُ فَلَمْ تَشْعُرْ بِهِ  
يَسْتَعِيرُ الْمَاءَ مِنْ أَجْفَانِهَا  
وَمِنَ النَّارِ الَّتِي تُضْمِرُهَا  
لَا سُقَيْتُنَّ الْحَيَا مِنْ إِبِلِ  
فَارَقْتُ بَغْدَادَ وَالْقَلْبُ بِهَا  
وَبِنَا شَوْقٌ إِلَيْهَا وَبِهَا  
وَعَدَّتْ تَمْرِي بِهَا أَخْلَاقُهَا  
وَلَكِنَّ غَبْنَا فَكُنْ مِنْ ضَاعِنِ  
إِنَّمَا نَحْنُ بُدُورٌ وَكَذَا

فَاسْتَهَلَّتْ مِنْ أَصْنِحَابِي دُمُوعُ  
أَتَمَّا مَرَمَى عَلَى الْعَيْسِ شَسُوعُ <sup>(2)</sup>  
ذِكْرًا تَنْقُدُ مِنْهُنَّ الضُّلُوعُ  
مُقَلٌّ لَمْ يَسِرْ فِيهِنَّ اهْتِجُوعُ  
عَارِضٌ دَانِي الرَّيَايَيْنِ هُمُوعُ  
أَضْلَعِي يَفْتَسِسُ الْبَرْقُ اللَّمُوعُ  
تَذَرَعُ الْأَرْضَ بِصَخْبِي وَبَسُوعُ <sup>(3)</sup>  
كَلِيفٌ، لَا فَارَقْتَهُنَّ النَّسُوعُ <sup>(4)</sup>  
مِثْلُهُ لَا أَجْدَبَتْ مِنْهَا الرَّبُوعُ  
سُحِبَتْ تَشْرُقُ مِنْهُنَّ الضُّرُوعُ  
وَلَهُ بَعْدَ تَنَائِيهِ رُجُوعُ  
شَيْمَةٌ الْبَدْرِ مَغِيبٌ وَطُلُوعُ

وقال يشكو الغربة ويحن إلى وطنه وقد هبج العيد أشجانه: <sup>(5)</sup>

النَّاسُ بِالْعَيْدِ مَسْرُورُونَ غَيْرَ فَتَى  
وَبَيْنَ جَنِّيهِ هَمٌّ لَا يَبُوحُ بِهِ  
وَلَا اغْتَرَابَ عَلَيْنَا فَالْبِلَادُ لَنَا

يَشْفُهُ فِي إِسَارِ الْعُرْبَةِ الْحَزَنُ  
فَفَرَحَهُ الْمَرْءُ حَيْثُ الْأَهْلُ وَالْوَطَنُ  
فَتَوَحُّهَا وَبِنَا يُسْتَرْحَبُ الْعَطَنُ <sup>(6)</sup>

(1) الديوان 2 / 19 — 20.

(2) بابل: مدينة في العراق، حاضرتها الآن الحلة، شسوع: بعيدة.

(3) باع البعير والفرس: إذا مدّ باعه في سيره، وكذلك ذرع إذا مدّ راعه.

(4) يدعو على الإبل بالتعب من السير لأنها عيبت عن بغداد، والنسوع: السيور العريضة التي تشد بها الرحال على الناقة.

(5) الديوان 2 / 83 — 84.

(6) يقال: فلان واسع العطن، إذا كان رحب الذراع، وأصل العطن: مبرك الإبل، ومريض الغنم.

إذ لم تكن قَبْلنا بالمجدِ حاليَّة  
والأرضُ تُزْهِى بنا أطرافها فمتى  
وتلك دائرٌ ورثناها معاويَّة  
أصبو إليها وأشواقى تُبْرُحُ بي  
فليت شعري وليست غيرُ نافعةٍ  
وهل أنيخُ بيبابِ القصرِ ناجيةً  
هنالك الهضباتُ الحُمْرُ لو هتكتُ  
ولا لها منظرٌ من بغدنا حَسَنُ  
نَمِلُ إلى الشامِ يحسُّدها بنا اليمَنُ  
لكنَّ كوفَنَ ألقانا بها الزمنُ<sup>(١)</sup>  
وتمنعُ العينُ أن يعتادها الوَسَنُ  
هل يبدونَ لعيني مُنجِدِ حَصْنُ<sup>(٢)</sup>  
مُنأخها فيه من صوبِ الحيا قَمِينُ ؟  
بالميتِ راجعَ فيها روحهُ البَدَنُ

وقال في الحنين إلى الوطن ويشكو البعد والغربة: (٣)

ياريمُ ما لي إلا بالهوى سُغْلُ  
لولاك ما غرقتُ في الدمعِ إذ أرقْتُ  
وبالفؤادِ أناةٌ حينَ أجذبُهُ  
فمن لصبُّ بكي شوقاً إلى بلدِ  
إذا الصبا نَسَمَتْ فاقراً تحيَّتهُ  
فمُنِيَّةُ النَّفسِ حيثُ الأعيُنُ النَّجْلُ  
مدامعٌ لم يُغازِلها الكرى هُطْلُ  
إلى السُّلُوِّ ولكن أدمعي عَجْلُ  
أقمتُ فيه وسُدَّتْ دونهُ السُّبُلُ  
فإلهُ غيرِ أنفاسِ الصِّبا رُسْلُ

وقد جمع ياقوت الحموي أشعاراً كثيرة وأوصافاً في ذكر بغداد وأهلها وبنائها  
وأنهارها ومزارعها وقصورها، فأرشد المتعطين إلى بغداد وساكنيها بأوصاف وأشعار،  
نغترف منها ما تيسر، من ذلك ما قاله الشعراء العباسيون في مدحها والحنين إليها، منهم  
عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي (ت 239 هـ) الذي يقول: (٤)

(1) ورثناها معاوية: أي من معاوية، والشاعر يعود نسبه إلى معاوية، وكوفن: بليدة صغيرة ببغداد وأهلها وبنائها

أبيورد التي نسب إليها الشاعر الأبيوردي. معجم البلدان: كوفن.

(2) حصن: جبل شامخ بنجد. معجم البلدان: حصن.

(3) الديوان 2 / 118.

(4) ياقوت: معجم البلدان (بغداد) 1 / 460 — 461.

كبغداد من دارِها مسكنُ الحَفْضِ ؟  
وعيشُ سواها غيرُ حَفْضٍ ولا عَضُ  
مَرِيءٌ وبعضُ الأرضِ أمراً من بعضِ  
بها، إنَّه ما شاء في حَلْقِهِ يقضي  
غريباً بأرضِ الشامِ يطعمُ في العَمَضِ  
فما أسَلَفْتُ إلا الجميلَ من القرضِ  
فما أصبحتُ أهلاً لهَجْرٍ ولا بُغْضِ

على ثقلها في كل ما حين  
تندى ومنبتٌ خيرِي ونسرِين  
وحرسَت بينَ أوراقِ الرِّياحين  
دُهمَ السفينِ تعالَى كالبراذينِ  
أنيقه بزخاريفِ وتزِينِ  
بالزائرينِ إلى القومِ المزورينِ  
قصرٌ من السَّاجِ عالٍ ذو أساطينِ

مثلاً قد اخترتُ شيئاً دونهُ اليأسُ  
عندي وسكانُ بغدادٍ همُ الناسُ

أعابتَ في طولِ من الأرضِ والعرضِ  
صفا العيشُ في "بغداد" واخصرَّ عودهُ  
تطولُ بها الأعمارُ إنَّ غداها  
قضى ربُّها أن لا يموتَ خليفةُ  
تنامُ بها عينُ الغريبِ ولا ترى  
فإن جُزيتَ بغدادُ عنهم بقرضِها  
وإن رُميتَ بالهَجْرِ منهم وبالِقلى

وقال عمارة بن عقيل أيضاً يصف بغداد: (1)

مامثلُ بغدادَ في الدنيا ولا الدينِ  
ما بين قَطْرَيْلِ فالكرخِ نَرَجِسَةٌ  
تحيا النفوسُ برِّياها إذا نَفَحَتْ  
تَسْتَنُّ "دجلة" فيما بينها فترى  
مناظرَ ذاتِ أبوابٍ مُفْتَحَةٍ  
فيها القصورُ التي تهوي بأجنحةِ  
من كلِّ حَرَّاقَةٍ يعلو فقارَتها

وقال ابن زريق الكاتب الكوفي: (2)

سافرتُ أبغي لبغدادٍ وساكنها  
هيهاتَ بغدادُ الدنيا بأجمعها

وقال آخر: (3)

(1) باقوت 1 / 462.

(2) باقوت 1 / 461.

(3) باقوت 1 / 461 — 462.

أبغدادُ يا دارَ الملوكِ ومُجْتَنَى  
ويا جَنَّةَ الدنيا ويا مُجْتَنَى الغِنَى  
صنوفِ المَنَى يا مُسْتَقَرَّ المنايرِ  
ومنبَسِطَ الأمالِ عند المتاجرِ

وقال طاهر بن المظفر بن طاهر الخازن يصف بغداد: (1)

سقى الله صَوْبَ الغادياتِ محلَّةً  
هي البلدةُ الحسنةُ حُفَّتْ لأهلها  
هواءٌ رقيقٌ في اعتدالٍ وصحَّةِ  
وِدَجَلَتْهَا شَطَّانٍ قد نُظِّمنا لنا  
ثراها كِمِسْكِ والمِياهِ كِفَضَّةِ  
بيغدادَ بينَ الخَلْدِ والكَرْخِ والجِسرِ  
بأشياءَ لا يُجَمَعَنَّ مُذْكَرَنَّ في مِصرِ  
وماءٌ له طَعْمٌ أَلْدُ من الحَمْرِ  
بتاجٍ إلى تاجٍ وقصرٍ إلى قِصرِ  
وحَضَبَاؤُها مثلُ اليواقيتِ والدُّرِّ

وقال أبو نواس الحسن بن هاني (ت 198): (2)

وقائل هل تُريدُ الحَجَّ قلتُ له  
أما وَقَطْرُئِلٌ منها بحيثُ أرى  
فالصالحيةُ فالكَرْخُ التي جمعتُ  
فكيفَ بالحَجِّ لي ما دُمْتُ مُنْعِمِساً  
وهَبْكَ من قِصْفِ بَغدادِ تُخَلِّصُنِي  
نعم إذا فَيَنَيْتُ لَدَاتُ بَغدادِ  
فَقَبَّةُ الفِرْكَ من أكنافِ كِلَواذِ  
شُدَّاذَ بَغدادَ ما هُمَ لي بِشُدَّاذِ  
في بَيتِ قَواذِةِ أوبَيتِ نَبَّاذِ  
كيفَ السُخْلُصُ لي من طَيرانِباذِ؟

وقال مطيع بن إياس الكناني (ت 166 هـ)، يذكر مجلس ترف وطرب في بغداد: (3)

(1) ياقوت 1/ 463.

(2) ديوانه ص 167 ط الغزالي.

(3) الفرك: قرية قرب كلواذ. وكلواذ: أرض أو قرية قرب بغداد.

(4) النَّبَّاذ: الذي يعصر النبيذ ويبيعه.

(5) قصف بغداد: لهُوا ومتعها. طيراناباذ: موضع بين القادسية والكوفة، والمراضع المذكورة كلها مشهورة بالكروم والحانات.

(6) الأغاني 13/ 326.

ويوم بيغداد نَعْمنا صباحه  
بيت تری فيه الزجاج كأنه  
يُصْرَفُ ساقينا ويقطَبُ تارة  
علينا سحيقُ الزعفرانِ وفوقنا  
فما زلتُ أُسْقَى بينَ صنَجٍ ومزهرٍ  
على وجه حوراءِ المدامعِ تُطْرِبُ  
نجومُ الدجى بين الندامى تَقْلَبُ  
فيا طيبها مقطوبةً حينَ يقطَبُ<sup>(1)</sup>  
أكاليلُ فيها الياسمينُ المذهبُ  
من الرَّاحِ حتى كادتِ الشمسُ تغربُ

وقال علي بن جبلة المعروف بالعمكوك (ت 213 هـ) وقد ارتحل من بغداد:<sup>(2)</sup>

لهفي على بغداد من بلدة  
كأنني عند فراقي لها  
كانت من الأسقام لي جنة  
آدمٌ لِمَا فارقَ الجنة

وفي بعض نساء بغداد وترفنهن ونزههن، قيل:<sup>(3)</sup>

أها على بغدادها وعراقها وطلبها  
ومجالها عند الفرات بأوجها  
متبخترات في النعيم كأنما  
نفسى الفداء لها فأبي محاسن  
والسُرِّ في أحداقها  
تبدو أهلتها على أطواقها  
خُلِقَ الهوى العذريُّ من أخلاقها  
في الدهر تشرق من سنا إشراقها

وباب الطاق محلة من محال بغداد، وصفها القزويني في آثار البلاد وأخبار العباد، بقوله وذكر قصة عبد الله بن طاهر وشعره: «كان بها سوق الطير، فاعتقدوا أن من تعسَّر عليه شيء من الأمور فاشترى طيراً من باب الطاق وأرسله، سهل عليه ذلك الأمر، وكان عبد الله بن طاهر (عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ت 230 هـ) قد طال مقامه ببغداد،

(1) يقطب: أي يمزج.

(2) الألويسي: بغداد في الشعر العربي ص 24، ولم يرد البيتان في ديوان علي بن جبلة تحقيق حسين عطوان، ط 3 دار المعارف مصر 1982.

(3) الألويسي: بغداد ص 32.

ولم يحصل له إذن الخليفة، فاجتاز يوماً باب الطاق فرأى قُمريّة تنوح، فأمر بشرائها وإطلاقها، فامتنع صاحبها أن يبيعها إلا بخمسة مئة درهم، فاشتراها وأطلقها، وقال: <sup>(١)</sup>  
 ناحت مُطَوَّقَةٌ بِيَابِ الطَّاقِ فَجَرَّتْ سَوَابِقَ دَمْعِي المُهُرَاقِ  
 كانت تَعْرُدُّ بِالْأَرَاكِ وَرُبَّمَا كانت تَعْرُدُّ فِي فُرُوعِ السَّاقِ  
 فرمى الفِرَاقُ بِهَا العِرَاقَ فأصبحت فرمى الفِرَاقُ بِهَا العِرَاقَ فأصبحت  
 فُجِعَتْ بِأَفْرَاحِ فَاسْبَلْ دَمْعُهَا فُجِعَتْ بِأَفْرَاحِ فَاسْبَلْ دَمْعُهَا  
 تَعَسَ الفِرَاقُ وَبُتَّ حَبْلُ وَتِينِهِ تَعَسَ الفِرَاقُ وَبُتَّ حَبْلُ وَتِينِهِ  
 ماذا أرادَ بقصدِهِ قُمريَّةٌ ماذا أرادَ بقصدِهِ قُمريَّةٌ  
 بي مثلُ ما بك يا هامةُ فاسألي بي مثلُ ما بك يا هامةُ فاسألي

وصحب إسحاق بن إبراهيم الموصلي (ت 235 هـ) الخليفة الواثق، فقال في

الحنين والشوق إلى بغداد: <sup>(٢)</sup>

أتبكي على بغداد وهي قريبة أتبكي على بغداد وهي قريبة  
 لَعَمْرُكَ ما فَارَقْتُ بَغْدَادَ عَن قَلِي لَعَمْرُكَ ما فَارَقْتُ بَغْدَادَ عَن قَلِي  
 إذا ذَكَرْتُ بَغْدَادَ نَفْسِي تَقَطَّعَتْ إذا ذَكَرْتُ بَغْدَادَ نَفْسِي تَقَطَّعَتْ  
 كَفَى حَزَنًا أَنْ رُحْتُ لَمْ أَسْتَطِعْ لَهَا كَفَى حَزَنًا أَنْ رُحْتُ لَمْ أَسْتَطِعْ لَهَا  
 فكيف إذا ما ازدَدتَ منها غداً بُغداً فكيف إذا ما ازدَدتَ منها غداً بُغداً  
 لو أنا وجدنا عن فِراقِها بُدًا لو أنا وجدنا عن فِراقِها بُدًا  
 من الشوقِ أو كادتْ تموتُ بها وَجداً من الشوقِ أو كادتْ تموتُ بها وَجداً  
 وداعاً ولم أُحْدِثْ بِساكنيها عَهداً وداعاً ولم أُحْدِثْ بِساكنيها عَهداً

ومن القصائد الذائعة في بغداد والرصافة وجسرها وما فيها من غزل شائق ووصف

رائع رائق قصيدة علي بن الجهم (ت 249 هـ)، وقد جمعها خليل مردم محقق الديوان من

مصادر شتى وبلغت ثلاثة وأربعين بيتاً، نكتفي بمقدمتها: <sup>(٣)</sup>

(1) الألو سي ص 33، والأبيات منسوبة إلى بعض الأدباء في الزهرة 1/331 مع خلاف يسير في الرواية ترتيب الأبيات.

(2) الأغاني 5/368.

(3) ديوان علي بن الجهم ص 220—223، تحقيق خليل مردم، ط2 دار الأفاق الجديدة، بيروت 1980م.

عيونُ المَهَا بين الرُّصَافَةِ والجَسْرِ  
 أعَدَنَ لِي الشُّوقَ القَدِيمَ ولم أكن  
 سَلِمَنَ وَأَسَلَمَنَ القُلُوبَ كَأَنَّمَا  
 وَقُلْنَ لَنَا نَحْنُ الأَهْلَةُ إِنَّمَا  
 فلا بَدَلٌ إِلا ما تَزَوَّدَ ناظِرٌ  
 أَرَحَنَ رَسِيسَ القَلْبِ عن مُسْتَقَرِّهِ  
 فلو قَبَّلَ أَن يندو المشيبُ بَدَأَتَنِي  
 ولكنهُ أودى الشَّبَابُ وَإِنَّمَا

جَلَبَنَ اهتوى من حيثُ أدري ولا أدري  
 سَلَوْتُ ولكن زِدَنَ جَمراً على جَمْرِ  
 تُشَكُّ بِأطرافِ المُثَقِّفَةِ الشَّمْرِ  
 نُضِيءُ لمن يَسْرِي بليلٍ ولا تَقْرِي  
 ولا وَضَلَ إِلا بالخيالِ الذي يَسْرِي  
 وَأَهْبَنَ ما بينَ الجِوانِحِ والصَّدْرِ  
 بيأسِ مُبِينٍ أو جَنَحَنَ إِلى العَدْرِ  
 تُصَادُ المَهَا بينَ الشَّيبَةِ والسَّوْفِرِ

إلى آخر القصيدة.

وقال ابن الرومي (علي بن العباس ت 283 هـ) يذكر بغداد وخيرها، وكان في

بعض أسفاره: <sup>1</sup>

بلدٌ صَحِبْتُ به الشَّيبَةَ والصُّبَا  
 فإذا تَمَثَّلَ في الضَّميرِ رأيتُهُ  
 وَلَيْسَتْ فِيهِ العَيْشَ وهو جَدِيدُ  
 وَعَلَيْهِ أَفْئَانُ الشَّبَابِ تَمِيدُ

وقال محمد بن داود الأصبهاني (ت 297 هـ) يحن إلى الكرخ في بغداد: <sup>2</sup>

هيمُ بِذِكْرِ الكَرْخِ قَلْبِي صَبَابَةٌ  
 ولستُ أَبالي بِالرَّدى بعدَ فَقدِهِم  
 وما هو إِلا حُبٌّ من حَلِّ الكَرْخِ  
 وهل يَجْزِعُ المَذبُوحُ من أَلْمِ السَّلخِ؟

وأضاف إليها عبيد الله بن عبيد الله الحافظ بيتين آخرين وهما:

أقولُ وقد فارقتُ بَغدادَ مُكْرَهًا  
 سلامٌ على أَهْلِ القَطِيعَةِ والكَرْخِ

(1) ديوان ابن الرومي 1/ 496 ط دار الكتب العلمية، بيروت 1994 م.

(2) ياقوت كرخ بغداد 4/ 448، والأبيات مع خلاف في الزهرة 1/ 406، وفيها: ولبعض أهل العصر، ومحمد بن داود هو

نفسه صاحب كتاب الزهرة.

هوايَ ورائي والمسيرُ خلافةُ  
فقلبي إلى كَرْخٍ ووجهي إلى بَلْخِ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي (ت 300 هـ) يحن إلى بغداد ويجزع

من فراقها، وقد عَيَّنَ والياً على اليمن: (1)

أيرحلُ ألفٌ ويُقيمُ ألفٌ  
على بغدادَ دارِ اللهِ مَنِّي  
وما فارقتها لقلِّي ولكن  
الأرواحُ الأفرجُ قريبٌ  
لعلَّ زماننا سيعودُ يوماً  
فبلغ الوزير هذا الشعر فأعفاه.

وفي حبِّ بغداد والحنين إليها يقول علي بن محمد بن خلف النيرماني (ت 414

هـ) مفضلاً بغداد على كل مدن الدنيا: (2)

خليليَّ في بغدادَ هل أنتما ليا  
وهل ذرفت يومَ النَّوى مُقلتاكما  
وهل أنا مذكورٌ بخيرٍ لديكما  
فدنيَّ لك يا بغدادُ كلَّ مدينةٍ  
فقد طُفْتُ في شرقِ البلادِ وغربها  
فلم أرَ فيها مثلَ بغدادَ منزلاً  
ولا مثلَ أهلها أرقى شائلاً  
وكم قائلٍ: لو كان وُدُّكَ صادقاً  
يُقيمُ الرجالُ الموسرونَ بأرضهم  
على العهدِ مثلي أم غدا العهدُ باليا  
عليَّ كما أمسي وأصبحُ باكياً  
إذا ما جرى ذكركم من كان نائياً  
من الأرضِ حتى تُخطتي وديارياً  
وسيرتُ خيلي بينها وركابياً  
ولم أرَ فيها مثلَ دجلةٍ وادياً  
وأعذبَ أفاظاً وأحلَّ معانياً  
لبغدادَ لم ترَحَلْ، فقلتُ جوايباً:  
وترمي النَّوى بالْمُقترينَ المرامياً

(1) باقوت 1/ 463.

(2) باقوت 1/ 464، فوات الوفيات 2/ 75.

وأما القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي المالكي (ت 422 هـ)، فقد نبا به المقام ببغداد، فرحل إلى مصر، فخرج البغداديون يودعون، وجعلوا يتوجعون لفراقه، فقال: والله لو وجدت عندكم في كل يوم مُدّاً من الباقي ما فارقتكم، وأنشد في رحلته هذه أبياتاً فيها حنين إلى بغداد وحسرة على فراقها: <sup>(1)</sup>

سلامٌ على بغدادَ من كلِّ منزلٍ      وحقُّ لها مِنِّي السلامُ المضاعفُ  
فوالله ما فارقتها عن قلبي لها      ولئي بسطني جانبها لعارفُ  
ولكنّها ضاقت عليّ برُحيتها      ولم تكن الأرزاق فيها تُساعفُ  
وكانت كخجل كنتُ أهوى دُئوهُ      وأخلاقهُ تنأى به ومُخالفُ

وشاعر آخر يذكر طيب هوائها وشوقه إليها: <sup>(2)</sup>

طيبُ الهواءِ ببغدادٍ يشوقني      قُرباً إليها وإن عاقت مقاديرُ  
وكيفَ أرحلُ عنها اليومَ إذ جمعتُ      طيبَ الهواءين: ممدودٌ ومقصورُ <sup>(3)</sup>

وزار أبو العلاء المعري (ت 449 هـ) بغداد بعد أن اكتهل وجاوز شرح الشباب، وسعد بمجالس علمها، وأثرى مجالسه بأرائه وعلمه وشعره، وقال يتشوق إلى العراق وإلى بغداد من قصيدة: <sup>(4)</sup>

كلّفنا بالعراقي ونحنُ شَرخُ      فلم نُلمِمَ به إلا كهُولا  
ورزنا ماءً دجلةً خيرَ ماءٍ      ورزنا أشرفَ الشجرِ النَّخِلا  
ورزنا بالغيللِ وما اشتقينا      وغايةً كلُّ شيءٍ أن يزولا <sup>(5)</sup>

(1) ياقوت 1 / 462.

(2) ياقوت 1 / 463.

(3) أرزاق بالممدود: الهواء، وبالمقصور: الهوى وهو الحب.

(4) اسقط الزند ص 270—272، شرح أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1990م.

(5) زلنا بالغيلل: أي فارقتنا العطرش.

وقال أثناء إقامته بالعراق بذكر شوقه إلى المعرّة، وسروره في إقامته ببغداد: (1)

طَرِينٌ لَضْوَاءِ الْبَارِقِ الْمُتَعَالِي  
بِغَدَادَ وَهَنَا مَا هُنَّ وَمَالِي  
سَمَتْ نَحْوَهُ الْأَبْصَارُ حَتَّى كَأَنَّهَا  
بِنَارِيهِ مِنْ هُنَا وَتَمَّ صَوْلِي (2)

ويقول فيها:

إِخْوَانَنَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَجَلَّتِي  
أَبْتِكُمْ أَنِّي عَلَى الْعَهْدِ سَامٌ  
وَأَنِّي تَيَمَّمْتُ الْعِرَاقَ لَغَيْرِ مَا  
فَأَصْبَحْتُ عَمُودًا بِفَضْلِي وَحَدَّةُ  
يَدِ اللَّهِ لَا خَبْرَ تَكْمِ بِمُحَالٍ  
وَوَجْهِي لَكُمَا يُتَسَدَّلُ بِسَوَالٍ  
تَيَمَّمَهُ غَيْلَانُ عِنْدَ بِلَالٍ (3)  
عَلَى بُعْدِ أَنْصَارِي وَقَلَّةِ مَالِي

ولما ودع أبو العلاء بغداد وأهلها قال من قصيدة: (4)

أَوْدَعُكُمْ يَا أَهْلَ بَغْدَادَ وَالْحَشَا  
وَدَاعَ ضَنْئِي لَمْ يَسْتَقِيلْ وَإِنَّمَا  
إِذَا أَطْرَسْتُ قَلْبِي وَاللَّوْمُ كَارِي  
فِيئَسَ الْبَدِيلُ الشَّامُ مِنْكُمْ وَأَهْلُهُ  
أَلَا زَوْدُونِي شَرِبَةٌ وَلَوْ أَنَّنِي  
وَأَنِّي لَنَا مِنْ مَاءِ دَجَلَةَ نُغْبَةُ  
وَمَا الْفُصْحَاءُ الصَّيْدُ وَالْبَدْوُ دَارُهَا  
عَلَى زَفَرَاتٍ مَا يَنْبِئُ مِنَ اللَّذَعِ  
تَحَامَلُ مِنْ بَعْدِ الْعِشَارِ عَلَى ظَلْعِ  
أَجِدُّكُمْ لَمْ تَفْهَمُوا طَرَبَ النَّسْعِ  
عَلَى أَنَّهُمْ قَوْمِي وَيَسْتَهْمُ زَنْعِي  
قَدَّرْتُ إِذْ ذَنْ أَفْنَيْتُ دِجْلَةَ بِالْجَرَعِ  
عَلَى الْخَمْسِ مِنْ بُعْدِ الْمَفَاوِزِ وَالرَّيْعِ (5)  
بِأَفْصَحَ قَوْلًا مِنْ إِمَائِكُمْ الْوُكْعِ (6)

(1) سقط الزند ص 237 و 242.

(2) طرين: أي الإبل، الوهن: القطعة من الليل، هنا: ههنا، صوالي: مصطلية، يريد: سمت الأبصار نحو البارق من جهتي الشام والعراق، وأحدثت به كما يحدق المصطلون بالنار.

(3) غيلان: هو ذو الرمة، وبلال: هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وقد مدحه ذو الرمة طالباً إليه.

(4) سقط الزند ص 263 — 264.

(5) النغبة: الجرعة من الماء، الخمس والربيع: من إضياء الإبل وورودها في اليوم الخامس أو الرابع.

(6) الوكع: جمع وكعاء، وهي التي مالت بإبهاها على ما يليها، والإماء يوصفن بالجهل وقلة العقل.

أدزّتم مقالاً في الجدالِ بالسُّنِ      خُلِقْنَ فجانِبْنَ المَصْرَةَ لِلنَّفْعِ  
سأغْرِضُ إنْ ناجِيتُ من غيركم فتى      وأجعلُ زَوْأً من بناتي في سَمْعِي<sup>(١)</sup>

وقال أبو بكر الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت 463هـ) يُحِبِّي بغداد ويمجن إليها ويأسف على فراقها:<sup>(٢)</sup>

على بغدادَ معدِنِ كلِّ طيبٍ      ومَغْنَى نُزْمَةِ المُنَزَّهِينَا  
سلامٌ كلِّما جرحتُ بلَحْظِ      عيونُ المُشْتَهينِ المُشْتَهينَا  
وماحِبُّ الديارِ بنا ولكن      أمرُ العيشِ فُرْقَةٌ مَنْ هَوِينَا

وشاعر آخر يتشوق إلى بغداد ويجعل فراقها موتاً له:<sup>(٣)</sup>

ولمَّا تجاوزتُ المدائنَ سائراً      وأيقنتُ يا بغدادَ أنّي على بُعْدِ  
علمتُ بأنَّ اللهَ بالبعِجِ أمره      وأنَّ قضاءَ اللهِ ينقُذُ في العَبْدِ  
وقلتُ وقلبي فيه ما فيه من جَوَى      ودنمعي جارٍ كالجَمَانِ على خَدَي  
تُرى اللهَ يا بغدادَ يجمعُ بيننا      فالقى الذي خلقتُ فيك من العَهْدِ ؟

ومن القصائد الرائعة التي جمعت بين الحب والحزن إلى بغداد قصيدة ابن زريق

الكاتب البغدادي ، وهي مشهورة ومتداولة نقتطف منها، قال في وداع حبيبته:<sup>(٤)</sup>

لا تعذِّلبه فإنَّ العَدْلَ يُولِعُهُ      قد قُلْتِ حَقّاً ولكن ليسَ يسمَعُهُ  
جاوزتِ في لومِهِ حدّاً أضربهُ      من حيثُ قدّزتِ أن اللومَ ينفَعُهُ  
فاستعملي الرُّفْقَ في تأنيبِهِ بدلاً      من عدْلِهِ فهو مُضْنِي القلبِ موجَعُهُ

(1) الزو: الزوج، أي يجعل أصبعه في أذنيه لتلا يسمع كلام غيرهم.

(2) ياقوت 1 / 463.

(3) ياقوت 1 / 463-464.

(4) الكشكول لبهاء الدين العاملي 1 / 118-120، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، وط دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة ،

بيروت دت. ص 104 — 105.

قد كان مُضطرباً بالقطبِ يحملة  
 يكفيه من لوعةِ التفتيدِ أنْ له  
 ما أب من سفرٍ إلا وأزعجه  
 تأبى المطالبُ إلا أنْ تُجشمه  
 كأنما هو من جِلٍّ ومرحلي  
 فضلعت من خطوبِ الدهرِ أضلعه  
 من النوى كل يوم ما يروعه  
 رأيتُ إلى سفرٍ بالبينِ يُجمعه  
 للرزقِ كذحاً وكم بمن يودعه  
 موكلٌ بفضاءِ الله يذرعه

ويبين أن سبب رحيله هو الفقر والحاجة، فليرحل طلباً للغنى، على ما في ذلك

الرحيل من فراق للوطن والبعد عن الحبيب:

إن الزمان أراه في الرحيلِ غنى  
 وما مجاهدة الإنسانِ واصله  
 قد ورعَ الله بين الخلقِ رزقهم  
 لكنهم كلفوا جزواً فلست ترى  
 والجزصُ في الرزقِ والأرزاقُ قد قُسمت  
 والدهرُ يُعطي الفتى من حيث يمتعه  
 ولو إلى السدِّ أضحى وهو يُزيمعه  
 رزقاً، ولا دعةَ الإنسانِ تقطعه  
 لم يخلقِ الله من خلقِ يُضيعه  
 مسترزقاً وسوى الغاياتِ تُقنعه  
 بغني إلا إن بغني المرءِ يصرعه  
 إزناً ويمتعه من حيث يُطمعه

وبعد أن ذكر حب الإنسان للمال غريزة، والرحلة في طلبه مغامرة لا تحمد عقباه، ينتقل إلى مشهد الفراق، فروحه متعلقة بحبيته، والحبيبة هي الأهل والوطن، فما أشقَّ الفراق والحبيب يتوسل إليه باكياً متلوغاً أن لا يغادر، ولكن للضرورة أحكام:

استودعَ الله في بغدادَ لي قمرأ  
 ودعته وبودي لو يودعني  
 كم قد تشفع بي أن لا أفارقه  
 وكم تشبَّت بي خوفِ الفراقِ ضحى  
 لا الكذبُ الله ثوبُ الصبرِ مُنخرق  
 إنِّي أوسعُ عُدري في جنائيه  
 بالكرخِ في فلكِ الأزرارِ مطلقه  
 صفو الحياة وإنسي لا أودعه  
 وللضرورة حالٌ لا تُشفعه  
 وأدمعي مستهلآتٌ وأدمعه  
 عني بفرقتيه لكن أرقعه  
 بالبينِ عني وجزمي لا يوسعُه

رُزِقْتُ مُلْكًا فَلَمْ أُحْسِنْ سِيَاسَتَهُ  
وَمَنْ غَدَا لَا بِسَاءِ ثَوْبِ النَّعِيمِ بَلَا  
اعْتَضْتُ مِنْ وَجْهِ خَلِيٍّ بَعْدَ فُرْقَانِهِ  
كَمْ قَائِلٍ لِي ذُقْتَ الْبَيْنَ قَلْتُ لَهُ  
أَلَا أَقَمْتُ فَكَانَ الرُّشْدُ أَجْمَعُ  
وَكُلُّ مَنْ لَا يَسُوسُ الْمُلْكَ يُخْلَعُهُ  
شَكَرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِعُهُ  
كَاسًا أَجْرَعُ مِنْهَا مَا أَجْرَعَهُ  
الذُّنْبُ وَاللَّهُ ذَنْبِي لَسْتُ أَذْفَعُهُ  
لَوْ أَنَّنِي يَوْمَ بَانَ الرُّشْدُ أَتْبَعُهُ

ويصف حاله في الغربة وحنينه إلى حبيبته، فليس له إلا السهر واللوعة والبكاء، فهو في ليله قلق أرق لا يستطيع النوم، وليس في قلبه إلا الحزن والشوق والحنين، وهيهات أن تفارقه صورة الحبيب وليس له الآن إلا الحسرة واللوعة والندم:

إِنِّي لَا أَقْطَعُ أَيَّامِي وَأَتَقِدُّهَا  
بِمَنْ إِذَا هَجَعَ النُّوَامُ بِتُّ لَهُ  
لَا يَطْمَئِنُّ لِحُبِّي مَضْجَعٌ وَكَذَا  
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الدَّهْرَ يَفْجَعُنِي  
حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فِيهَا بَيْنَنَا بَيْدٍ  
قَدْ كُنْتُ مِنْ رَبِّ دَهْرِي جَارِعًا قَرِيقًا  
بحسرة منه في قلبي تُقْطَعُهُ  
بَلْوَعَةٍ مِنْهُ لَيْلِي لَسْتُ أَهْجَعُهُ  
لَا يَطْمَئِنُّ لَهُ مُذْبِنْتُ مَضْجَعُهُ  
بِهِ وَلَا أَنَّ بِي الْأَيَّامُ تَفْجَعُهُ  
عَسْرَاءَ تَمْنَعُنِي حَظِّي وَتَمْنَعُهُ  
فَلَمْ أَوْقِ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَجْرَعُهُ

وهو في غربته ومحتته يتحسر على ما بدر منه من فراق بغداد والبعد عن الحبيبة، ويحن إلى العودة واللقاء، ولكن هيهات، وإن كان يمني نفسه أن الحب باقٍ بين الحبيبين وما زالت حبيبته على العهد، ولا يملك إلا أن يدعو لها بالخير ويسقي الدير أرضها فقد تركها في ذمة الله وحفظه، ولكنه يخشى أن يفرقها الموت قبل اللقاء، وما يصنع بعدها بحكم الأقدار!؟

بِاللَّهِ يَا مَنْزِلَ الْعَيْشِ الَّذِي دَرَسْتُ  
هَلْ الزَّمَانُ مُعِيدٌ فَيْكَ لَدَّتْنَا  
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ مَنْ أَصْبَحَتْ مَنْزَلُهُ  
آثَارُهُ وَعَقَّتْ مُذْبِنْتُ أَزْبَعُهُ  
أُمُّ اللَّيَالِي التَّحِي أَمَضَّتْهُ تُرْجِعُهُ  
وَجَادَعَيْتُ عَلَى مَغْنَاكَ يُنْرَعُهُ

مَنْ عِنْدَهُ لِيْ عَهْدٌ لَا يُضَيِّعُهُ  
 مَنْ يُصَدِّعْ قَلْبِي ذِكْرُهُ وَإِذَا  
 لِأَضْرِبَنَّ لَدَمِي لَا يُمْتَعِنِي  
 عَلِمًا بِأَنْ أَصْطَبَارِي مُعَقَّبٌ قَرَجًا  
 عَسَى اللَّيَالِي التِّي أَضْمَنْتَ بِفُرْقَتِنَا  
 وَإِنْ تَغْلُ أَحَدًا مِنَّا مَنِيَّتُهُ  
 كَمَا لَهُ عَهْدٌ صِدْقِي لَا أَضَيِّعُهُ  
 جَرَى عَلَى قَلْبِي ذِكْرِي يُصَدِّعُهُ  
 بِهِ وَلَا يَبِي فِي حَالٍ يُمْتَعِنُهُ  
 فَأَضْيِقُ الْأَمْرَ إِنْ فَكَّرْتُ أَوْسَعُهُ  
 جَسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْمًا وَتَجْمَعُهُ  
 فَمَا الَّذِي بِقَضَاءِ اللَّهِ يَصْنَعُهُ ١٩

## في العصر العثماني

و حين نتقدم إلى العصر العثماني نجد الشعراء يتغنون ببغداد وجمالها ويحنون إلى مرابعها، ويستذكرون تراثها العريق الخالد على مرّ الزمان، فهذا الشيخ عبد الرحمن زين الدين السويدي (ت 1200هـ) يحن إلى بغداد ويشوق إلى مسقط رأسه، ومدرج شبابه وهو في دمشق: (1)

لولاك يا بلدة (الزوراء) لولاك	ما أحرق القلبَ مني شجوةً شجواك
سقى أديم الثرى منك الحيا وحبّت	سُخْبُ الكرائمِ في التكريمِ تحياك
واخضّرَ زرعك من دون الريح ولا	زالت زهورك في صيفٍ ومشتاك
أقول للواكبِ المنهلُ من مقلي	أكفّف لتنجو من مجراه جزعاك
شَتانَ ما بينَ "بغداد" و"جلق" مع	إقعادِ حظي فحظي مدمعٌ باكي
هيهات هيهات أن ينجاب لي أملٌ	به أعللُ آمالي للفقياك
أو وآه! فلا أنهي التآؤة ما	دام التّقوّة في بعدي لمراك

أما العلامة شهاب الدين أبو الشاء محمود الألوسي (ت 1270 هـ) فكان في

اسلامبول، ويحن إلى وطنه بغداد ويشتاق إلى أهله وصيته شوقاً مبرحاً، يقول: (2)

حداني إلى "الزوراء" شوقٌ مبرحٌ	فليس الذي حَدُّتُ عن حالها سهلٌ
إذا ما نبت دأر السلام بأهلها	فلا جبلٌ يُؤوي الكرامَ ولا سهلٌ
ديارٌ بها نيطت عليّ عمائم	قديماً ولي فيها نما الفرعُ والأصلُ
ألا ليت شعري هل أراني بربعها	مقيماً؟ وبالأحبابِ يجتمعُ السُنلُ
وهل روضها يخضّرُ بعد ذبوله	ويتمّي على أوراقه الوئيلُ والطللُ

(1) محمود شكري الألوسي: المسك الأذفر ط بغداد 1348 هـ، الألوسي: بغداد ص 157.

(2) بغداد ص 165 — 166.

وهل أنا في يوم العروبة قاصدٌ  
 وهل كل يومٍ ماسكٌ كفَّ والذي  
 وهل أدباء الجانين يضمُّهم  
 سلامٌ على تلك الديارِ وأهلها  
 فوالله لا أسلو هواها وماءها  
 أحبَّتْنا هل من وصولٍ إليكم؟  
 ألا همةٌ تُزجي ركائبَ عزمي  
 وإني بناديكم على سوء فعلكم

وقال أحمد الشاوي يحن إلى بغداد ومرايعها: <sup>4</sup>

تذكرت ما بين "الرصافة" والجسر  
 وعاودني الشوق الذي كنت ناسياً  
 خليلي هل عصرُ الشبية راجعٌ  
 تركنا خيول الجهل فيه مُغيرةً  
 لكل فتى يُعطي الخلاعة أهلها  
 حنائيك لا تُكثِر من اللومِ إنني  
 إذا المرء لم تأب الذنبياتِ نفسه  
 وإن لم يكن بالشئبِ للمرء زاجرٌ

عهد الصبا فاشتاق قلبي للذكر  
 لشعدي فزاد القلب جمرأ على جمر  
 إلينا "بكرخايا"؟ وناهيك من عضرا  
 على اللهو واللذات من غير ما يشير  
 بيوم به للكاس ما شئت من كسر  
 كفتني من اللوم الملامة لوتدري  
 فقل لي: لماذا سمي الحُرُّ بالحُرِّ؟  
 عن اللهو واللذات لاخير في المرء

(1) يوم العروبة: يوم الجمعة، الباز: لقب الشيخ عبد القادر الكيلاني، ويلقب أيضاً بالباز الأشهب.

(2) يريد بوالده: جده. لأمه الشاعر الفقيه الشيخ حسين العنباري.

(3) اعتاد الأدباء والعلماء في العراق إلى عهد قريب، وخاصة ببغداد أن يجتمعوا في مجالس العلم والأدب في أحد بيوت الأدباء أسبوعياً، ويسمى هذا الاجتماع (القبول)، يتحاورون في أمور الأدب والكتب والسياسة ويتناشدون الأشعار وغيرها.

(4) الألوس: بغداد ص 167.

(5) المرء: أي المرء.

ويعبر الشيخ عبد الحسين محيي الدين النجفي ( من شعراء المائة الثالثة عشرة ) عن

شوقه وحنينه إلى بغداد وأهلها وأيام الفتوة والصبا، يقول: <sup>(1)</sup>

فقد راقَ منها وَفَرُّها وَنَزُورُها	هي الدائرُ بالزوراءِ هَلأَ نَزُورُها
وأوطارُ أيامِ النَّصابِ ودُورُها	مُعَرَّسُ أيامِ الصِّبا وعِراضُها
وإن سَلَقْتَ أعوامُها وشهورُها	معاهدُ لا أتسى لها عَهْدَ أنسِها
وأحسنُ ما زانَ الظُّباءُ نُفُورُها	يروقُكَ منها نافرأتُ ظِلِّياتِها
سقاكُنَّ من صَوْبِ الغَوادي مَطِيرُها	رباعِ الظُّبا "بالكرخ" بوركتُ أزيعاً
مرايِعُ مُعْتَلِّ النَّسيمِ يَزُورُها	وزاركَ مُعْتَلِّ النَّسيمِ وَحَبَّذا
ودامَ على مَرِّ اللَّيالي حُبُورُها	مَعانٍ عليها البُيُوتُ ألقى رِواقُها
لديها وإمَّا ساطِعاتُ بُدُورُها	تُضيءُ فإمَّا بازِغاتُ شُمُوسُها
إلى الحُلْدِ والغَيْدِ الكَواعِبُ حُورُها	فيا صاحبي، عَجَّ بي إليها فإئها

ومن تبريز يحن ويشتاق إلى بغداد السيد راضي القزوين، فقد سئم بلاد العجم

ولكنة أهلها: <sup>(2)</sup>

لقد طالَ النَّوى، فمتى التلاقي؟	أحبَّبتنا بزوراءِ العراقِ
وأينَ التُّركُ من عَرَبِ العراقِ	فما تبريزُ للفصحاءِ ماوى

(1) عمود شكري الألويسي: أخبار بغداد، الألويسي: بغداد ص 169.

(2) الألويسي ص 170.

ويتحسر عبد الغني الجميل (ت 1279هـ) على بغداد وما أصابها من الخراب والهوان على يد الأتراك العثمانيين، وكيف كانت في عصورها الزاهرة وكيف عادت في هذا الزمن الرديء: (1)

لَهْفِي عَلَى بَغْدَادٍ مِنْ بَلَدٍ	قَدْ عَشَّشَ الْعِزُّ بِهَا ثُمَّ طَازَ
كَانَتْ عَرُوساً مِثْلَ شَمْسِ الضُّحَى	لِاسْتَعِيرِ حَلِيَّهَا لَا يُعَازَ
كَانَتْ بِهَا لِلنَّفْسِ مَا تَشْتَهِي	كَجَنَّةِ الْخُلْدِ وَدَارِ الْقِرَازِ
كَانَتْ لِأَسَادِ الْوَعْيِ مَنْزِلاً	وَالْخَائِفُ الْجَانِي بِهَا يُسْتَجَازُ
كَانُوا يَمِيطُونَ الْأَذَى أَهْلَهَا	عَنْ كُلِّ آتٍ حَيْثُهَا مُسْتَطَازُ
وَالْيَوْمَ لَا مَأْوَى لِمَنْ فَاقَهُ	فِيهَا وَلَا فِي أَهْلِهَا مُسْتَجَازُ
وَالْيَوْمَ قَدْ حَلَّ بِهَا مَنْ تَرَى	فَانْفِرْ وَلَا يَبِيدُكَ الْخِيَارُ
لَمْ يَرْقُبُوا إِلَّا وَلَا ذَمَّةً	فِينَا وَلَا عِذْرًا لِمَنْ اعْتَذَرَ
حَلَّ بِهَا قَوْمٌ وَهُمْ فِي عَمَى	مَا مَيَّزُوا أَشْرَارَهَا وَالْخِيَارُ
وَأَصْبَحَ الْقَرْدُ بِهَا مُقْتَدَى	يَلْعَبُ بِالْأَلْبَابِ لَعِبَ الْقِمَارُ

(1) أبو النّاء الألويسي: غرائب الاغتراب ص 211-112، ط مطبعة الشايندر، بغداد 1327هـ، يوسف عز الدين: الشعر العراقي، أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ص 153-154، ط الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1965م، جمال الدين الألويسي: بغداد ص 163-165.

## في العصر الحديث

وفي العصر الحديث — بعد العصر العثماني — يتغنّى الشعراء ببغداد وحب بغداد ومرابعتها الجميلة وأصالتها وأنهاؤها وبساتينها، ومن أكثر الشعراء الذين حنوا إلى بغداد وتغنوا بجمالها عبد المحسن الكاظمي (ت 1935م) وكان مقيماً في مصر هرباً من جور الأتراك العثمانيين وملاحقتها له وكان عمره عشرين عاماً، وأقام في مصر وشارك في الحياة الأدبية وكانت له صلوات ودٌّ ورعاية من كبار أدبائها وعلماؤها من مثل: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبدة، ومصطفى عبد الرازق، وغيرهم من كبار العلماء والأدباء، وتزوج بسيدة مصرية هي عائشة بنت محمود التونسي سنة 1915، وله منها ابنته الأدبية رباب، وتوفي في مصر سنة 1935 ودفن بمصر الجديدة، وتنهت الحكومة العراقية إلى مكانته، فرأت أن تكرم الشاعر وتبني له ضريحاً لائقاً في مقبرة الإمام الشافعي في القاهرة، ونقلت رفاته في حفل يوم 1 مايو سنة 1947<sup>(1)</sup>.

ومن شعره الذي يذكر فيه حنينه وشوقه إلى العراق من قصيدة طويلة يذكر فيها رحلته من العراق وأسفاره حتى حلَّ بمصر واستقراره فيها، ومطلع القصيدة:<sup>(2)</sup>

جوى أودى بقلبك أم وجيبُ      غداةً حدابك الحادي الطروبُ  
بعدتَ عن الديارِ وصرتَ تدعو      على البُعْدِ الديارَ ولا مجيبُ  
رحلتَ وأنتَ للعلياءِ صادٍ      تحومُ على المواردِ أو تلوبُ

ويعاتب نفسه على غربته وهو يبكي، ويعبر عن حنينه إلى وطنه ودياره ويتحرق شوقاً إلى كل من في الوطن وما في الوطن:

(1) رفائيل بطي: عبد المحسن الكاظمي، ضمن ديوان الكاظمي ص 293 — 301، وانظر: الأدب العصري في العراق العربي، لرفائيل بطي، ط مصر 1923م.

(2) ديوان عبد المحسن الكاظمي ص 58 — 68، الأعمال الشعرية الكاملة، تحقيق حكمت الجادرجي، ط دار الحكمة، لندن 2002م.

وفي مصر أراك وأنت لاه  
فكم وإلى م تنحب ثم تبكي  
وتشرب ماء جفئك وهو ملح  
كانّ الدمع ينطف وهو قان  
دع الأنفاس تصعد محرفات  
لقد بان الخليط فلا خليط  
وقلبك في العراق جوى يذوب  
ولا يجدي البكاء ولا التحيب  
ووزدك بالحلمى عذب شروب  
عصارة كزامة والجفن كوب  
وخلّ الدمع من علق يصبوب  
وقد بعد الحيب فلا حيب

وفي آخر القصيدة يذكر العراق ومدنه، وبغداد وما فيها من أئمة آل البيت الذين

يُستغاث بهم:

وأصبو للحمى بجميع قلبي  
سقى "الأباز" كل أجس هام  
لترتاح النقيّة يوم تُهدى  
فخذها واشفقن لها عساها  
إذا هي بالجوادين استجارث  
إذا ما تحبب الثقلان ظني  
وإن لم تسجلي بهما كروبي  
كذا فليضب للوطن الغريب  
وجاء "الكرخ" ماطرة الصيب  
كأن صفيّر حادها نقيب  
تري منجابه عنها الذنوب  
تفتح دون بُغيّتها الدروب  
فلي بهما ظنون لا تحيب  
إذن قل لي بمن تجلى الكروب؟

وفي قصيدة ثانية يذكر حرب الانجليز والترك، ويطمئن على بغداد وما أصابها،

ويجن إلى مدنها وأهلها: (١)

عسى "بغداد" يوقظها بياني  
مضى أمس فلا يرجى لأمس  
فلا العهد الذميم له يباقي  
فتقرأ فيه ألكار المعاني  
مآب أويؤوب القارظاني  
ولا الذكر الحميد لنا بفاني

وقلبه مع بغداد يريد أن يطمئن لما أصابها، فمصيبتها مصيبتها، ويفرح لانجلاء الغمة عنها من حكم جلاوزة الترك، وإن كان قد حلّ مكانهم حكم بغيض آخر هو حكم الانجليز:

غداة دنا النفير وما عراني	هل الزوراء تعلم ما عراها
أحاذِرُ أن أبوح بما أعاني	أبوح بما أكنُّ وكنتُ دهنراً
بلاعجه الحنين فقد كواني	إذا ما قيل "بغداد" كواها
أسعدني المداجي أم لحاني	أشاطرُها الحنين ولا أبالي
فديني أوّل و"الكرخ" ثاني	ومن شاء الوقوف على اعتقادي
وليت "الكرخ" يسمع أويراني	أحبُّ "الكرخ" أسمع أو أراه
وما أهوى سوى غرر المجاني	وأهوى في "الرصافة" ما جئتُه
فلا كذب البشير بما أتاني	أتاني أن "بغداد" أريحت
فمن بكر تشبُّ ومن عواني	أريحت من ليل كُن ناراً

ويختتم قصيدته الطويلة بالإقرار بحب بغداد التي لا بديل لها فهي في أعماق قلبه

ويغنى فيها حباً:

بحبك سالك سُبُل التفاني	أ "بغداد" ابشري وثقي بأني
بغير هواك عيشي ما هنائي	ولو أعطيتُ ملك الأرض طُراً
لكان الشيسبُ أوّل من هنائي	ولو أتيتُ انتهمتُ بغير حق
لكان الدهرُ أطوع من بنائي	ولو أني أطعتُ يدي وعزمي

وفي قصيدته (أنين وحنين) يعبر عن حبه للعراق داراً وأهلاً وهذا الحب قد ملك

نفسه وفكره وظهر جلياً في شعره، يقول: (١)

(1) الديوان ص 113 — 114.

سكنُ بالحى بعيد مداهُ  
من يُكْنى عن العراقِ بليلاً  
إنَّ لي في العراقِ داراً واهلاً  
إنَّ أردتم شرح الهوى فاقروهُ  
إن يكن بات في الكِنانةِ جسمي  
ليس قلبي بغيره مسكونا  
هُ يراني بحبه مجنوناً  
تنبو عنها الدياتُ والأهلوناً  
في جيني حواشياً ومتوناً  
فؤادي في الكرخِ ظلُّ رهينا

ويذكر الخطوب التي نزلت بالعراق وجعلته في فوضى وتأخر، مقارنة عما كان للعراق من حضارة زاهية في العصور العباسية، وقد بنى تلك الحضارة المأمون وأمثاله، ويستطرد إلى ذكر تلك الأجداد بحب واعتزاز:

أكذا تصبُحُ الخطوبُ وتُسي  
أين باني بغداد أين مباني  
أين مأمونها المؤسسُ فيها  
دولة تنبُثُ الظباء أسوداً  
دولة تنتهي العلومُ إليها  
ما قرأنا تاريخَ بغدادِ إلا  
أقصري الشكوى يا ربوع المعالي  
لم يُخنك الأمينُ يومَ تولاً  
كان للعدلِ من ثراكِ نصيبُ  
إيه بغدادُ لا تسوكِ الليالي  
أنت في العزِّ أوَّلُ وأخيرُ  
سيقولُ الرواةُ عنك أخيراً  
ويزولُ البناءُ والبانونا  
عزها أين أهلها الصالحونا  
دولة من غراسها الأفضلونا  
فيسامي بها الكناسُ العرينا  
وتُباهي فيها الفنونُ الفنونا  
وقرأنا دنيا تروقُ ودينا  
ربُّ شكوى سرت فكانت أيننا  
ك ولكنك ائتمنتِ الحوونا  
عبثت فيه إثرهُ الحاكمينا  
وسيعنو لمجدك الحاسدونا  
مفخرُ الأولينِ والأخرينا  
مارواهُ عن مجدك الأولونا

ومن قصيدة طويلة أنشدها في الحفلة التي أقامها الشيخ عبد القادر باش أعيان العباسي سنة 1921 في فندق شبرد بالقاهرة لتكريم جعفر باشا العسكري وزير الدفاع في

حكومة العراق يومذاك، وبعد أن يتغنى بالأجداد الغابرة يذكر بغداد ويحن إليها ويحییها ويتمنى العودة إلى مغانيها وأهلها ويستعيد أيام صباه فيها، يقول<sup>(1)</sup>

أبغدادُ لا فاتك مني تحيةً  
حيناً إلى تلك البقاعِ إلى التي  
حيناً إلى الزورا حيناً إلى الصبا  
حيناً إلى تلك القرى وإلى الذي  
حيناً إلى أرضٍ حيثُ بترها  
هناك شبابي قد تقضى وهانها  
لقد زعموا أني نسيْتُ وأنني  
وكيف تراني ناسياً ذكرَ موطنٍ  
لئن غيّرت مني الليالي ملاحماً

يُفسرُ منها ما أرادَ المُفسرُ  
تطیبُ إلى تلك التي هي أطهرُ  
حيناً إلى العودِ الذي هو أنضرُ  
يُعني بهاتيك القرى ويُنكرُ  
وياليتني في ذلك الثربِ أقبرُ  
مشيبي وفي الحالين أشكو وأشكرُ  
غدوتُ بهذي دونَ تلك أفكرُ  
له موردٌ في كلِّ سمعٍ ومصدِرُ  
فإنَّ الخلالَ الغرَّ لا تتغيرُ

أما الرصافي (معروف بن عبد الغني الرصافي البغدادي ت 1364هـ / 1945م)

فقد كان في غربته يحن إلى بغداد، ويشتاق إلى أمه فهو يناجيها ويناجي وطنه: <sup>(2)</sup>

لعمرك أقصاني الزمانَ المفرقُ  
خليلاً هل من الرصافةِ عالمُ  
بلادُ إذا ما هبت الریحُ نحوها  
أبيتُ على شوقٍ وقلبي موثقُ  
إذا ما تذكرتُ العجوزَ بكيثها  
وما شرقني بالدمعِ يا أمُّ وحدهُ

فهل أنا من بعد التشاومِ مُعرقُ<sup>(3)</sup>  
بأني إلى من الرصافةِ مَسْبُوقُ  
تمنيتُ لو آتني بها أتعلقتُ  
بهمي ودمعي فوقَ خدي مُطلقُ  
بدمعٍ به الأهدابُ تطفو وتغرقُ  
ولكن بروحي عند ذكراكِ أشرقُ

(1) الديوان ص 203 .

(2) ديوان الرصافي ص 357 المجموعة الكاملة، ط دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت .

(3) معرق: ذاهب إلى العراق.

ويهبو بقلبي الشوق حتى كائسما  
 فيا أم صبراً إن لابنك همة  
 تضايق عنها الدهر مستعظماً لها  
 أكلف منها الدهر ما لا يطيقه  
 لقد صغرت بغداد عن أن تضمها  
 تحطفه من بين جنبتي سودق<sup>(1)</sup>  
 إلى المجد ترمي أو إلى المجد تسبق  
 وأهلوه عنها يا أميمة أضيئ  
 فليس بعار أنني فيه مخفق  
 وما وسعتها بعد بغداد جلق<sup>(2)</sup>

وكان قد فارق بغداد سنة 1922م بعد ما لقي من ضيم وهوان، وعاش في بيروت وقرر أن يكون مقامه هجرة، ولكن روحه كانت متعلقة ببغداد، فقال يعاتب ويناجي ويحن ويصف الحال:<sup>(3)</sup>

هي المواطن أدنيها وتقصيني  
 قد طال شكواي من دهر أكابده  
 كأنني في بلادي إن نزلت بها  
 حتى متى أنا في البلدان مغترب  
 أنا ابن دجلة معروفاً بها أدبي  
 قد كنت بلبؤها الغريد أنشدها  
 حيث الغصون أقلتني مكللة  
 مثل الحوادث أبلوها وتبليني  
 أما أصادف حراً فيه يشكيني  
 نزلت منها بيت غير مسكون  
 نوائب الدهر بالأنياب تذميني  
 وإن يك الماء منها ليس يرويني  
 أشجى الأناسيد في أشجى التلاحين  
 بالورد ما بين أزهار البساتين

ويذكر ما لقي من مطاردة وعذاب من قبل الأجنبي الحاكم فاضطر إلى الهجرة

والاغتراب:

فبينما كنت فيها صادحاً طرياً  
 إذ حل فيها غراب كان يوحشني  
 أستشق الطيب من نفيح الرياحين  
 وكان تنعابته باليين يؤذيني

(1) السودق: الصقرا أو الشاعرين.

(2) جلق: دمشق.

(3) الديوان ص 426—247

حتى غدوتُ طريداً للغرابِ بها      وما غدوتُ طريداً للشواهينِ  
فَطِرْتُ غيرَ مبالٍ عندَ ذاكِ بما      تركتُ من نرجسٍ فيها ونسرينِ  
ويبكي حظه على ما آل إليه أمره، فقد تغرَّب عن بلده لما لقيه من عنت وهوان،

وصار أمر بغداد بيد الأعاجم والوصوليين، فأثر الغربة وهو ينفت همّاً وحسرة:

ويلٌ لبغدادَ مما سوف تذكره      عني وعنهما اللبالي في الدواوينِ  
لقد سقيتُ بفيض الدمعِ أربُعها      على جوانبٍ ودُّ ليس يسقيني  
ما كنتُ أحسبُ أني مُذْ بكيْتُ بها      قومي بكيْتُ على من سوف يبكيني  
أفي المروءة أن يعتزَّ جاهلُها      وأن أكونَ بها في قبضةِ الهونِ  
عاهدتُ نفسي والأيامُ شاهدةٌ      الأُ أقرَّ على جورِ السَّلاطينِ  
ولا أصادقُ كذَّاباً ولو ملكاً      ولا أخالطُ إخوانَ الشياطينِ  
أما الحياةُ فشيءٌ لا قرارَ له      يجيها المرءُ موقوتاً إلى حينِ  
سيانَ عندي أجاء الموتُ مخترماً      من قبلِ عشرين أم من بعدِ تسعينِ  
ما بالسنينِ يقاسُ العمرُ عندي بل      بما له في المعالي من تحاسينِ  
ما كنتُ أحسبُ بغداداً تحلَّسني      عن ماء دجلتها يوماً وتظمني  
حتى تقلَّدَ فيها الأمرَ زعنفَةً      من الأناسِ بأخلاقِ السراحينِ<sup>(1)</sup>

(1) تحلّسني: تمنعني وتطرّدني. الزعنفة: من أراذل القوم. السراحين: الذئاب، جمع سرحان.

## الصابي النجفي

وكان من أكثر الشعراء العراقيين الذين عاشوا الغربة وعانوا لوعة الحنين الصافي النجفي عاش الصافي حياة بؤس وحرمان وتشرد، توفي والده وهو صغير في الحادية عشرة من عمرة، وشهد موت أمه وهي تعاني من آلام الكوليرا، ورأى مشاهد الحزن والبكاء على أمه من نساء الأهل والجيران، وكان هو نحيفاً ضعيفاً مريضاً، عاش في العراق فقيراً بائساً يقول الشعر الحزين الذي يصور البؤس والكسح والمرض، ثم رحل إلى دمشق يتسكع في المقاهي وينام في المساجد، يعاني الفقر والحرمان، وقد عبر عن حاله وغربته بقوله:

أنا في الشام أحس غربة أوجه      ماذا أقولُ إذا رجعت لداري  
يتم الرجوع لموطنٍ منه اختفى      ما فيه من دار ومن ديارٍ

وذهب إلى بيروت وسجن سنة 1941، وعاش بعد ذلك متشرداً وقد أثقلته سنوات العمر، وكان في تشرده يتحدى ثقل السنين، يقول:

سني بروحي لا بعدُ سنينٍ      فلا سخرنَ غداً من التسعينِ  
عمري إلى السبعين يركض مسرعاً      والروحُ ثابتة على العشرينِ

عاش الصافي النجفي ستاً وأربعين سنة في الغربة، ولكنه لم ينسَ وطنه وكان يتجرع آلام الغربة ويغمره الشوق والحنين إلى الوطن، يقول في غربته:

لقد تغربتُ حتى      نسيْتُ كلَّ قريبٍ  
فإن رجعتُ لأهلي      رجعتُ مثلَ الغريبِ  
سلكْتُ كلَّ الدروبِ      ألفتُ كلَّ الكروبِ  
فغربة الدارِ داري      والأهلُ صحبُ الدروبِ

ومع تصبُّره وتحمله آلام الغربة فهو حين يتذكر الأهل والوطن يحن ويبكي:

جُرْحُ التَّعْرُبِ فِي فُوَادِي بِالْغُ  
فَتَفَجَّرَ النَّسِيانُ عَنْهُ وَأَصْبَحَتْ  
أَلْقِي عَلَيْهِ بِلِسْمِ النَّسِيانِ  
لِلجُرْحِ تَهْمَلُ بِالذُّمَّا عَيْنَانِ

ويحزن إلى الأهل والوطن، وينفس عن أحزانه بمثل هذا الشعر:

تَوَالَتْ عَلَيَّ النَّائِبَاتُ مَغِيرَةً  
وَكَمْ مِنْ جُرُوحٍ فِي فُوَادِي تَغْلَغَلْتُ  
وَأَعْمَقُ جُرْحٍ فِيهِ جُرْحُ تَعْرُبٍ  
فِيَالَيْتَنِي حِينَا نَسِيتُ تَجْلُدِي  
فَكَمْ زَفْرَةً أَخْفَيْتُهَا عَنْ عَزِيمَتِي  
وَكَمْ وَجْهَةً بِالْعَاصِفَاتِ تَبَطَّنَتْ  
نَسَجْتُ مِنَ الْعَزْمِ الْقَوِيِّ حَشَاشَتِي  
فَلَمْ أَرْغَيْرَ أَهْمٍ يَصْدُمُ بَالِهَمٍ  
أَرُومُ الْبِكَا مِنْهَا فَأَخْجَلُ مِنْ عَزْمِي  
يَحْنُ لِدَارِي دَائِبًا وَبِنِي أُمِّي  
لِيُطْفِئِيَءَ دَمْعِي مَرَّةً لَهْبُ الْغَمِّ  
فَبَاتَتْ جَحِيماً تَحْرُقُ الْعِظْمَ كَالْفَحْمِ  
وَكَمْ بِسْمَةٍ فِيهَا دَمُوعُ الْحِشَا تَهْمِي  
وَجَدَّدْتُهَا إِذْ أَخْلَقْتُهَا يَدُ السَّقَمِ

وهو في صيدا حين يتأمل نخيلها الوارفة يتذكر نخل الفرات في الكوفة، فتهدج أشجانه ويذكر غربته فيحزن إلى أهله وأحبابه ووطنه، وهي من قصائده الجيدة الرائعة النابعة من قلب فيه حنين واشتياق إلى الوطن والأهل والأصحاب: "

يَا نَخْلَ صَيْدَاءَ لِي هَيَّجَتْ أَشْجَانَا  
مَا لَآخَ طَلْعُكَ لِي إِلَّا وَذَكَّرَنِي  
هَلِ الرَّبِيعُ مَعِيدٌ عِنْدَ رَجْعَتِهِ  
وَمَا أَرَى الطَّلْعَ إِلَّا رُوحِي اخْتَنَقَتْ  
هَيْهَاتَ يَفْصُحُ دَمْعٌ عَنْ كَابْتِهَا  
وَلَيْسَ شِعْرِي إِلَّا الْبَعْضُ مِنْ حَمِّ  
كَمْ ذَكَّرْتَنِي بِسَاتِينِ النُّخَيْلِ هُنَا  
ذَكَرْتَ مِنْ وَطَنِي أَهْلًا وَجِيرَانَا  
رَبِيعَ رَيْفِي بَطْلَعِ النُّخْلِ مِزْدَانَا  
رَبِيعَ عَمْرِي وَعَمْرَ الصَّحْبِ رِيَانَا  
بَعْبَرَةٌ لَا تُرِيدُ الدَّمْعَ عِنَانَا  
وَعَنْ فُوَادٍ بِدَمْعِ الْعَيْنِ مِلَانَا  
تُنْيِكَ أَنْ يَهَذَا الْقَلْبِ بِرَكَانَا  
مِنْ نَخْلِ رَيْفِي جِنَاتٍ وَبُسْتَانَا

(1) المجموعة الكاملة لأشعار أحمد الصافي النجفي غير المنشورة، قدم لها جلال خياط ص 424 - 425، ط وزارة الإعلام،

بغداد 1977، الاغتراب والعبقرية ص 101.

وكم دعنتي وأغرثني لأدخلها حتى ألقى بها أهلاً ونخلاناً  
يانخل صيداء قد أشعلت نيرانا بقلب ناء بعيد الدار ولاننا

وتذكره هذي النخيل بنخيل العراق وأيام الطفولة حيث أصحابه الصغار الذين

مرت أزمان ولا يدري هل ما زالوا فوق الأرض، أم عادوا ذكري من ذكريات القبور؟

فهو يبكي ويحن لذكريات الماضي الجميل:

ذكرتني نخل ريف قد نشأت به  
كم رقدة لي بظل النخل ناعمة  
تلك النسيمات في خدي تُداعيني  
يظل فيها خيالي سارحاً مرحاً  
هذا شعوري دون العشر من عمري  
ولست أنص إلا حين يلدعني  
تلك الملاعب هل يوماً أعود لها  
نصطاد أطفال أساك تُشاهبنا  
نشكهن بأعواد لنشويتها  
ملتهوجين لها عجلي لناكلها  
أخشى إذا عدت لا ألقى لهم أثراً  
وإن يكن أحد باق سينكرني  
فلتبق ذكراهم في القلب عائشة  
فما الحياة سوى وهم نعيش به

هل ذلك النخل باقٍ مثل ما كانا ؟  
من نصف قرنٍ تراها مقلتي الآن  
وتعزف الريح بالأغصان ألحانا  
فأغمض العين بالأحان نشوانا  
هذا هو الشعر لا ما أنظم الآن  
حرّ الظهيرة لم أعدوه سرعانا  
أرى بها من لِداتِ العمرِ إخوانا  
مُعكرينَ لذكِ الصيْدِ غدرانا  
مُوججينَ من الأغصانِ نيرانا  
مخلوطةً برمادِ الأرضِ أحياناً  
إذ أصبحوا تحت هذي الأرضِ سُكَّاناً  
فالدهرُ قد غيَّرَ أشكالاً واللوانا  
تُبدي لديّ شيوخَ الصبحِ ولدانا  
يحكي الحقيقةً تزويراً وبهتاناً

وغربة النجفي غربة عن الوطن، وغربة في فكره وطباعه، فهو يرى أنه وحيد بين

الناس في مشاعره وأفكاره، غريب في هذا المجتمع وهذا العصر: (1)

(1) المجموعة الكاملة ص 87.

أراني مدى الأيام تزدادُ وحدتي      وتبعُدُ صحي عقلي المتحررُ  
لقد عطّلوا تفكيرهم فتجمعوا      وأفردني في الناس أني أفكرُ  
ومن قال شعري، كيفَ ينجو من الورى      بأن يشعروا بعضَ الذي هو يشعرُ  
قضى لي تفكيري الوحيدُ بوحدتي      سأشكرُ ربي في عطاءه وأصبرُ

ويرى أنه غريب في هذا العالم لا يتواءم وإياه، فهو من نبتة ليست من هذه الأرض،

وهو طير محلق بعيد عن كل هذه الديار: <sup>(1)</sup>

غريبٌ ولو ما بينَ أهلي وخُلّاني      غريبٌ لأنني جنثُ من عالم ثانٍ  
دليلي شماري، وهي لم تكُ تنتمي      لبُستاتهم لكن إلى غيرِ بُستانٍ  
أعيشُ بهم في الأرضِ ثم أعافهم      ملالاً فأعلو نحو عثي وأغصاني  
أنا الطيرُ، عيشُ الأرضِ والمشئي متعبٌ      لروحي، فالتحليقُ في الجو من شاني  
ولو أنني أبصرتُ فيهم مخلقاً      يُرافقني ما عفتُ أهلي وأوطاني

وفي قصيدته (على المفقود) يبين سيرة حياته وسبب تغربه وحيرته فيما يفعل، هل

يتجه إلى العلم الديني والاجتهاد متبعاً خطوات العالم الفقيه جده لأمه، أم يتجه إلى السياسة حيث المحتل الأجنبي يربض على صدر الوطن؟ أم يكون شعره هو الشغل الشاغل، فأسهم في السياسة في ثورة العشرين ولما كثرت ملاحقات الأجنبي وعملاؤه هرب إلى إيران، وعاش هناك تجربة الغربة، وعاد إلى الوطن وعادت الأمراض تنهش جسمه النحيل، فنصح أن يرحل إلى بلاد الشام فجوها دواء لصحته وعاش هناك طويلاً، ولكنه كان مستوحشاً تنهشه الغربة ويحدوه الحنين: <sup>(2)</sup>

(1) المجموعة الكاملة ص 123.

(2) المجموعة الكاملة ص 172 - 173.

بمفترق للطرق كانت ثلاثة  
فإما علوم و(اجتهاد) مشايخ  
وأما اشتغال بالسياسة منقذ  
أو الشعر شغلاً وهو مهنة عاجز  
وقفت وفيها بينها حار بي الفكر  
كجدي لأمي وهو ذلك الحَبْرُ<sup>(١)</sup>  
ببلاداً غزاها أمس مستعمراً قنُذُ  
كسولٍ وتأبأه مطاعمي الكُثُرُ

ولكنه أسهم في السياسة وبعد فشل الثورة هرب إلى إيران وعاش الغربة هناك ثم عاد إلى الوطن وعاش مريضاً معوزاً:

وكان لي سهمٌ ياشعالِ ثورة  
وعُدْتُ إلى الأوطانِ من بعد غربةٍ  
وقلت: ستجدي تجرياتي موطني  
فعدت لي الأمراضُ تنهشُ بُنيّتي  
فعدتُ طريحاً والمنى حولَ مفرشي  
رمت بي إلى إيران إذ فاتني النصرُ  
بها التجرباتُ الكُثُرُ والحلُوُ والمرُّ  
وأسعد في أهلي ويسمُّ لي الدهرُ  
وساعدها الحرمانُ والعيشةُ الصُفْرُ  
مُطَرَّحةٌ تبكي وأشعاري البُكْرُ

وعالجه طيب نصحه بأن جو العراق لا يلائمه حيث الحر اللاهب، ونصحه بالرحيل إلى الشام، ولم يرَ بأساً في الرحيل، فكل بلاد العرب بلاده، قسمها الأجنبي، فرحل:

إلى أن أتاني من يد الله منقذُ  
فوجهتُ سيرِي للشامِ وكُلُّها  
وأملتُ أن أشفى بطيبِ هوائها  
فقمْتُ وفي الكفين من صحتي عُشْرُ  
بلادِي وتقسيمُ البلاد هو الكُفْرُ  
ولُطْفِ أهاليها وهم فتيّةٌ عُرُ

وكان يؤمل فيها الشفاء ولكنه بقي عليلاً هزياً، ووجد في شعره ما يشغله وفيه شفاء نفسه وتنفيس عن همومه وغربته:

(1) جده هو محمد حسين الكاظمي مرجع الشيعة في وقته، صاحب كتاب: هداية الأنام في شرح شرائع الإسلام، توفي سنة

فلم يكتمل فيها الشفاء ولم أنل بها ما توخى العزم وانتظر العُمُرُ  
فلم يك غير الشعرِ شغلي وسلوقي وقد زخرت منه دواويني الكُثُرُ  
فما كسبت مني السياسةُ عاملاً ولا العلمُ لكن راح يكسبني الشعرُ

ويعود بعد غربة طويلة قاسية إلى بغداد ويحدوه إليها الحنين:<sup>(1)</sup>

يا عودة للدار ما أقسامها أسمع بغداداً ولا أراها

وقد سئم الغربة وأحبّ العودة إلى بغداد، وهل مثل بغداد ما يياثلها، إنها الدنيا

وهي وحدها البلاد:

قد كفاني تَغْرُبُ وابتعادُ عاتبتني بحُسْنِها بغدادُ  
أين تبغي دنيا وتبغي بلاداً أنا وحدي الدنيا ووحدي البلادُ

وفي بلاده وبين أحبابه لفظ أنفاسه الأخيرة بعد عمر طويل شاق وغربة

قاسية، فقد وهن جسمه وانطفأت عيناه، فودع الدنيا في 27 / 6 / 1977،

رحل وبقي شعره الكثير يحكي قصة حياة وحنين وغربة وتجربة عذاب،

يرحمه الله.

وهناك شعراء آخرون قالوا الشعر في الحنين إلى العراق أم إلى بغداد، ولكنهم

مقلون، أو أنهم يقولون الشعر في المناسبات الوطنية أو الأدبية، من أولئك الشيخ

محمد رضا الشيبلي (ت 1385 هـ / 1965 م) الذي تغنى ببغداد وحبها والهيام

بحبها، و ذكر مرابعها وبلدانها:<sup>(2)</sup>

(1) المجموعة الكاملة ص 717.

(2) الألويسي: بغداد ص 234.

بـ "بغداد" أشتاقُ الشَّامَ وهل أنا  
 فما أنا في أرضِ "الشَّامِ" بمُشتمٍ  
 هُما وطنٌ فَرَدُّ وقد فَرَّقُوهُما  
 إذا قُمْتَ نُصِبَ القلبِ ياعهدُ "تذمير"  
 أرى اليومَ ماءً في "الفراتين" آسناً  
 سيحدو غواصي الدَّمعِ بالدَّمعِ حُفلاً  
 رهتُك يا "بغدادُ" قلبي ومَنْ تَكُنْ  
 علا الشَّيبُ آمالي ولم يَعلُ عارضي

إلى الكرخِ من "بغداد" جَمَّ التَّشَوُّقِ  
 ولا أنا في أرضِ "العراقِ" بمُغْرِقِ  
 "رمى الله بالتشتيتِ سَمَلُ المَفْرِقِ"  
 ذكرتُ اذْكَارَ الطَّيْفِ عهدَ "الحوزنِ"  
 متى عَبَّ منه عاطشُ النَّفسِ يَشْرِقُ  
 سنا بارقِ من "بابل" متألِّقِ  
 رهيتُة قلباً بـ "بغداد" يَقلِّقِ  
 ويَبِيضُ قلبي قَبْلَ تَبْيِضِ مَفْرِقِ

أما الجواهري فله رائعات من قصائده في التغني ببغداد ومغانيها وأمجادها  
 وشعبها، من ذلك قوله من قصيدة طويلة سنة 1927 حين فاض نهر دجلة وهدد بغداد  
 بالغرق، نقتطف منها: (١)

بَدَتْ حَوْدًا لها الأغصانُ شَعْرُ  
 على "بغداد" ما بَقِيَتْ سلامٌ  
 سَمَتْ تزهو على السَّفْحَيْنِ منها  
 يُظَلِّلُ "دجلة" منها جناحُ  
 نزلتُ فما رأيتُ أبرَّ منها  
 فرتني الرِّيحُ لم يَفْسُدْ مَهَبٌ  
 سَكَزْتُ وما سَقِيْتُ بغيرِ ماءٍ  
 كريمةٌ سادةٌ عَرَّفَنَ فيها

و"دجلة" ريقها والسَّفْحُ نُغْرُ  
 يَضوعُ كما ذكا للوَرْدِ نَشْرُ  
 قُصُورٌ ملؤها زَهْوٌ وكِبْرُ  
 كما باهى بقادِمَتَيْهِ نَسْرُ  
 وضيْفُ كريمةٍ بِرَّ يُبَرُّ  
 لها والماءُ، لم يَسُدُّ مَحْرُ  
 و"دجلة" ماؤها عَسَلٌ ومَحْرُ  
 عُرُوقٌ من بني "عدنان" نُضْرُ

(1) ديوان الجواهري ص 175-176، الأعمال الشعرية الكاملة، ط 2 دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد 2001 م.

ويشيد بالأعجاز العربية في عصور بغداد الزاهية زمن العباسيين، ويقف على الجسر  
جسر بغداد ويتأمل في أمواج دجلة الهائجة الصاخبة تحت الجسر، فما أعظم دجلة وما  
أقواها وأعتها:

كفى "العباس" ما أبقت بنوه  
مَضَوْا غُرَّ الوجوه وخالَدَتْهم  
فَمَنْ يَكُ ذِكْرُهُ حَسَنًا جَمِيلًا  
فيا "بغداد" لا يَنْفَكُ سِرُّ  
أَكُنْتِ و"بابلاً" بلداً سَوَاءَ  
سقى الجِسْرَ المطيرُ من الغوادي  
هو البُرْجُ الَّذِي كَادَتْ عَلَيْهِ  
رَأَيْتُ بِأَفْقِهِ شَمْسًا وَيَذْرَأُ  
نهاراً كُلَّهُ أَصْلَ لِدَاذُ  
وَقَفْتُ عَلَيْهِ وَقَفَّةً مُسْتَطِيرِ  
وللأمواج من حَنَقِ نَشِيشِ  
و"دجلة" كالسجينِ بَغَى فِرَاراً  
وذاك الثَّابِتُ الأركانِ أَمْسَى  
أَحَقًّا أَنْ "أُمَّ الخَيْرِ" منها  
وبات الماءُ منها قَيْدَ شِبْرِ  
و"دجلة" حُرَّةً صَجَّتْ فجاشت  
أضاعوا ماءها هَذْرًا وَأَخْنَى  
وإن تَكُ "دجلة" هَدَاتٍ وَقَرَّتْ

فما ترو على "بغداد" مِضْرُ  
نقاباتٍ من الأثارِ غُرُّ  
فَحَسْبُ القَوْمِ في "بغداد" ذِكْرُ  
لِحَسَنِكَ يَنْجَلِي فَيَدِقُّ سِحْرُ  
فللملكينِ باقٍ فيك سِحْرُ  
فمَلَقَى اللهُوِ واللذاتِ جِسْرُ  
نُجومُ الأفتي ساجدةً مَحْرُ  
كأحسنِ ما تُرى شَمْسٌ وَيَذْرُ  
وليلاً كُلُّهُ سَحْرٌ وفَجْرُ  
من الأخرانِ مِلءُ حصاةٍ دُغْرُ  
كما يغلي على النيرانِ قِدْرُ  
وأزِيدَ حيثُ أعوزَهُ المَفْرُ  
عليها ريشةٌ لا تَسْتَقِرُّ  
بعاصمةٍ "الرشيد" أحاطَ شَرُّ؟  
لقد أسدى لها الإحسانَ شِبْرُ  
ويأبى الضَّيْمَ والإذلالَ حُرُّ  
على مُستودِعِ البُرْكانِ قِضْرُ  
فللغضبِبانِ "شِفْشِقَةَ" تَقْرُ

أما عاتكة الخزرجي (ت 2003 م) فقد كانت بعيدة عن بغداد، وطال بُعدها،

فحنت إلى بغداد وغلبها الشوق فصارت تنفث أشجانها من بعيد سنة 1984م: (1)

وَسُئِلْتُ حِينَ الدَّمْعِ حَا      رَ وَحَتَّ حَادِي البَيْنِ رَجَبَةَ  
 أَتَرَيْنَ وادي الرافدينِ      مِنْ تِلْكَ أَتْرَيْنَ كُتْبَةَ؟  
 أَتَعِينِ وَسَوْسَةَ النَخِيـ      لِي وَمَجْلَسِ الأَحْبَابِ قُرْبَةَ  
 وَسَقَائِمِ القُضْفُورِ إِمَّا      النُّورُ شَقَّ عَلَيْكَ دَرْبَةَ  
 وَغُدُّوْ أُسْرَابِ الطَّيـ      رِ وَرَوْحَهَا فِي كُلِّ رَحْبَةَ  
 أَتَلُوْخِ بَغْدَادِ الهوى      أَتَجِيءُ أَطِيفِ الأَجِبَةَ  
 أَتُحْمِمْ الذُّكْرَى أَيْمًا      لِي الشُّوقُ لِلْمُشْتَاقِ كُتْبَةَ  
 أَتَذْكُرِينَ وهل نسيب      تِ؟ وَكَيْفَ يَنْسَى المرءُ حُبَّ  
 (بغداد) عَفْوِكَ قَدْ جَرَّخَ      سِ القَلْبِ إِذْ أَثْقَلَتْ عَيْبَةَ  
 حُبَّانٍ: حُبُّ اللهِ وَالـ      أوطانٍ لِالأحرارِ حِسْبَةَ  
 بَغْدَادُ يَمْلَأُونِي هـوا      كِ وَفِرْقَةَ الأَحْبَابِ كُزْبَةَ  
 مَا غَيْبَتْ عَن عَيْنِي يـ      مَا أَوْنَسَيْتُ لَدَيْكَ صُحْبَةَ  
 “بغدادُ” أَنْتِ سِوَادُ عَيْنِـ      نِي وَالفُؤَادُ سَكَنْتِ لُبَّ  
 تَبْقِيْنَ أَنْتِ الحُبُّ وَالـ      وَوَحْيِ الأَمِينِ لَدَى المُجِيبَةَ

وأشدد خالد الشواف قصيدة طويلة في مهرجان الشعر ببغداد، وطاف من خلالها

ببغداد وحضارتها في العصر العباسي، ونوه بشعرائها وأدباتها، وتغنّى بأنهارها ورباها

ومواضعها وجمال مرآها، نقتطف منها ما تيسر: (2)

(1) الألويسي: بغداد ص 266 — 267.

(2) الألويسي ص 292 — 297.

عوجوا على غدوة الوادي بُشَّره  
قولوا (عَبَقَر) هذا المهرجان لهُ  
أعياده اليومَ عادت بعدما طُوِّبَتْ  
تلَمَسَ الوترَ الغافي فنبههُ  
حتى إذا عادَ ليلَ رائقِ السَّقْ  
نادى بـ "بغداد" هاكِ الشَّعْرَ فاحتفلي  
فطاف بالنَّهْرِ حُلْمٌ من "رُصافِيهِ"  
ومن مجالِسَ بالشُّمَارِ حاليهِ  
وطاف بالنَّهْرِ حُلْمٌ من هَوَى عَيْقِي

فمنبرُ الشَّعْرِ في "بغداد" منبرُهُ  
فالشعر من عنصرٍ في المرح عنصرُهُ  
حيناً من الدهرِ أغفى فيه مِزْمَرُهُ  
وراحَ بالسَّلْسَلِ الصافي يُفجِّرُهُ  
يسامرُ النَّجْمَ فيه مَنْ يُنورُهُ  
كما يموجُ به في البيدِ عَبَقَرُهُ  
ومن عيونِ المَها والجِسْرِ يسهرُهُ  
في "الكرخ" والفجرُ يدعوها فتتهرَّهُ  
ضاعت به قافياتُ الشعرِ تنشرُهُ

وبعد أن يطوف مع شعراء بغداد في العصور الزاهية ومنجزات خلفائها وصانعي حضارتها، يعود إلى الشعراء وفود المهرجان، فيقول:

أهلاً وفودَ القوافي في "مُدَوْرَةَ"  
لا يظماً الشعرُ في أرضٍ ويقصدُها  
فالشعرُ "دجلتُنا" السَّلْسَالُ مورِدُهُ  
يا إخوةَ الشَّعْرِ هل تَمَّتْ مناسِكُهُ  
وثَمَّةَ (الحَرْمِ) اللامي يُرادُ لها  
اليومَ والقَدْرُ الأعلى يُيبُّ بهِ  
تفيضُ بالدَّعْوَةِ المثلَى مقاطِعُهُ

يُطوى القريضُ فتُخِيسُهُ وتنشرُهُ  
إلَّا ويُرْوِيهِ في "بغداد" كوترُهُ  
والشعرُ "دجلتُنا" المُختالُ مَصْدَرُهُ  
وَتَمَّ (كعبتُهُ) الأولى و(مَشْعَرُهُ)  
أن تُسْتَبَاحَ وبيتٌ كان ينفُسرُهُ  
لوحدةٍ وجلالُ الصوتِ يغمُرُهُ  
وبالجِهَادِ قوافيهِ وأبحرُهُ

وهناك من شعراء العربية الذين كانوا ضيوفاً على بغداد قالوا الشعر في بغداد وفي أجمادها، وتغنوا بجمالها ومحاسن أهلها وأشادوا بتاريخها وحضارتها نذكر بعضاً منهم:

فمن أولئك أمير الشعراء أحمد شوقي (ت 1351هـ / 1932م) الذي أشاد

ببغداد ومكانتها وعلماؤها في قصيدته ( نهج البردة ) التي يمدح بها الرسول ﷺ: (١)

دُعْ عَنْكَ "روما" و"آئينا" وما حَوَّنَا	كُلُّ الْيَوَاقِيَتِ فِي "بغداد" وَالتُّؤَمِ
دَارُ الشَّرَائِعِ "روما" كُلَّمَا ذُكِرَتْ	"دَارُ السَّلَامِ" لَهَا أَلْقَتْ يَدَ السَّلَمِ
مَا ضَارَ عَنَّتْهَا بِيَاناً عِنْدَ مُلْتَمَامِ	وَلَا حَكَّنَتْهَا قِضَاءً عِنْدَ مُخْتَصِمِ
وَلَا احْتَوَتْ فِي طِرَازٍ مِنْ قِيَاصِهَا	عَلَى "رَشِيدٍ" وَ"مَامُونٍ" وَ"مُعْتَصِمِ"
مَنْ الذِّينَ إِذَا سَارَتْ كِتَابِيهِمْ	تَصَرَّفُوا بِحُدُودِ الْأَرْضِ وَالتُّخَمِ
وَيَجْلِسُونَ عَلَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ	فَلَا يُدَانُونَكَ فِي عَقْلِ وَلَا فَهْمِ
يُطَاطِئُ الْعُلَمَاءُ الْهَامَ إِنْ نَبَسُوا	مِنْ هَيْبَةِ الْعِلْمِ لِأَنَّ هَيْبَةَ الْحُكْمِ
وَيُمَطِّرُونَ فَمَا بِالْأَرْضِ مِنْ مَحَلِّ	وَلَا مِنْ بَاتٍ فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ عَدَمِ

وينشد علي الجارم (علي بن صالح بن عبد الفتاح الجارم ت 1368هـ / 1949م)

في حفل افتتاح المؤتمر الطبي العربي ببغداد سنة 1938م قصيدة من روائع الشعر يتغنى فيها ببغداد وأمجادها وفضائلها، وصارت القصيدة نشيداً يغنى ويترنم بها طلبة المدارس، وهي طويلة نقتطف منها: (٢)

بغداد يا بلد الرشيد	ومنارة المجد التليد
يا بسمه لما نزل	زهراء في ثغر الخلود
يا موطن الحُبِّ المقيـم	مـ ومضرب المثل الشُّرُودِ
يا سطر مجد للعرو	بـ خُطٌّ في لوح الوجودِ
يا راية الإسلام والـ	إسلام خفَّاق البُنُودِ
يا مغرب الأمل القديم	مـ ومشرق الأمل الجديد

(1) الشوقيات ص 205 - 206 ط المكتبة التجارية بمصر د.ت.، صورته دار الكتاب العربي، بيروت د.ت.

(2) الألوامي: بغداد ص 242 - 249.

يا بنت "دجلة" قد ظممت  
يا زهرة الصحراء رُد  
"بغداد" يا دار النهمي  
نبت القريض على ضفا  
تُ لرشف مبسوك البرود  
دي بهجة الدنيا وزيدي  
والفن يا بيت القصيد  
فك بين أفنان الورود

ويذكر دور بغداد في التاريخ، ويذكر ما كان فيها من علوم وفلسفات وشعر

وشعراء:

الفلسفات عرفت بها  
والغرب ينظر في خمود  
كم مؤئل للمستجيب  
والجاحظ المريح اللعو  
بغداد يا وطن الأديب  
جددت أحلامي وكنت  
جمح الخيال فما اطم  
بغداد أشرق نجمها  
سلكت إلى المجيد القدي  
وزمت بأقمار الهدى  
بغداد إننا وفد (مص  
جئنا نحيي العلم وال  
مراك عيّد للمنى

والعلم طفّل في المهود  
د نحو قافلة الحمود  
ر ومنهل للمستفيد  
ب يغوص للدرّ الفريد  
ب وأيكة الشعر الغريد  
ت صحوت من عهد عهد  
أن ولا استقرّ إلى الخلود  
ويدا بها سعد السعود  
م تحجّة النهج السديد  
وسطت بأظفار الأسود  
ر) نفيض بالشوق الأكيد  
آداب في العدد العديد  
فزنا به في يوم عيد

(1) كان التاسع من شباط 1938 م يوم عرفة، وقفة عيد الأضحى من ذي الحجة سنة 1356 هـ.

وزار نزار قباني الشاعر العربي المبدع بغداد سنة 1962، فأنشد قصيدته في الحب

والشوق إلى بغداد: (1)

وانسي العتابَ فقد نسيتُ عتابي  
شَمسانِ نائمَتانِ في أهْداي  
وورودُ مائدتي وكأسُ شرابي  
أخفي جراحاتي وراءِ ثيابي  
وتلاقتِ الشفتانِ بعدَ غيابِ  
في البَحْثِ عن حُبِّ وعن أحبابِ  
وعلى ظفائِرِ زَيْبِ وربابِ  
والفَجْرُ عُرْسُ ماذِنِ وقِبابِ  
ترتاحُ بين النَّخْلِ والأغشابِ  
وأشْمُ في هذا التُّرابِ تُرابي  
بيضاءَ فيها كِبرياءُ سحابي  
ذاتُ النُّجومِ السَّاكِناتِ هِضابِ  
لكنَّ حُسنَكَ لم يَكُنْ بحسابي  
وهواك لا يكفيه ألفُ كتابِ  
تَمْتَصُّني تَمْتَصُّ زيتَ شبابي  
وينامُ في حَمِي وفي أعصابي  
يا عَمَزَنَ الأضواءِ والأطيابِ  
فالشُّوقُ أَكْبَرُ من يدي وربابي  
وحبيبتِي تَبْقِيَنَ بعدَ ذهابي

مُدِّي بِساطِكَ واملئني أكوابي  
عيناكِ يا "بغداد" مُنذُ طفولتي  
لا تُنْكَرِي وجْهي فانتِ حبيبتي  
"بغداد" جِئتِكَ كالسَّفِينَةِ مُتَعَباً  
ورميتُ رأسي فوقَ صَدْرِ أميرتي  
أنا ذلك البَحَّارُ يُنْفِقُ عُمُرَهُ  
"بغداد" طِرْتُ على حرييرِ عباءةِ  
وهَبَطْتُ كالعُصفورِ يقضدُ عَشَّةَ  
حتى رأيتُكَ قِطْعَةً من جَوْهَرِ  
حيثُ التَمَّتْ أرى ملامِحَ موطني  
لم أَغْتَرِبْ أبداً فَكُلُّ سَحَابَةٍ  
إنَّ النُّجومِ السَّاكِناتِ هِضابِكُم  
"بغداد" عشتُ الحُسنَ في ألوانِهِ  
ماذا ساكُتُ بْ عنكَ يا فيروزَتي  
يغتالني شِعْري فَكُلُّ قَصِيدَةٍ  
الجِنَجِرُ الدَّهَبِيُّ يَشْرَبُ من دَمِي  
"بغداد" يا هَزَجَ الخِلاخِلِ والحِلي  
لا تَظْلِمِي وتَرِ الرِّبابَةَ في يدي  
قَبْلَ اللِقَاءِ الحُلُو كُنْتِ حبيبتي

(1) الألووسي: بغداد ص 285 — 287.

ويتغنى الشاعر سليم الزركلي بجمال بغداد وأصالتها وحضارتها في نفس عربي

أصيل: (١)

أحَقَّ أترى بغدادَ أم أنتَ حالمٌ  
معالمٌ أمجادٍ ودُنْيَا حضارةٍ  
تغنيتُ والبيداءُ تفضُلُ بيننا  
أزها كؤوساً بارك الله نفعها  
أناجيكِ يا أمَّ المدائنِ، والرؤى  
رؤى في طريقِ المجدِ تزهى روائعاً  
وأرجعُ للماضي فأسجدُ خاشعاً  
زمانَ شدا بالشعرِ في كلِّ منيرٍ  
وغنى هزازُ الشُّعْرِ في كلِّ روضةٍ  
وطوّفَ في سوحِ الفتوحاتِ أعصرُ  
ودُنْيَاكِ يا (بغدادُ) والدَّهرُ طيِّعُ

و "بغدادُ" يا قلبي الهوى والمعالمُ  
أضاءَ بها دهرُ العُلا والمحارمُ  
فهاهنا وأنتَ اليومَ جدلانُ ناعمُ  
من السُّودِّ والأمشاجِ نشوى تناعمُ  
تَهشُّ لها أرواحنا والمبايسمُ  
وخيرٌ جديدٍ ما بنته العزائمُ  
وحقُّ لماضيكِ الرُّقى والتَّنائمُ  
أخو (عَبْقَرٍ) والشعرُ بالمجدِ هائمُ  
وطرِبَتِ الأفلاكُ فيها الحائمُ  
تُساقُ إلى جنَّاتهنَّ الغنائمُ  
تَشِدُّ وتبني والحظوظُ كرائمُ

وبعد أن يتحدث عما نزل بالأمة من مصائب وآلام وما يتمنى من آمال للصحة والنهوض، يفصح عن حبه وحنينه إلى بغداد ويتغنى بجمال طبيعتها من نهر وأرض وخصب:

نشدتُكَ للسودِّ القديمِ وللهمى  
أدغدِغُها والفجرُ بعدُ ملثمٌ  
و "دجلة" يسري والنخيلُ مَهْومٌ  
وفوقَ حدودِ النَّهرِ راقصُ شعلةٍ  
وقلبي في أشواقِهِ نِضْوُ صَبَوِي

وبين ضلوعي من هواكِ عوالمُ  
وأوقظها والذكرياتُ حوالمُ  
وللسحرِ في أعطافهنَّ نواسمُ  
خواطِرُها تحتَ العُبابِ بوايسمُ  
وهل تستريحُ الطَّيْرُ وهي جوائِمُ ؟

(1) الألوبي: بغداد ص 306 — 309.

نَجِيَّةٌ أَعْرَاقِي وَعِطْرُ أَوَاصِرٍ      أَسْقِيكَ يَا "بَغْدَادُ" وَالوَجْدُ عَارِمٌ  
فَفِي "بَرْدِي" وَ"الْعَوَاطِينِ" مِشَاعِرٌ      تَرَفُّفٌ فَمَا تَقْوَى عَلَيْهَا السَّهَائِمُ  
نَحْنُ لِأَيَّامِ خَلَّتْ مِنْ عَهْدِيهَا      وَأَنْتِ نَجَاوَاهَا وَأَنْتِ الدَّعَائِمُ  
وَلَيْسَ سَبِيلُ الْحَبِّ هَمَجْرٌ وَفُرْقَةٌ      وَلَيْسَ شِعَارُ الْأَكْرَمِينَ سَخَائِمُ  
هَبِي لِلْعُلَا دَهْرًا يَضْرَعُ أَرْيِيئُهُ      تَطْيِبُ بِهِ أَجْيَالُنَا وَالْعَوَاصِمُ  
وَحَلِّي الْجَسَى يَحْرِقُ كُبُودَ عَوَازِلِ      وَتُشْرِقُ بِالْقَيْظِ الدَّفِينِ نَوَائِمُ  
وَنَحْنُ عَلَى حَالٍ مِنَ الْوُدِّ تَسْتَقِي      نَوَافِحُهُ أَنْجَادُنَا وَالتَّهَائِمُ  
فَقَدْ تَعَظَّمُ الْأَشْيَاءُ وَهِيَ صَغَائِرُ      وَقَدْ تَضَعَّرُ الْأَرْزَاءُ وَهِيَ عِظَائِمُ  
وَمَا الْحَزْمُ إِلَّا أَنْ نَضُمَّ شَتَاتِنَا      فَتَسْعَدَ أَوْطَانُ بِنَا وَمَشَائِمُ

ونختم هذه المختارات النبيلة من الحب والحنين إلى بغداد بأبيات في التغني بجمال بغداد وكرم أهلها، لم نقف على اسم قائلها: (1)

فَدَى لَكَ يَا بَغْدَادُ كُلَّ قَبِيلَةٍ      مِنْ الْأَرْضِ (إِلَّا ؟) خَطَّتِي وَدِيَارِيَا  
فَقَدْ طَفَّتْ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا      وَسَيَّرَتْ رَحَلِي بَيْنَهَا وَرِكَايَا  
فَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ بَغْدَادٍ مَنْزِلًا      وَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ دَجَلَةَ وَادِيَا  
وَلَا مِثْلَ أَهْلِهَا أَرْقَ شَائِلًا      وَأَعَدَبَ الْفَاطِمَاتُ وَأَحَلَى مَعَانِيَا

وبعد فهل هذا كل ما قيل في الحنين إلى بغداد وحب بغداد؟ أم أن هناك أشعاراً كثيرة وكثيرة جداً قيلت في بغداد وأهلها والحنين إلى العراق وطناً وشعباً وحضارة وأصالة، وقد اكتفينا من القلادة بما أحاط بالعنق.

(1) علي الطنطاوي: بغداد مشاهدات وذكريات ص 30، ط 2 دار المنارة، جدة 1990م.

## مصادر الكتاب ومراجعته

### (أ)

- \* أخبار الشعراء المحدثين في كتاب الأوراق-الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335 هـ). عني بنشره ج هيورث دن، ط دار المسيرة . بيروت 1979م.
- \* إخبار العلماء بأخبار الحكماء-القفطي: جمال الدين علي بن يوسف الشيباني (ت 646 هـ) . ط ليبسك 1903 ، وط مصر 1908م.
- \* أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار-الأزرقى: محمد بن عبد الله (ت 259 هـ). (مجلدان) ، تحقيق رشدي ملحس، ط 2 دار الثقافة . مكة 1960م.
- \* الأدب العصري في العراق العربي-رفائيل بطي: رفائيل بن بطرس بن عيسى (ت 1375هـ / 1956م) . ط مصر 1923م.
- \* أدب الغرباء-الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356 هـ). تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط دار الكتاب الجديد، بيروت 1972م.
- \* أدب الكتاب-الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335 هـ). تحقيق محمد بهجة الأثري ، ط القاهرة 1341هـ
- \* إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)-ياقوت الرومي الحموي (ت 626 هـ) . (7 أجزاء) ط مرجليوث 1907-1925م ، وتحقيق إحسان عباس. ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993 م.
- \* الأسرار المرفوعة-علي القاري:علي بن سلطان محمد الهروي (ت 1014 هـ). ط مؤسسة الرسالة، بيروت.
- \* أشجع السلمي حياته وشعره = شعر أشجع السلمي.
- \* أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم-الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335 هـ). وهو جزء من كتاب الأوراق، ط مصر 1936م، وبعناية هيورث دن ، ط دار المسيرة، بيروت 1979م.
- \* أشعار اللصوص-عبد المعين اللوحي. جمع وتحقيق لشعر اللصوص، ط دار طلاس، دمشق 1988م.
- \* الإصابة في تمييز الصحابة-ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت 852 هـ). (4 مجلدات) تحقيق علي محمد البجاوي، ط القاهرة 1970م. و (9 مجلدات) ط دار الكتب العلمية، بيروت 1995م.
- \* الأصمعيات-الأصمعي: عبد الملك بن قريب (ت 216 هـ). تحقيق أحمد شاکر وعبد السلام هارون ، ط دار المعارف ، مصر 1979م.
- \* الإعجاز والإيجاز-الباقلائي: أبو بكر محمد بن الطيب (ت 403 هـ). تحقيق أحمد صقر، ط 3 دار المعارف، القاهرة 1972 م.

- \* الأعلام-الزركلي: خير الدين محمود بن محمد (ت 1392 هـ / 1972م). الطبعة الخامسة . ط دار العلم للملايين، بيروت 1980م.
- \* الأغاني-الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356 هـ). (22-26 جزءاً) ط الساسي، مصر 1323هـ . وط دار الكتب المصرية . وط دار الكتب العلمية . بيروت 1992م.
- \* الاغتراب سيرة ومصطلح-محمود رجب. ط 4 دار المعارف، القاهرة 1993م.
- \* الاغتراب في الإسلام-فتح الله خليف. مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر العدد الأول 1979م
- \* الاغتراب في الشعر الأموي- فاطمة محمد السويدي. ط مكتبة مدبولي، القاهرة 1997م.
- \* الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر-أحمد النكلاوي. ط دار الثقافة العربية، القاهرة 1989م.
- \* الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر-نبيل اسكندر. ط دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية 1988م.
- \* الاغتراب والعبقرية-عادل الألوسي. ط دار الفكر القاهرة 2003 م.
- \* أمالي القالي (كتاب الأمالي والنوادر) — القالي: إسماعيل بن القاسم البغدادى (ت 356 هـ). دار الكتب المصرية . القاهرة 1926م . وط سنة 1953م.
- \* أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) — المرتضى: الشريف علي بن الحسين العلوي (ت 436 هـ). (4 أجزاء) ط مصر 1907 م . وأعيد طبعه في مجلدين سنة 1954م.
- \* الإمتاع والمؤانسة-التوحيدى: أبو حيان علي بن محمد (ت 400 هـ). (ثلاثة أجزاء) ط مصر 1939م.
- \* إنباه الرواة على أنباه النحاة-القفطي:جمال الدين علي بن يوسف (ت 646 هـ) (3 أجزاء) ط دار الكتب المصرية 1369-1374 هـ

## ( ب )

- \* البصائر والذخائر-التوحيدى: أبو حيان علي بن محمد (ت 400 هـ). مصر 1953م، وتحقيق إبراهيم الكيلاني. ط مكتبة أطلس، دمشق 1964م.
- \* بغداد في الشعر العربي. من تاريخها وأخبارها الحضارية -الآلوسي:جمال الدين مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد 1987م.
- \* بغداد مشاهدات وذكريات — علي الطنطاوي . ط2 دار المنارة . جدة 1990م.
- \* بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب-الآلوسي: محمود شكري (ت 1342هـ) (3 أجزاء) . تصحيح محمد بهجة الأثري، ط مصر 1924م.

- \* بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب-الآلوسي: محمود شكري (ت 1342هـ) (3 أجزاء) ، تصحيح محمد بهجة الأثري، ط مصر1924م.
- \* بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذهن والهاجس-القرطبي: يوسف بن عبد البر (ت 463هـ). تحقيق محمد مرسي الخولي، ط الدار المصرية . القاهرة د.ت. و ط دار الكتب العلمية، بيروت 1982م.
- \* البيان والتبيين-الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ). (4 أجزاء) تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط مكتبة الخانجي، مصر 1964م.

## ( ت )

- \* تاج العروس في جواهر القاموس-الزبيدي:محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ) ط بيروت، 1966 م.
- \* تاريخ ابن الأثير = الكامل.
- \* تاريخ الأدب العربي- بروكلمان: كارل (ت 1868هـ / 1956م)
- \* الترجمة العربية لمجموعة من المترجمين كل جزء مترجم من سنة 1961-1983
- \* تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام-الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ). ط السعادة ، مصر 67-1969 م.
- \* تاريخ بغداد -البغدادي: الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463 هـ). (14 مجلداً) ط مكتبة الخانجي ، القاهرة 1349هـ / 1941م.
- \* تاريخ التراث العربي-سزكين: محمد فؤاد. الترجمة العربية ، ط الرياض 1404 هـ / 1984م.
- \* تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)-الطبري: محمد بن جرير (ت 310 هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف، مصر 1967م.
- \* تاريخ العرب قبل الإسلام-جواد علي:جواد بن محمد علي (ت 1987م). (7 مجلدات) ط بغداد 50-1958 م.
- \* تحرير التحبير-العدواني:عبد العظيم بن عبد الواحدبن ظافر بن أبي الأصبغ (ت 654 هـ). تحقيق حنفي محمد شرف، ط القاهرة 1383هـ
- \* التذكرة الحمدونية-ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد بن علي(ت 562 هـ) تحقيق إحسان عباس وبكر عباس ، ط دار صادر ، بيروت 1996م.
- \* التصوف ، الثورة الروحية في الإسلام-أبو العلا عفيفي، ط القاهرة 1963م.
- \* تهذيب تاريخ دمشق-ابن عساكر: ثقة الدين أبو القاسم علي بن عساكر (ت 571 هـ). ترتيب وتهذيب الشيخ عبد القادر بدران (ت 1346 هـ). (7 أجزاء) ، مطبعة روضة الشام 1329هـ. وط دار إحياء التراث ، بيروت 1987م.
- \* تهذيب اللغة-الأزهري: محمد بن أحمد (ت 370 هـ). ط القاهرة 1966م.

### (ث)

- \* ثمار القلوب في المضاف والمنسوب -الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار نهضة مصر، القاهرة 1965 م.

### (ج)

- \* جمع الأصول-الكمشخانوي: أحمد بن مصطفى (ت 1311هـ). ط الحلبي، القاهرة، د.ت.
- \* جمهرة أشعار العرب -القرشي: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت ق 4 هـ).
- \* تحقيق علي محمد البجاوي، ط القاهرة 1387 هـ / 1967م.
- \* جمهرة أنساب العرب-ابن حزم: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت 456 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط دار المعارف، مصر 1971م.
- \* جمهرة اللغة-ابن دريد: محمد بن الحسن (ت 321 هـ). نشر كرنيكو، ط حيدر آباد 1344هـ.

### (ح)

- \* حاجب الفيل وما تبقى من شعره-حاجب الفيل بن ذبيان المازني (ت 120 هـ). جمع نوري القيسي، ط مجلة المورد، م 15، العدد الأول بغداد 1986م.
- \* حلية المحاضرة -الحامي: أبو علي محمد بن الحسن (ت 388 هـ). تحقيق هلال ناجي، ط بيروت 1978م. وتحقيق جعفر الكتاني، بغداد 1979.
- \* حماسة البحري-البحري: أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت 284 هـ). تحقيق لويس شيخو 1910م. و ط دار الكتب العلمية، بيروت 1998م.
- \* الحماسة البصرية-البصري: صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين (ت 659 هـ). (جزآن) تحقيق مختار الدين أحمد "حيدرآباد 1964م.
- \* الحماسة الشجرية-ابن الشجري: هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت 542 هـ) ط حيدرآباد 1345 هـ، و تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، ط دمشق 1970م.
- \* حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء -العبدلكاني: أبو محمد عبد الله بن محمد الزوزني (ت 431 هـ). تحقيق محمد جبار المعبيد، ط وزارة الثقافة، بغداد 1978م.
- \* الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الأدب وخبة ديوان العرب)-التادلي: أحمد بن عبد السلام (ت 609 هـ). تحقيق محمد رضوان الداية، ط دار الفكر، دمشق 1991م.

- \* الحنين إلى الأوطان-موسى بن عيسى الكسروي (ت ق 3 هـ). ينسب إلى الجاحظ. راجع رسائل الجاحظ.
- \* الحنين إلى الأوطان-ابن المرزبان: محمد بن سهل بن المرزبان البغدادي (ت330هـ) تحقيق جليل العطية . ط عالم الكتب . بيروت 1987م.
- \* الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي-محمد إبراهيم حور. ط 2 دار القلم. الإمارات العربية المتحدة. 1989م.
- \* الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث-ماهر حسن فهمي. ط معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة 1970م.
- \* الحيوان للجاحظ = كتاب الحيوان.

### (خ)

- \* خاص الخاص -الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429هـ). ط دار مكتبة الحياة . بيروت 1966م.
- \* خزانة الأدب-البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت 1093 هـ). (4 مجلدات) ط مصر 1299هـ . و تحقيق عبد السلام هارون (13 مجلداً) ط الخانجي . مصر 86-1989م.

### (د)

- \* دراسات في سيكولوجية الاغتراب-عبد اللطيف محمد خليفة. ط دار غريب . القاهرة دت.
- \* الدر الفريد وبيت القصيد-محمد بن أيدمر (ت 710 هـ). (5 مجلدات) مخطوط . تصوير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية . فرانكفورت 1988 - 1989م.
- \* دراسات في سيكولوجية الاغتراب-عبد اللطيف محمد خليفة. ط دار غريب . القاهرة 2003م.
- \* الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة-السيوطي:جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ). ط الحلبي . مصر دت.
- \* ديوان الأبيوردي-الأبيوردي:أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق (ت 705هـ). (جزآن) تحقيق عمر الأسعد. ط 2 مؤسسة الرسالة . بيروت 1987م.
- \* ديوان أحمد شوقي (الشوقيات)- أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي (ت 1351هـ / 1932م). ط المكتبة التجارية بمصر دت. صورته دار الكتاب العربي. بيروت دت.
- \* ديوان الأحوص الأنصاري-الأحوص: عبد الله بن محمد الأنصاري (ت 105هـ) تحقيق عادل سليمان . ط الخانجي . مصر 1990م.
- \* ديوان أسامة بن منقذ- أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبى الشيزري (ت 584هـ). تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد . ط 2 عالم الكتب. بيروت 1983.

- \* ديوان الأعشى - الأعشى: ميمون بن قيس (ت 8 هـ). تحقيق جابر (الصباح المنير) ط لندن 1928 هـ. و تحقيق محمد محمد حسين، ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1983 م.
- \* ديوان أعشى همدان - الأعشى: عبد الرحمن بن الحارث (ت 83 هـ). تحقيق حسن أبو ياسين، ط دار العلوم، الرياض 1983 م.
- \* ديوان امرئ القيس - امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت 80 ق هـ / 545 م). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، مصر 1984 م.
- \* ديوان أوس بن حجر - أوس بن حجر بن مالك التميمي (ت 2 ق هـ / 620 م) تحقيق محمد يوسف جُم، ط دار صادر، بيروت 1967 م.
- \* ديوان البحترى - البحترى: الوليد بن عبيد (ت 284 هـ). تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط دار المعارف، القاهرة 63-1978 م. وط بيروت 1999 م.
- \* ديوان بشار بن برد - بشار بن برد العفيلي (ت 167 هـ). تحقيق الطاهر بن عاشور، ط تونس 1976 م.
- \* ديوان بشر بن أبي خازم - الأسدي: بشر بن أبي خازم الأسدي (ت 22 ق هـ / 598 م) تحقيق عزة حسن، ط 2 دار الشرق العربي، بيروت 1995 م.
- \* ديوان تأبط شرراً وأخباره - تأبط شرراً: ثابت بن جابر (ت 80 ق هـ) جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكِر، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984 م.
- \* ديوان أبي تمام - الطائي: حبيب بن أوس (ت 231 هـ). شرح الخطيب التبريزي، بعناية راجي الأسمر ط 2 دار الكتاب العربي، بيروت 1994 م.
- \* ديوان جرير - جرير بن عطية بن الخطفي (ت 110 هـ). ط دار صادر، بيروت 1960 م.
- \* ديوان جميل بثينة - جميل بن عبد الله بن معمر العذري (ت 82 هـ). ط عالم الكتب، بيروت 1996 م.
- \* ديوان الجواهري - الجواهري: محمد مهدي (ت 1996 م) الأعمال الشعرية الكاملة، ط 2 دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد 2001 م.
- \* ديوان حاتم الطائي - الطائي: حاتم بن عبد الله بن سعد (ت 46 ق هـ / 578 م). بعناية حنانصر الحتي، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997 م.
- \* ديوان حسان بن ثابت - حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي (ت 54 هـ). تحقيق وليد عرفات، ط دار صادر، بيروت 1974 م.
- \* ديوان الخطيئة - الخطيئة: جرول بن أوس (ت 30 هـ). شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه، ط القاهرة 1958 م.
- \* ديوان حميد بن ثور الهلالي - حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري (ت 30 هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1951 م.
- \* ديوان الخوارج - جمع وتحقيق إحسان عباس، ط دار الشروق، بيروت 1982 م.

- \* ديوان دعبل الخزاعي (شعر دعبل الخزاعي) - دعبيل بن علي بن رزين (ت 246هـ) جمع وتحقيق عبد الصاحب الدجيلي، ط 1962م، ط 2 دار الكتاب اللبناني، بيروت 1989م، وتحقيق عبد الكريم الأشتري، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1964م.
- \* ديوان أبي دهب الجمحي - الجمحي: وهب بن زمعة بن أسد القرظي (ت 63هـ). تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، ط النجف 1972م.
- \* ديوان ذي الرمة: ذو الرمة: غيلان بن عقبة العدوي (ت 117 هـ). (3 مجلدات) تحقيق عبد القدوس أبو صالح، ط 3 مؤسسة الرسالة، بيروت 1993م.
- \* ديوان الراعي النميري - الراعي: عبيد بن حصين بن معاوية (ت 90 هـ). تحقيق راينهرت فايبرت، ط دار صادر، بيروت 1980م.
- \* ديوان الرصافي - الرصافي: معروف بن عبد الغني البغدادي (1364هـ / 1945م) المجموعة الكاملة، ط دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت.
- ديوان ابن الرومي - ابن الرومي: علي بن العباس بن جريح (ت 283 هـ). تحقيق حسين نصار، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1073م، و ط دار الكتب العلمية، بيروت 1994م.
- \* ديوان سحيم - سحيم عبد بني الحسحاس (ت 40 هـ). تحقيق عبد العزيز الميمني، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1950م.
- \* ديوان الشافعي - الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت 204 هـ). جمع محمد عفيف، ط دار الجبل، بيروت 1974م، وط محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة 1985م.
- \* ديوان الشبلي - الشبلي: أبو بكر دلف بن جحدر (ت 334 هـ). جمع وتحقيق كامل مصطفى الشبيبي، ط بغداد 1967م.
- \* ديوان الشريف الرضي - الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى (ت 406 هـ). ط دار صادر، بيروت 1307هـ.
- \* ديوان الشنفرى = شعر الشنفرى الأزدي.
- \* ديوان الصافي النجفي - الصافي النجفي: أحمد بن علي بن صافي (ت 1977م). المجموعة الكاملة لأشعار أحمد الصافي النجفي غير المنشورة، قدم لها جلال خياط، ط وزارة الإعلام، بغداد 1977.
- \* ديوان صردر - صردر: محمد بن عبد الله (ت 465 هـ). ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1934م.
- \* ديوان الصنوبري - الصنوبري: أحمد بن محمد (ت 334 هـ). تحقيق إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت 1998م.
- \* ديوان طرفة بن العبد - طرفة بن العبد بن سفيان البكري (ت 60 ق هـ / 564م). ط دار صادر، بيروت 1968م.

- \* ديوان الطرماح-الطرماح بن حكيم الطائي (ت 125 هـ). تحقيق عزة حسن . ط2 دار الشرق العربي. بيروت 1994 م.
- \* ديوان الطغرائي-الطغرائي: أبو إسماعيل الحسن بن علي (ت 515 هـ). تحقيق جيسى الجبوري وعلي جواد الطاهر . ط وزارة الثقافة. بغداد 1976م.
- \* ديوان طهمان بن عمرو الكلابي -طهمان بن عمرو (ت 80 هـ). تحقيق عبد الجبار المعبد . ط بغداد 1968م.
- \* ديوان عبد المحسن الكاظمي-الكاظمي:أبو المكارم عبد المحسن بن محمد بن علي (ت 1354 هـ). الأعمال الشعرية الكاملة . تحقيق حكمت الجادرجي . ط دار الحكمة . لندن 2002م.
- \* ديوان عبيد بن الأبرص-عبيد بن الأبرص الأسدي (ت 25 ق هـ / 597م) ط ليدن 1913 م . وتحقيق حسين نصار . ط الحلبي . مصر 1957م.
- \* ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات-ابن الرقيات (ت 75 هـ). تحقيق محمد يوسف نجم. ط دار صادر. بيروت دت.
- \* ديوان أبي العتاهية-أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم (ت 210 هـ). تحقيق مجيد طراد. ط دار الكتاب العربي. بيروت 1997م.
- \* ديوان العرجي -العرجي: عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان (ت 120 هـ). تحقيق سجيح الجبيلي . ط دار صادر. بيروت 1998م.
- \* ديوان عروة بن حزام — عروة بن حزام العذري (ت 30 هـ). تحقيق إنطوان القوال . ط دار الجيل بيروت 1995م.
- \* ديوان عروة بن الورد- عروة بن الورد بن زيد العبسي(ت 30 ق هـ / 594م). شرح ابن السكيت. تحقيق راجي الأسمر.ط دار الكتاب العربي.بيروت 1997م
- \* ديوان علي بن الجهم-علي بن الجهم بن بدر القرشي (ت 249 هـ). تحقيق خليل مردم . ط بيروت 1980م.
- \* ديوان عمر بن أبي ربيعة — المخزومي: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي (ت 93 هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة 1965م.
- \* ديوان عنتره العبسي-عنتره بن شداد العبسي (ت 22 ق هـ / 622م). ط دار الكتب العلمية . بيروت 1995م.
- \* ديوان أبي فراس الحمداني-الحمداني: الحارث بن سعيد (357 هـ). تحقيق سامي الدهان . مطبوعات المعهد الفرنسي. بيروت 1994م.
- \* ديوان الفرزدق-الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة (ت 110 هـ). تحقيق عبد الله الصاوي. ط القاهرة 1936م . و ط دار صادر. بيروت دت.
- \* ديوان القتال الكلابي -عبد الله بن مجيب الكلابي (110 هـ). تحقيق إحسان عباس. ط دار الثقافة. بيروت 1961م.

- \* ديوان قيس بن الخطيم-قيس بن الخطيم بن عددي الأوسي (ت 2 ق هـ / 620 م) تحقيق ناصر الدين الأسد ، ط دار صادر ، بيروت 1991م.
- \* ديوان قيس بنى- قيس بن ذريح (ت 69هـ). تحقيق عفيف حاطوم ، ط دار صادر ، بيروت 1998م.
- \* ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى)-العامري: قيس بن الملوح بن مزاحم (ت 68 هـ). تحقيق عبد الستار فراج ، ط مكتبة مصر القاهرة 1965م.
- \* ديوان كُثَيْر عَزَّة-كثير بن عبد الرحمن الخزاعي (ت 105 هـ). تحقيق إحسان عباس ، ط دار الثقافة ، بيروت 1971م ، و ط دار الجيل ، بيروت 1995م.
- \* ديوان لبيد بن ربيعة-العامري: لبيد بن ربيعة العامري (ت 40 هـ). تحقيق إحسان عباس ، ط الكويت 1962م.
- \* ديوان اللصوص-جمع محمد نبيل طريقي. ط دار الكتب العلمية ، بيروت 2004 م.
- \* ديوان المتلمس-المتلمس: جرير بن عبد المسيح (ت 50 ق هـ / 672م). ط لبيزج ، و تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة 1970م.
- \* ديوان المتنبي-المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت 354 هـ). شرح عبد الرحمن البرقوقي ، ط أمصر 1930م ، ط 2 دار الكتاب العربي ، بيروت 1986م.
- \* ديوان المعاني-العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت 395 هـ). ط مكتبة القدسي. القاهرة 1352 هـ. و ط دار الكتب العلمية ، بيروت 1994م.
- \* ديوان ابن المعتز-ابن المعتز: عبد الله بن محمد بن المعتز العباسي (ت 296هـ). صنعة الصولي. تحقيق يونس السامرائي. ط عالم الكتب. بيروت 1997م.
- \* ديوان ابن مفرغ الحميري-الحميري: يزيد بن زياد (ت 69 هـ). تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، ط 3 مؤسسة الرسالة، بيروت 1993 م.
- \* ديوان النابغة الذبياني-الذبياني: زياد بن معاوية (ت 18 ق هـ / 604 م). تحقيق الطاهر بن عاشور ، تونس 1976م.
- \* ديوان أبي نواس-أبو نواس: الحسن بن هاني (ت 196 هـ). تحقيق أحمد عبد الجيد الغزالي ، ط مصر 1953م.
- \* ديوان وضاح اليمن- عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال (ت 95 هـ). جمع وتحقيق محمد خير البقاعي . ط دار صادر 1996م.

## (ج)

- \* رحلة ابن معصوم (سلوة الغريب)- ابن معصوم: علي بن أحمد بن محمد الحسيني (ت 1119هـ). تحقيق شاكر هادي شكر. مجلة المورد 2/8. بغداد 79-1980م.
- \* رسائل ابن باجة الإلهية-ابن باجة: محمد بن يحيى (ت 533 هـ). تحقيق ماجد فخري ، بيروت 1968م.

- \* رسائل الجاحظ (رسالة الحنين إلى الأوطان) - الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ). تحقيق عبد السلام هارون . ط الخانجي . مصر 1384 هـ / 1965 م.
- \* رغبة الآمل من كتاب الكامل - المرصفي: سيد بن علي المرصفي (ت 1349 هـ). (8 أجزاء) ط مصر 46-1348 هـ
- \* روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - البستاني: أبو حاتم محمد بن حبان (ت 354 هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين . ط القاهرة 1949 م.

## ( ز )

- \* زهر الآداب وثمر الألباب - الحصري: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت 453 هـ). تحقيق زكي مبارك . ط 4 دار الجيل . بيروت 1972 م.
- \* الزهرة - الأصبهاني: أبو بكر محمد بن داود (ت 297 هـ). ط الآباء اليسوعيين. بيروت 1932 م . وفي جزأين تحقيق إبراهيم السامرائي. الطبعة الثانية 1985 م.

## ( س )

- \* سقط الزند - المعري: أبو العلاء أحمد بن عبد الله (ت 449 هـ). شرح أحمد شمس الدين. ط دار الكتب العلمية. بيروت 1990 م
- سمط اللآليء - البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 478 هـ). (مجلدان) تحقيق عبد العزيز الميمني . ط لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة 1936 م.
- \* سنن الترمذي - الترمذي: محمد بن عيسى (ت 279 هـ). تحقيق أحمد محمد شاكر . ط القاهرة 1930 م.
- \* السيرة النبوية - ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت 218 هـ). (4 أجزاء) تحقيق مصطفى السقا والأبياري وشلبي. ط مصر 1936 م.

## ( ش )

- \* شجرة العذراء - توفيق الفكيكي: توفيق بن علي بن ناصر (ت 1969 م). ط مطبعة الإرشاد. بغداد دت.
- \* شرح أشعار الهذليين - السكري: الحسن بن الحسين (ت 275 هـ). تحقيق عبد الستار فراج . ط مصر 1965 م.
- \* شرح ديوان الحماسة - التبريزي: الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي (ت 502 هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة حجازي. مصر دت.
- \* شرح ديوان الحماسة - المرزوقي: أحمد بن محمد (ت 421 هـ). تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . ط القاهرة 1953 م.
- \* شعر أشجع السلمي (أشجع السلمي حياته وشعره) - السلمي: أشجع بن عمرو (ت 195 هـ). جمع وتحقيق خليل بنيان الحسون . ط دار المسيرة . بيروت.

- \* شعر الحارث المخزومي-المخزومي: الحارث بن خالد (ت 85 هـ) تحقيق يحيى الجبوري . ط دار القلم، الكويت 1983م.
- \* شعر أبي حبة النميري-النميري: الهيثم بن الربيع بن زرارة (ت 183 هـ). جمع وتحقيق يحيى الجبوري ، ط وزارة الثقافة، دمشق 1975 م.
- \* شعر الشنفرى الأزدي-الشنفرى: عمرو بن مالك(ت 70 ق هـ).  
لأبي فهد مؤرج بن عمرو السدوسي (ت 195 هـ). تحقيق علي ناصر غالب، من مطبوعات مجلة العرب، الرياض 1988م.
- \* شعر الصمة القشيري (الصمة القشيري حياته وشعره)-الصمة بن عبد الله القشيري (ت 95 هـ). جمع وتحقيق خالد الجبر ، ط جامعة البترا، دار المناهج عمان 2003م.
- \* شعر طريح النقي-الثقي: طريح بن إسماعيل (ت 165 هـ). جمع وتحقيق بدر أحمد ضيف، ط دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية 1987م.
- \* شعر عبد الله بن الزبير الأسدي-الأسدي: عبد الله بن الزبير (ت 75 هـ). تحقيق يحيى الجبوري ، ط وزارة الإعلام، بغداد 1974م.
- \* شعر عبد الله بن همام السلولي-السلولي: عبد الله بن همام (100 هـ). جمع وتحقيق وليد السراقبي ، ط دبي.
- \* شعر عمرو بن أحمر- عمرو بن أحمر الباهلي (ت 65 هـ). جمع وتحقيق حسين عطوان ، ط مجمع اللغة العربية، دمشق د.ت.
- \* شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي-الزبيدي: عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله (ت 21 هـ). تحقيق مطاع طرابيشي ، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1985م.
- \* شعر المتوكل الليثي- الليثي: عبد الله بن نهشل بن مسافع (ت 85 هـ). تحقيق يحيى الجبوري، ط مكتبة الأندلس، بغداد 1971م.
- \* شعر محمد بن بشير الخارجي- محمد بن بشير (ت 130 هـ). تحقيق محمد خير البقاعي ، ط دار قتيبة ، دمشق 1985م.
- \* شعر ابن ميادة- ابن ميادة : الرماح بن أبرد الذبياني (ت 149 هـ). تحقيق حنا حداد ، ط مجمع اللغة العربية ، دمشق 1982م.
- \* شعر هدبة بن الخشرم العذري-هدبة بن الخشرم بن كرز (ت 50 هـ). تحقيق يحيى الجبوري ، ط دار القلم ، الكويت 1986م.
- \* شعر نصيب بن رباح-نصيب بن رباح: أبو محجن مولى عبد العزيز بن مروان (ت 108 هـ) . جمع وتحقيق داو سلوم ، ط بغداد 1967 م.
- \* شعر يزيد بن الطثرية-ابن الطثرية: يزيد بن سلمة (ت 126 هـ). جمع حاتم الضامن ، ط بغداد 1973م.
- \* الشعر والشعراء-ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ). ط ليدن 1902م ، و تحقيق أحمد شاكر ، ط دار المعارف، مصر 1966م.

- \* الشعر العراقي، أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر— يوسف عز الدين. ط الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1965م.
- \* شعراء أمويون-جمع نوري القيسي (ت 1994م). ط جامعة الموصل 1976، وط بغداد 1982م.
- \* شعراء بني قُشَيْر في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي-عبد العزيز محمد الفيصل. ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1978م.
- \* الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي-عبد بدوي. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1988م.
- \* شعراء عباسيون-غوستاف غرونيوم (جمع وتحقيق). ترجمة محمد يوسف نجم. ط دار مكتبة الحياة، بيروت 1959.
- \* شعراء النصرانية قبل الإسلام-شيخو: لويس شيخو اليسوعي (ت 1927م). ط مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1926م. ط2 دار المشرق، بيروت 1967م.

### (ص)

- \* الصباح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشى الآخرين. ط مطبعة أدلف هلز هوسن، بيانه 1927م، تصوير مكتبة ابن قتيبة، الكويت 1993م.
- \* الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)-الجهوري: إسماعيل بن حماد (ت 393هـ). تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين، بيروت 1979م.
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح)-البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ). ط أوربا، و ط البابي الحلبي، القاهرة د.ت.
- \* صحيح مسلم (الجامع الصحيح)-مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط القاهرة 1956م.

### (ط)

- \* طبقات الشعراء-ابن المعتز: عبد الله بن المعتز العباسي (ت 296هـ). ط مصر 1955م، و تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط دار المعارف، مصر 1976م.
- \* طبقات فحول الشعراء-الجمحي: محمد بن سلام (ت 231هـ). تحقيق محمود محمد شاكر، ط دار المعارف، القاهرة 1952، و ط المدني 1972.
- \* الطرائف الأدبية-جمع وتحقيق عبد العزيز الميمني. ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1937م.

### (ع)

- \* عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات-القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ). ط الحلبي، مصر 1956م.

- \* العزلة-الخطابي: أحمد بن محمد البنداري (ت 388 هـ). تحقيق عبد الغفار سليمان، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1985م.
- \* العقد الفريد-ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت 327 هـ). تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1965م، و ط دار الكتب العلمية، بيروت 1997م.
- \* العمدة في محاسن الشعر وآدابه-ابن رشيق القيرواني: أبو علي الحسن بن رشيق (ت 456 هـ). (جزآن) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط بيروت 1972م، و تحقيق محمد فرقان، ط دار المعرفة، بيروت 1988م.
- \* عيون الأخبار-ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276 هـ). ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1973 م.

### ( غ )

- \* غرائب الاغتراب -الألوسي:أبو النناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت 1270 هـ). ط مطبعة الشايندر، بغداد 1327هـ
- \* الغربية في الشعر الجاهلي- عبد الرزاق الخشروم. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1982م.
- \* الغصن الذهبي-فريزر.ترجمة أحمد أبو زيد وآخرين، ط مصر 1971م.

### ( ف )

- \* فتوح البلدان-البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ). تحقيق صلاح الدين المنجد، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1957م.
- \* الفتوحات المكية- ابن عربي: محيي الدين محمد بن علي الأندلسي (ت 638 هـ). ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985 م.
- \* فصوص الحكم-القشيري: عبد الرحيم بن عبد الكريم (ت 514 هـ). ط القاهرة 1946م.
- \* فضائل مكة والسكن فيها-الحسن البصري:أبو سعيد الحسن بن يسار(ت 110 هـ) مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد 14، المجلد الأول 1970—1971م.
- \* الفهرست-ابن النديم: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب البغدادي (ت 380 هـ). تحقيق فلوجل، ط ليبسك 1872م، و تحقيق رضا جدد، طهران دت.
- \* فهرسة ما رواه عن شيوخه-ابن خير الأشبيلي: أبو بكر محمد (ت 575 هـ). ط بيروت 1962م.

### ( ق )

- \* القاموس المحيط-الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ). ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1986م.

## ( ك )

- \* الكامل في التاريخ-ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد الجزري الشيباني (ت 630 هـ . ( 12 جزءاً ) ط مصر 1303 هـ . و ط دار الكتب العلمية. بيروت 1995م.
- \* الكامل في اللغة والأدب-المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي (ت 286 هـ ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة. ط القاهرة 1956م . و تحقيق محمد الدالي . ط مؤسسة الرسالة . بيروت 1997م.
- \* كتاب الحيوان-الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ ). تحقيق عبد السلام هارون . ط الخانجي . مصر 1967م.
- \* كتاب الشوق والفرق-ابن المرزبان: محمد بن سهل بن المرزبان البغدادي (ت 330 هـ ). تحقيق جليل العطية . ط دار الغرب الإسلامي . بيروت 1988م.
- \* كتاب الكربة في وصف حال أهل الفرية-ابن رجب الحنبلي: عبد الرحمن بن أحمد (ت 795 هـ ). ط القاهرة د.ت.
- \* كتاب النخل-ابن وحشية: أحمد بن علي (ت بعد 291 هـ ). وهو جزء من كتاب الفلاحة تحقيق إبراهيم السامرائي . مجلة المورد. بغداد 1971م.
- \* كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس-العجلوني: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي (ت 1162 هـ ). ط مكتبة القدسي. القاهرة 1350هـ
- \* الكشكول- العاملي: بهاء الدين محمد بن حسين (ت 1031 هـ ). ط دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة . بيروت د.ت.

## ( ل )

- \* لسان العرب-ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711 هـ ). ط دار صادر بيروت 1968 م.

## ( م )

- \* مآثر الإنافة في معالم الخلافة-القلقشندي: أحمد بن علي (ت 821 م ). تحقيق عبد الستار فراخ . ط الكويت 1964م.
- \* مجمع الأمثال-الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد (ت 518 هـ ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . ط دار الفكر . بيروت 1972م.
- \* المجموع اللطيف-الأفطسي: محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني (ت 515 هـ). تحقيق محيي الجبوري . ط دار الغرب الإسلامي. بيروت 2005م.
- \* الحاسن والأضداد-المنسوب للجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ ). تحقيق فلوتن. مصورة عن طبعة ليدن 1900 م . و ط مكتبة الخانجي . مصر 1324 هـ

- \* الحاسن والمساويء-البيهقي: إبراهيم بن محمد (ت 320 هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط نهضة مصر ، القاهرة 1961م.
- \* محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء-الراغب الأصفهاني: أبو القاسم حسين بن محمد (ت 502 هـ). (جزآن ) ط مصر 1326 هـ . وط مكتبة الحياة، بيروت د.ت.
- \* المحبر -ابن حبيب: محمد بن حبيب البغدادي (ت 245 هـ). تصحيح إيلز شتيتير. ط دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن 1942 م.
- \* محن الشعراء والأدباء — يحيى الجبوري. ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 2003 م.
- \* المخصص-ابن سيده: علي بن إسماعيل (ت 458 هـ). تحقيق الشنقيطي. وعاونته فيه الشيخ عبد الغني محمود. ط بولاق 1321 هـ . نسخة مصورة . المكتب التجاري، بيروت.
- \* مدارج السالكين-ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر (ت 751 هـ). ط دار الكتب العلمية، بيروت 1980م.
- \* مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية-شوقي عبد الحكيم. ط بيروت 1978م.
- \* المرأة في الشعر الجاهلي-الخوفي: أحمد محمد. ط نهضة مصر ، القاهرة 1954م.
- \* مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739 هـ). تحقيق علي الجاوي. ط الحلبي ، مصر 1954م.
- \* المسك الأذفر-الآلوسي: محمود شكري (ت 1342 هـ). ط بغداد 1348 هـ مصارع العشاق-السراج القاري: جعفر بن أحمد بن الحسين (ت 599 هـ).
- \* ط دار صادر، بيروت 1958 م وتحقيق بسمة الدجاني. ط وزارة الثقافة ، عمان 2004م.
- \* مطالع البدور في منازل السرور-الغزولي: علاء الدين علي بن عبد الله البهائي (ت 815 هـ). مطبعة الوطن القاهرة 1300 هـ .
- \* مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي-أنور أبو سويلم. ط دار عمان، عمان 1991م.
- \* معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.
- \* معجم البلدان-ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626 هـ). تحقيق وستنفيلد. ط ليبسك 66-1970م . وط دار صادر، بيروت 1957م.
- \* معجم الشعراء-المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت 384 هـ). تحقيق عبد الستار أحمد فراج . ط دار الكتب العربية، القاهرة 1960م.
- \* معجم مقاييس اللغة-ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ). تحقيق عبد السلام هارون. ط الحلبي، مصر 1366 هـ
- \* المعجم الوسيط-إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة. إخراج إبراهيم أنيس. وعبد الحليم منتصر. وعطية الصواحي. ومحمد خلف الله أحمد. ط القاهرة 60-1961م.
- \* المفضليات-الضبي: الفضل بن محمد بن يعلي بن عامر الضبي (ت 168 هـ). تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . ط دار المعارف، مصر 1976م.

- \* المنازل والديار-أسامة بن منقذ: أسامة بن مرشد بن علي الكناني الشيزري (ت 584 هـ). ط 2، تحقيق مصطفى حجازي، ط القاهرة 1992م.
- \* المنقذ من الضلال-الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت 505 هـ). تحقيق عبد الحليم محمود، ط دار الكتب الحديثة، القاهرة 1900م.
- الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء-المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت 384 هـ). ط السلفية مصر 1385 هـ. و تحقيق علي محمد الجاوي، ط نهضة مصر، القاهرة 1965 م.

## ( ن )

- \* نزهة الألباء في طبقات الأدباء-الأنباري: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 577 هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار نهضة مصر، القاهرة 1967 م.
- \* نسب قریش-المصعب الزبيري: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت 236 هـ). تحقيق ليفي بروفنسال، ط دار المعارف، القاهرة 1976 م.
- \* نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب-المقري: أحمد بن محمد التلمستاني (ت 1041 هـ). تحقيق إحسان عباس، ط بيروت 1968م.
- \* نهج البلاغة-المنسوب لعلي بن أبي طالب، جمعه الشريف الرضي: محمد بن الحسين (ت 406 هـ). (4 أجزاء) تحقيق محمد عبده، ط دار المعرفة، بيروت، وط مؤسسة المعارف، بيروت 1996م

## ( و )

- \* الوافي بالوفيات-الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ). طبعت أربعة أجزاء في استانبول سنة 1931م، وصدر 27 جزءاً عن دار النشر فرانز شتاينر، فسبادن 61-1999م، وكل جزء بتحقيق محقق معروف.
- \* وفيات الأعيان — ابن خلكان: أحمد بن محمد (ت 681 هـ). ط مصر 1310 هـ، و تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت 1972 م.

## ( ي )

- \* ينيمة الدهر في محاسن أهل العصر-الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ). (4 أجزاء) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط السعادة، مصر 1956م، و تحقيق مفيد قمبحة، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1983م.

رَفْعٌ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

# فهارس الكتاب



## فهرس موضوعات الكتاب

المقدمة ..... 8-5

### مهدات

29-9	..... الحنين إلى الأوطان
12	..... ما قبل في الحنين إلى الأوطان
14	..... من ألف في الحنين والغربة وما إليها
16	..... معنى الغربة والافتراق
18	..... مظاهر الغربة
20	..... الغربة ومظاهرها في الجاهلية
26	..... غربة المرأة

### الفصل الأول

50-31	..... شعر الحنين والغربة في الجاهلية وصدر الإسلام
40	..... غربة وافتراق الصعاليك
48	..... غربة اللون

### الفصل الثاني

102-51	..... الحنين والغربة في الشعر الأموي
53	..... دواعي الغربة
	..... أبو ذهبل الجمحي - عمرو بن أحمر الباهلي - نصيب بن رباح -
	..... القتال الكلابي - مالك بن الربيع
58	..... غربة الموت:
	..... بشر بن أبي خازم - أبو الطمحن القيني - مالك بن الربيع - الشنفرى
60	..... المرأة وافتراق الرجل
62	..... غربة الجند الفاتح

- 70 ..... شعر التظلم من السلاطين والولاة؛  
عُقبية بن هبيرة الأسدي-الراعي النميري-عمرو بن أحمر الباهلي -  
مالك بن الربيع.
- 77 ..... من عانى الحنين والغربة من شعراء العصر الأموي؛  
هدبة بن الحنشرم العذري- قيس بن الملوح-مالك بن الربيع-يزيد بن  
مفرغ الحميري-أبو قطيفة- ابن قيس الرقيات-طهمان بن عمرو  
الكلابي-الشمردل اليربوعي-أعشى همدان- جميل بن معمر  
العذري-الحارث المخزومي- وضاح اليمن- عمر بن أبي ربيعة-  
الصمة القشيري-عبد الله بن همام السلولي- الخطيم المحرزي-  
كثير عزة- الأحوص الأنصاري- الطراح بن حكيم- نصيب بن  
رياح-سعيد بن عبد الرحمن بن حسان - ذو الرمة- العرجي- أبو  
دهبل الجمحي- يزيد بن الطثرية — محمد بن بشير الخارجي-  
طريح بن إسماعيل.

### الفصل الثالث

- 134-103 ..... الحنين والغربة في الشعر العباسي  
ابن ميادة - بشار بن برد-ابن المولى محمد بن عبد الله -جحى بن طالب  
الحنفي- أبو حبة النميري- أشجع السلمي - سفيان بن عيينة-عُقبية  
بنت المهدي-كلثوم بن عمرو العتّابي - عوف بن محمّم- أبو تمام- علي  
بن الجهم- الحسن بن مخلد بن الجراح- خالد بن يزيد الكاتب-البحثري-  
الحسن بن محمد المهلبى- المتنبي- أبو فراس الحمداني-علي بن محمد  
النهامي-أسامة بن منقذ.
- 125 ..... من أثر الغربة في سبيل الغنى؛  
إبراهيم بن العباس الصولي-شكر بن أبي الفتوح السليماني-  
محمد بن عبد الله صردر-البحثري.
- 127 ..... التنفيس عن الكربة في الغربة بالكتابة على الأبنية والجدران؛

## الفصل الرابع

- 200-135 ..... **الغربة في التراث الإسلامي**
- 137 ..... معنى الغربة في الإسلام:
- 143 ..... مؤلفات المسلمين في الغربة
- 145 ..... غربة أبي حيان التوحيدي:
- ..... حقيقة تدين أبي حيان- إحراق كتبه- من كتاب الإشارات الإلهية.
- 155 ..... مثيرات الحنين والغربة:
- ..... العين والدموع-الريح-البرق-جُوم السماء-الحمام-الإبل.
- 163 ..... النخلة والحنين إلى الوطن
- 173 ..... الحنين إلى نجد في الشعر العربي:
- ..... الصمة القشيري- يزيد بن الطثيرة-الأبيوردي- حجازيات الشريف الرضي-نجد في شعر الطغرائي-نجد في كتاب المنازل والديار.

## الفصل الخامس

- 242-201 ..... **الحنين إلى العراق ، وبغداد خاصة**
- 202 ..... 1- من القدماء:
- ..... الأبيوردي . عمارة بن عقيل . طاهر بن المظفر . أبو نواس . مطيع بن إياس . عبد الله بن طاهر . إسحاق الموصلي . علي بن الجهم . ابن الرومي . علي بن محمد النيرماني . عبد الوهاب بن علي الثعلبي . أبو العلاء المعري . أحمد بن علي الخطيب . ابن زريق البغدادي .
- 217 ..... 2- في العصر العثماني:
- ..... عبد الرحمن السويدي . أبو الثناء الآتوسي . أحمد الشاوي . عبد الحسين النجفي . راضي القزويني . عبد الغني الجميل .
- 221 ..... 3- في العصر الحديث:
- ..... عبد المحسن الكاظمي . معروف الرصافي . الصافي النجفي . محمد رضا الشيببي . محمد مهدي الجواهري . عاتكة الخزرجي . خالد الشواف . أحمد شوقي . علي الجارم . نزار قباني . سليم الزركلي

243 ..... مصادر الكتاب ومراجعته

### فهارس الكتاب

261 ..... فهرس موضوعات الكتاب

265 ..... فهرس الأعلام

278 ..... فهرس الشعر

291 ..... الكتب الصادرة للمؤلف

295 ..... ملخص باللغة الإنجليزية

## فهرس الأعلام

(أ)

- آدم : 135 .  
أبان بن سعيد بن العاص : 11 .  
إبراهيم بن العباس الصولي : 125 .  
إبراهيم بن عبد الله بن الحسن : 167 .  
الأبيوردي (محمد بن أحمد بن إسحاق) : 173 , 180 , 181 , 186 , 192 , 202 .  
أحمد بن إبراهيم الكاتب : 171 .  
أحمد بن حمدون : 111 .  
أحمد الشاوي : 218 .  
أحمد شوقي : 238 .  
أحمد بن أبي طاهر : 15 .  
أحمد بن عاصم : 141 .  
أحمد بن علي الدجي : 144 .  
أحمد بن محمد المخزومي : 129 .  
أحمد بن هشام : 127 .  
الأحوص الأنصاري : 33 , 158 , 159 - 161 .  
الأحيمر السعدي : 43 , 166 .  
الأصفهاني = أبو الفرج الأصفهاني .  
أسامة بن منقذ : 105 , 112 , 124 , 125 , 198 .  
إسحاق الموصلي : 105 , 208 .  
أسماء بنت أبي بكر : 123 .  
أسماء المرية : 26 .  
أشجع الشلمي : 107 .  
أصيل الغفاري : 12 .  
أعشى قيس : 23 , 165 .  
الأقرع بن حابس : 62 .  
امرؤ القيس : 10 , 31 , 165 .

- أمية بن أبي الصلت : 139.  
 أمية بن عائذ : 83.  
 أوس بن حجر : 21.  
 ابن باجة : 137.  
 الباز = عبد القادر الكيلاني.  
 البحتري : 116, 126.  
 بروكلمان : 15.  
 البسطامي (متصوف) : 140.  
 البستي (محمد بن حبان) : 15.  
 البسوس : 25.  
 بنشار بن برد : 104.  
 بنشر بن أبي خازم : 58.  
 أبو بكر الشبلي (دلف بن جحدر) : 142.  
 أبو بكر الصديق : 52, 138.  
 أبو بكر القومسي : 146.  
 بلال بن أبي بردة : 212.  
 بلال الحبشي : 52.

### (ت)

- تأبط شراً : 42.  
 أبو تمام : 109, 199.  
 التوحيدي = أبو حيان التوحيدي.  
 ابن تيمية : 149.

### (ج)

- الجاحظ (عمرو بن بحر) : 12, 14, 15, 239.  
 جبلة بن الأيهم : 23.  
 جحدر بن معاوية الحرزي : 46, 160.  
 جعفر باشا العسكري : 224.  
 جعفر الصادق : 139, 140.  
 جليل العطية : 15.

- جمال الدين الأفغاني : 221.  
 جميل بن معمر العذري : 11, 88, 157, 158, 160.  
 جمانة (صاحبة ابن مفرغ الحميري) : 82.  
 الجواهري (محمد مهدي) : 234.  
 جودانة (جارية) : 167.  
 ابن الجوزي : 144, 148, 149.

### (ح)

- أبو حاتم السجستاني : 15.  
 حاجب الفييل : 61.  
 الحارث بن أسد الحاسبي : 141.  
 الحارث بن حاطب الجمحي : 74.  
 الحارث بن خالد المخزومي : 88, 155.  
 الحافظ الدمثقي (مسعود بن الحسن) : 63.  
 حبيب بن جبار : 56.  
 الحجاج بن يوسف : 57, 87.  
 أبو حردبة : 74.  
 الحسن البصري (الحسن بن يسار) : 11.  
 الحسن بن عبد الرحمن = الرامهرمزي.  
 الحسن بن محمد المهلبى : 118.  
 الحسن بن مخلد الجراح : 114.  
 حسنة المغنية : 169.  
 حسين العشاري : 218.  
 الخلاج (الحسين بن منصور) : 149.  
 حلينة الخضرية : 38.  
 حماد بن إسحاق الموصلى : 106.  
 حماد عجرد : 170, 171.  
 حمد الجاسر : 173.  
 حمزة بن القاسم الشامى : 130, 133.  
 حمورابي : 163.

أبو حيان التوحيدي : 16, 145, 149, 150.  
أبو حية النميري : 72, 106.

(خ)

خالد بن سنان العبسي : 139.  
خالد الشواف : 236.  
خالد بن نضلة : 33.  
خالد بن يزيد الكاتب : 115.  
الخطيم المحرزي : 45, 91.  
الخطابي (حمد بن محمد) : 143.  
الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت) : 213.  
خفاف بن ندبة : 48.  
خليل مردم : 208.

(د)

داود الطائي : 149, 165.  
أبن دريد (محمد بن الحسن) : 10.  
دلف بن جحدر (أبو بكر الشبلي) : 142.  
أبو دهب الجمحي : 54, 98, 159.

(ذ)

ذات النطاقين (أسماء بنت أبي بكر) : 123.  
أبو ذر الغفاري : 136, 139.  
الذهبي (محمد بن أحمد) : 148.  
ذو الرمة (غيلان بن عقبة) : 96.  
ذو الصمة القشيري : 158.  
ذو النون المصري (ثوبان بن إبراهيم) : 140.

(ر)

راضي القزويني : 219.  
الراعي النميري : 7.  
ابن الراوندي : 149.  
رابعة العدوية (رابعة بنت إسماعيل) : 40, 141.

- الرامهرمزي (الحسن بن عبد الرحمن) : 15.  
 ربعة البصري : 15.  
 ربعة بن مفرور الضبي : 21.  
 رباب بنت عبد المحسن الكاظمي : 221.  
 ابن رجب الحنبلي : 144.  
 رسول الله = محمد بن عبد الله. [  
 الرصافي (معروف بن عبد الغني البغدادي) : 225.  
 روضة (صاحبة وضاح اليمن) : 89.  
 ابن الرومي (علي بن العباس) : 209.

### (ز)

- الزبير بن عبد المطلب : 34 .  
 ابن زريق البغدادي : 123 , 205 , 213 .  
 ابن زريق الكاتب الكوفي 205.  
 زكي مبارك : 140 .  
 أبو زياد الطائي : 198 .  
 زيد بن عمرو بن نفيل : 139 .

### (س)

- ابن سبعين (عبد الحق بن إبراهيم) : 149 .  
 السبكي : 149 .  
 سحيم بن الحسحاس : 48 , 40 .  
 أبو سعيد السيرافي : 149 .  
 سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : 95 .  
 سعيد بن عثمان بن عفان : 65 , 75 , 76 .  
 سفيان الثوري (سفیان بن سعيد بن مسروق) : 149 .  
 سفیان بن عيينة الهلالي : 107 .  
 السليك بن السلكة 48 .  
 سلم بن فتية : 167 .  
 سلمة بن زيد البجلي : 21 .  
 سليم الزركلي : 241 .

- أبو سليمان الداراني : 149.  
 السمعاني (عبد الكرم بن محمد) : 16.  
 السمهرى العكلى : 158.  
 سيبويه (عمرو بن عثمان) : 129.  
 السهروردى حكيم الإشراق : 143.  
 ابن سيده (علي بن إسماعيل) : 9.  
 سيف الدولة الحمداني : 121.  
 سيما (باحث أوريي) : 18.

### (ش)

- الشرىف الرضى (محمد بن الحسين) : 193.  
 شظاظ التميمى : 74.  
 شفىق بن السلىك الأسدى : 161.  
 شكرى بن أبى الفتوح السلمانى : 125.  
 الشمردل اليربوعى : 160, 159, 85.  
 الشنفرى الأزدى : 59, 43.  
 الشبىظم بن الحارث الغسانى : 24.

### (ص)

- الصافى النجفى (أحمد بن على بن صافى) : 230, 229, 228.  
 صالح بن عبد الرزاق : 131.  
 الصدر الرومى : 149.  
 صدقة بن نافع الغنوى : 199.  
 صردر (محمد بن عبد الله) : 126.  
 الصمة بن عبد الله القشبرى : 212, 66, 67, 90, 155, 156, 157, 162, 173, 175.

### (ض)

- ضَبَّ بن الفرافصة : 27.

### (ط)

- طاهر بن الحسين : 67.  
 طاهر بن عبد الله بن طاهر : 112.

- طاهر بن المظفر الخازن : 206.  
 طرفة بن العبد : 10.  
 الطرماح بن حكيم : 94.  
 طريح بن إسماعيل الثقفي : 60, 100, 156.  
 الطغرائي (الحسين بن علي) : 173, 198.  
 أبو الطمحان القبني : 34, 58.  
 طهمان بن عمرو الكلابي : 85.  
 طَبَّاء (صاحبة الصمة القشيري) : 162.

### (ع)

- عائشة بنت طلحة : 88.  
 عائشة بنت محمود التونسي (زوجة عبد المحسن الكاظمي) : 221.  
 عاتكة وهيبي الخزرجي : 236.  
 عامر بن الطفيل : 26.  
 عامر بن لؤي : 85.  
 عبد الرحمن بدوي : 145.  
 عبد العزيز بن مروان : 84.  
 عبد الكريم بن هوازن القشيري : 136.  
 عبد الله بن الزبير : 83, 123.  
 عبد الله بن الزبير الأسدي : 60.  
 عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي : 67, 69, 104, 108, 207.  
 عبد الله بن كعب العميري : 165.  
 عبد الحسين محيي الدين النجفي : 219.  
 عبد الرحمن بن زين الدين السويدي : 217.  
 عبد العزيز بن مروان : 55, 171.  
 عبد الغني الجميل : 220.  
 عبد القادر باش أعيان : 224.  
 عبد القادر الكيلاني (الجيلاني ، الباز الأشهب) : 218.  
 عبد الكريم بن محمد السمعاني : 16.  
 عبد المحسن الكاظمي : 221 — 225.

- عبد الملك بن مروان : 70 , 72 .  
عبد الوهاب بن علي الثعلبي : 211 .  
عبلة العبسية (صاحبة عنتره) : 36 , 37 , 48 .  
عبيد بن أيوب : 41 , 42 , 45 , 46 .  
عبيد الله بن أبي بكره الثقفي : 65 .  
عبيد الله بن الحر الجعفي : 57 , 157 .  
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي : 210 .  
عبيد الله بن عبيد الله الحافظ : 209 .  
عبيد الله بن قيس الرقيات : 84 , 172 .  
عثمان بن عفان : 27 , 170 .  
أبو عثمان المازني (بكر بن محمد بن حبيب) : 106 .  
ابن عربي (محمد بن علي محيي الدين) : 140 , 143 , 144 , 149 .  
العرجي (عبد الله بن عمر) : 158 , 160 .  
عروة بن حزام : 52 .  
عروة العجلاني : 81 .  
عروة بن الورد : 44 .  
العُزَيُّ (صنم) : 163 .  
عشتار(عشتروت) : 164 .  
ابنة عفزر : 32 .  
عُقيبة بن هُبيرة الأسدي : 70 .  
أبو العلاء المعري (أحمد بن عبد الله) : 149 , 211 .  
علي الجارم : 238 .  
علي بن جبلة (العكوك) : 207 .  
علي بن الجهم : 111 , 113 , 208 .  
علي بن أبي طالب : 17 .  
علي بن محمد التهامي : 123 .  
علي بن محمد بن خلف النيرماني : 210 .  
علي بن موسى الرضا : 170 .  
عُكَيْة بنت المهدي : 107 .  
عمر بن الخطاب : 13 , 23 .  
عمر بن أبي ربيعة : 10 , 90 .

- عمرو بن أحمر الباهلي : 54, 72.  
 عمرو بن الحارث بن عمرو الجرهمي : 51.  
 أبو عمرو بن العلاء (زَيَّان بن عَمَّار) : 149.  
 عمرو بن قميئة : 32, 37.  
 عمرو بن قيس (ابن أم مكتوم) : 52.  
 عمرو بن هند : 22.  
 عمرو بن الوليد بن عقبة (أبو قطيفة) : 83.  
 عمرو بن معديكرب الزبيدي : 25.  
 عمرو بن هبيرة : 22.  
 عمارة بن عقيل : 204.  
 عميرة بنت بشر بن أبي خازم : 58.  
 عنتره بن شداد العبسي : 10, 36, 37, 48.  
 عوف بن عامر : 27.  
 عوف بن محلم : 67, 68, 69, 108.

### (غ)

- ابن الغريرة (كثير بن عبد الله) : 62.  
 الغزالي (محمد بن محمد) : 144.  
 الغزولي (علي بن عبد الله) : 1, 13.  
 غويث الكعبي : 74.  
 غيلان بن عقبة (ذو الرمة) : 212.

### (ف)

- ابن فارس (أحمد بن فارس) : 148.  
 أبو الفتح البستي : 147.  
 أبو فراس الحمداني : 121, 122.  
 أبو الفرج الأصفهاني : 66, 79, 80, 112, 127, 133, 167.  
 الفرزدق (همام بن غالب) : 162.  
 فرعون : 138.

(ق)

- القتال الكلابي : 56.  
القريظية : 199.  
القزويني : 207.  
قس بن ساعدة الأيادي : 139.  
القشيري (عبد الكريم بن هوازن) : 136, 139, 144.  
أبو قطيفة (عمرو بن الوليد) : 83.  
قعنب بن أم صاحب : 200.  
القمقام الأسدي : 106.  
قيس بن الخدادية : 48.  
قيس بن ذريح (قيس لبنى) : 159.  
قيس بن الملوح (قيس ليلى) : 78, 81, 82, 142, 161.  
قبصر (ملك الروم) : 32.  
ابن قيّم الجوزية : 139, 144.

(ك)

- كافور الإخشيدى : 121.  
كلثوم بن عمرو (العنّابي) : 108.  
كثير عزة (كثير بن عبد الرحمن الخزاعي) : 92, 156.  
كثير بن عبد الله التميمي = ابن الغريرة.

(ل)

- ليبد بن ربيعة العامري : 128, 165.  
ليلى العامرية : 79.

(م)

- مالك بن الربيع : 57, 59, 64, 65, 74, 77, 80, 156, 159, 162.  
المؤمل بن جعفر البندنجي : 132.  
المأمون (عبد الله بن هارون الرشيد) : 127, 114, 238.  
المبرّد (محمد بن يزيد) : 199.

- المتلمس (جرير بن عبد المنسيح) : 17, 22.  
المتنبي (أحمد بن الحسين) : 118, 193.  
المنوكل العباسي (جعفر بن محمد) : 111, 112.  
المنوكل الليثي : 159, 160.  
مجنون ليلى = قيس بن الملوح.  
محمد بن أحمد بن إسحاق (الوشاء) : 15.  
محمد بن أحمد بن إسحاق = الأبيوردي.  
محمد بن بشير الخارجي : 99, 156.  
محمد بن حبان = البستي.  
محمد حسين الكاظمي : 232.  
محمد بن داود الأصبهاني : 209.  
محمد رضا الشيبيني : 233.  
محمد بن سهل بن المرزبان : 15.  
محمد عبده : 221.  
محمد عبد الصمد : 129.  
محمد بن عبد الله (رسول الله [ ] ) : 12, 18, 52, 135, 138, 238.  
محمد بن عبد الله = صردر.  
محمد بن عمران بن المرزبان : 16.  
محمد بن يحيى الصولي : 15.  
محمود الألويسي (أبو الثناء شهاب الدين) : 217.  
المدائني (علي بن محمد) : 34.  
مرة بن عوف : 103.  
ابن المرزبان (محمد بن سهل البغدادي) : 15.  
مروان بن أبي الجنوب : 111.  
مروان بن الحكم : 56, 74.  
مسعود بن الحسن : (الحافظ الدمشقي) : 63.  
مصطفى عبد البرازق : 221.  
مصعب بن الزبير : 57.  
مطيع بن إياس : 167, 168, 169, 171, 206.  
معاوية بن أبي سفيان : 27, 70, 204.  
الاعتصم العباسي (محمد بن هارون الرشيد) : 238.

- معروف الكرخي : 139.  
 ابن مفرغ الحميري : 82.  
 ابن أم مكتوم = عمرو بن قيس.  
 المنصور العباسي (عبد الله بن محمد أبو جعفر) : 167, 168, 169, 201.  
 المهدي العباسي (محمد بن عبد الله) : 169.  
 مهلهل بن ربيعة : 25.  
 موسى بن عيسى الكسروي : 15.  
 الموفق العباسي (طلحة بن جعفر) : 142.  
 ابن المولى (محمد بن عبد الله) : 104.  
 ابن ميادة (الرماح بن أبرد) : 103.  
 ميسون بنت بحدل (زوجة معاوية) : 27, 28.  
 مي (صاحبة ذي الرمة) : 97.

### (ن)

- نائلة بنت الفرافصة الكلبية : 27.  
 أبو نباتة الكلابي : 199.  
 ابن النجار : 149.  
 نبهان بن عكّي العبشمي : 38.  
 نخلتا حلوان : 167, 168, 169.  
 ابن النديم (محمد بن إسحاق) : 16.  
 نزار قباني : 240.  
 أبو النشناناش : 44.  
 نصيب بن رباح : 55, 94, 95.  
 أبو نواس (الحسن بن هاني) : 206.

### (هـ)

- هارون الرشيد : 105, 107, 128, 170, 235, 238.  
 هدبة بن الخنصرم العذري : 77, 157.  
 هرم بن حبان العبدي : 22.  
 هرمز بن سابور : 130.  
 الهروي الأنصاري : 141, 144.

هشام بن الوليد : 101.

أبو هلال العسكري : 23.

(و)

الوائق العباسي (هارون بن محمد) : 208.

وجيهة بنت أوس الضبيّة : 26.

ورّاد (ابن عم محمد بن بشير) : 99.

ورد بن الورد الجعدي : 63.

الوشاء (محمد بن أحمد بن إسحاق) : 15.

وضاح اليمن (عبد الرحمن بن إسماعيل) : 89.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك : 100.

(ي)

ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي : 101, 149, 204.

يحيى بن الحكم بن أبي العاص : 72.

يحيى بن طالب الحنفي : 105.

يزيد بن الطثرية : 99, 157, 160, 173, 179.

يزيد بن عبد الملك : 93.

يزيد بن معاوية : 70.

اليمان بن أبي اليمان البندنجي : 104.

يوسف بن أسباط : 149.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخدي  
أسكنم الله الفردوس

## فهرس الشعر

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
233	(أ) الصافي النجفي	أراها	يا دعوة للدار
184	الأبيوردي	تراها	هي الجرعاء
6	(ب) عبد الله بن الزبير الأسدي	تذهبُ	عشية قالت
120	المتنبي	وأندبُ	يضاحك في
125	شكر بن أبي الفتوح السليمانى	بُجْتَنَّبُ	فوض خيامك
207	مطيع بن إياس	نطربُ	ويوم ببغداد
100	طريح بن إسماعيل	أقتربُ	فلا أراني
222	عبد المحسن الكاظمي	يذوبُ	وفي مصر أراك
221	عبد المحسن الكاظمي	الطروبُ	جوى أودى
157	هدبة بن الخنصر	تؤوبُ	ألا ليت الرياح
63	شاعر	خطوبُ	أقمريه الوادي
55	نصيب بن رياح	أؤوبُ	وإن وراء ظهري
39	شاعر	الصحا	ألا يا حبذا
122	عبد المحسن الكاظمي	الغريبُ	وأصبو للحمى
150	شاعر	غريبُ	وما جزمأ
28	امراة من بني شيبان	معيبُ	أصبحت في آل
34	شاعر	لعجيبُ	وإن اغتراب
185	الأبيوردي	خصيبُ	ومرتب من
77	هدبة بن الخنصر	قريبُ	عسى الكرب
78	قيس بن الملوح	غريبُ	أظل غريب الدار
64	الحافظ الدمشقي	غريبُ	أخلاي إن
92	كثير عزة	سليبُ	وما زلت
63	ورد بن الورد الجعدي	غريبُ	أمغترياً أصبحت
33	امرؤ القيس	عسببُ	أجارتنا إن المزار
17	المتلمس	جانبةُ	ألا أبلغا

44	أبو النشاش	مذاهبُه	وسائلة أين
125	أسامة بن منقذ	واقترابُه	أحبابنا من غاب
236	عاتكة الخزرجي	ركبُه	وسئلتُ حينَ
172	عبيد الله بن قيس الرقيات	عنيُه	سقباً خلوان
106	حماد بن إسحاق الموصلِي	سحابُها	أحبُّ بلادَ الله
157	الصمة القشيري	هبوبُها	إذا ما أنتنا
26	عمرو بن معد يكرب	غرُبا	هاج لك الشوق
99	محمد بن بشر	رجباً	لقد أقمْتُ
56	القتال الكلابي	زينبا	ألا هل أتى
23	الأعشى	مغضباً	ومن يغترب عن قومه
58	بشر بن أبي خازم	الركابا	أسائلة عميرة
165	الأعشى	سَيَّابا	أيامَ جَلَو لنا
27	نائلة بنت الفرافصة	أركباً	ألست ترى بالله
89	وضاح اليمن	والحبيبا	أبت بالشام
114	شاعر	الكرب	إذا أشرف
128	شاعر	قرب	يا معشرَ الغرياء
126	البحثري	للمغرب	كم مشرق
33	خالد بن نضلة	مركب	لعمري لرهط
124	أسامة بن منقذ	ولم أغب	علامَ يا دهرَ
78	قيس بن الملوح	على الحبِّ	ومغتربٍ بالمرج
107	عليه بنت المهدي	على الحبِّ	ومغتربٍ بالمرج
23, 13	شاعر	في اغتراب	لقربِ الدار
48	عنبرة العبسي	الأطايِبِ	ينادونني في السلم
129	شاعر	حبيب	رحم الله من دعا
131	شاعر	لحبيب	نفسِي الفداء
115	شاعر	غريب	إن الغريبَ
130, 100	فلان الهروي	كل غريب	سقى الله أرضَ
228	الصافي النجفي	قريب	لقد تغربتُ
141	الحارث المحاسبي	غريب	أنا في الغربة
78	قيس بن الملوح	غريب	فلي قلب محزون
49	سحيم بني الحسحاس	الأديب	لبس بزري السواد
27	وجبهة الضبيّة	قلبي	وعاذلة تغدو
113	أسامة بن منقذ	وأحبابي	أشتاق أهلي

240	نزار قباني	عتابي	مُدِّي بساطك
133	المؤمل البندنجي	يغاضبُ	يا من على الدنيا
	(ت)		
187	الأبيوردي	تمنت	وألفة للخدر
162	الصمة القشيري	فجَّنت	ووجدني بطيًّا
156	الصمّته القشيري	استهلت	ألا من لعين
59	الشنفري الأزدي	عُذرتي	ألا لا تلمني
56	نصيب بن رباح	ثابت	ليس السواد بناقصي
	(ج)		
65	أعشى همدان	الأعوج	أسمعت بالجيش
	(ح)		
160	جميل بن معمر	تصدق	ويوم وردنا
21	سلمة بن زيد البجلي	ومنادح	ولاي خير في
159	أبو دهبل الجمحي	ينوح	وأرقني بالرّي
109.68	عوف بن محلم	فتزوح	في كل عام غربة
108	أبو كبير الهذلي	تنوح	ألا يا حمام الأيك
98.54	أبو دهبل الجمحي	فتريح	أفي كل عام
65	مالك بن الربيع	الشيخ	هبت شمال
196	الطغراني	سباح	أرقت لبرق
160	يزيد بن الطثرية	قريح	تذكرت ليلي
58	أبو الطمحان القيني	الجوانح	ألا عللاني قبل
	(خ)		
209	محمد بن داود الأصفهاني	بالكرخ	يهيمُ بذكر الكرخ
	(د)		
88	جميل بن معمر	يعود	ألا ليت أيام
81	مالك بن الربيع	لسعيد	ألا ليت شعري
79	قيس بن الملوح	برد	لقد عارضتنا الريح
72	الراعي النميري	قصدوا	أزرى بأموالنا
111	علي بن الجهم	لا يغمد	فالت حبت
117	البحثري	شروء	نقاذف بي
116	خالد بن يزيد الكاتب	ما أجد	الله يعلم
119	المتنبي	يولد	أما الفراق
120	المتنبي	وغد	أدم إلى هذا

175	الصمة القشيري	سَعْدُ	ألا ليت شعري
233	الصافي النجفي	بغدادُ	قد كفاني نغربُ
124	ابن الرومي	جديدُ	بلدُ صحبتُ
193	القريظية	جدا	سقى الله جُداً
191	الأبيوردي	بما وعدا	إن أخلف الوعد
198	أبو زياد الطائي	جدا	أحقاً عباد الله
173	الصمة القشيري	جهدا	خليلي إن
208	إسحاق الموصلبي	بُعدا	أتبكي على بغداد
10	طرفه بن العبد	ترعدُ	على موطن جئش
142	أبو بكر الشبلي	بوجدي	باح مجنون عامر
161	شقيق الأسيدي	وجدي	وقد هيّجت شوقي
179:157	يزيد بن الطثيرة	على وجدتي	ألا يا صبا جُدي
156	كثير عزة	إلى جُدي	فطوراً أكرُّ
122	أبو فراس الحمداني	المشردُ	دعوتك للجفن
182	الأبيورد	من الوجدِ	خليلي إنَّ الحب
193	الشريف الرضي	ربا جُدي	خذي نفسي
99	يزيد بن الطثيرة	من ردِّ	ألا هل من
199	أبو تمام	من بردِ	شهدت لقد
200	رجل من تميم	العهدِ	حُنت فلو صي
195	الطغراني	صبا جُدي	أبا حادي الأضعان
213	شاعر	على بُعدِ	ولما جاوزتُ
22	المتلمس	فليبعدِ	إن العراقُ
131	شاعر	مسعدِ	يا أهل مكة
52	عمرو بن قيس	وعُوادي	يا حبذا مكة
116	البحثري	بحامدِ	من كان يحمُدُ
57	مالك بن الربيع	ببعسادِ	فإن تنصفوا
43	عبيد بن أيوب	وبالبعادِ	وحالفت الوحوش
36	عنتره العبسي	فؤادي	أرض الشَّريرةِ
37:10	عنتره العبسي	والأولادِ	أحرقنني نارُ
191	الأبيوردي	سُعادي	قفا بنجدِ
118	المتنبي	قعودِ	ضاق صدري
238	علي الجارم	التليدِ	بغداد يا بلد الرشيدِ
116	البحثري	الشردِ	أجز من غلةِ

118	المتنبي	اليهود	ما مقامي بأرض خلعة
119	المتنبي	البنوود	عش عزيزاً
38	نبهان العبشمي	المتقاود	يقر بعيني أن
56	القتال الكلابي	طريد	جزى الله عنا
70	عقبة بن هبيرة الأسدي	الحديد	معاوية إننا بشر
(ج)			
72	عمرو بن أحمر الباهلي	والحسر	يا يحيى يا ابن
51	عروة بن مضاض الجرهمي	سامر	كأن لم يكن
81	قبس بن الملوح	يقصر	أحن إلى
232	الصافي النجفي	الفكر	بمفرق للطرق
232	الصافي النجفي	النصر	وكان لي سهم
231	الصافي النجفي	المنحدر	أراني مدى الأيام
225	عبد المحسن الكاظمي	المفسر	أبغداد لا فانتك
117	البحثري	ثمر	وعبرتني سجال
130	شاعر	زائر	فهل جو
176	الصمة القشيري	أنظر	أكر طرفي
234	الجواهري	ثغر	بدت خوداً
235	الجواهري	مصر	كفى العباس
43	الأحيمر السعدي	أطير	عوى
44	الأحيمر السعدي	بعير	وإني لأستحيي
46	جحدر بن معاوية	استغفار	إني دعوتك
64	شاعر	المذرور	داري بمر
110	أبو تمام	وإن كثروا	إن الكرام كثير
190	الأبيوردي	الأباعر	شجاني بأعلام
166	الأحيمر السعدي	مطير	أيا خللات الكرم
211	شاعر	مقادير	طيب الهواء
128	لبيد بن ربيعة	قد بضرة	المرء يأمل
237	خالد الشواف	منيرة	عوجوا على عدوة
83	أبو قطيفة	وحاضرة	ألا ليت شعري
219	عبد الحسين النجفي	نزورها	ألا ليت
32	امرؤ القيس	بقيصرا	بكي صاحبي
33	حاتم الطائي	أحمرا	حننت إلى الأجيال
44	عروة بن الورد	فأكثرنا	إذا المرء لم

82	ابن مفرغ الحميري	نارا	سما برق
159	الأحوص	فانشمرا	أراقب النجم
31	امرؤ القيس	فعرعرا	سما لك شوق
10	امرؤ القيس	وميسرا	وما جنت خيلي
102	شاعرة	قبرا	خليلي إن حانت
162	الفرزدق	ضَمَّرا	وليلة بتنا
161	قيس بن الملوح	الوكير	ألا ليتنا كنا
98	العرجي	ثغر	أضاعوني وأي فتى
91	الخطيم الحرزي	السندر	ألا ليت شعري
160	جميل بن معمر	من صَبْر	أبيكي حمام
218	أحمد النشوي	للذكر	تذكرت ما بين
206	طاهر الخازن	والجسر	سقى الله
45	الخطيم الحرزي	من عمرو	أبت لي سعد
45	عبيد بن أيوب	معشر	لقد خفت
35	أبو الطمحان القيني	معشر	ألا حنت المرقال
37	عنتر العبسي	أذقر	أرض الثرية
209	علي بن الجهم	ولا أدري	عبو المها
175	الصمة القشيري	والضمار	أقول لصاحبي
161	الأحوص الأنصاري	السواجر	فأنت إلى سلمى
161	شاعر	النواضر	حمام لم تهتج
228	الصافي النجفي	لداري	تعز بصير
195	الطغراني	السفار	أقول له
193	الشريف الرضي	الساري	يا قلب ما أنت
206	شاعر	المنابر	أبغداد يا دار
21	الصمة القشيري	فالضمار	أقول لصاحبي
47	جحدر بن معاوية	ومقدار	يا نفس لا جرعني
46	عبيد بن أيوب	النار	يا رب قد
23	جبله بن الأيهم	لها ضرر	تنصرت الأشراف
126	صدر	القصور	قلقل ركابك
220	عبد الغني الجميل	ثم طار	لهفي على بغداد
	(ز)		
164	شاعر	إعواز	أكلت ربها حنيفة

## (س)

199	أبو نباتة الكلابي	الرواجسُ	أرتك إنْ جُداً
205	ابن زريق الكاتب	الياسُ	سافرت أبغي

## (ض)

197	الطفرائي	مرضا	يا صاحبي أعيناني
205	عمارة بن عقيل	الخنْفُضِ	أمانبتَ في
167	عبد الرحمن الداخل	لبعضي	أبها الركبُ الميممُ

## (ط)

188	الأبيوردي	فَطُّ	يا جُدُّ ما لأحبَّتي
-----	-----------	-------	----------------------

## (ع)

75, 74	مالك بن الربيع	فيمنعُ	أحقاً على السلطان
96	ذو الرمة	تدمعُ	أمن دمنةً
110	أبو تمام	مُجَنِّعُ	لقد ساسنا
107	أشجع السلمي	تدمعُ	ومغربت بنقضي
158	الأحوص الأنصاري	لامعُ	أصاح ألم حزنك
158	جميل بن معمر	يلمعُ	وليلة بتنا
157	عبد الله بن الحر	أجزعُ	ستعلم إن مالت
92	كثير عزة	يودعُ	إلى الله أشكو
61	حاجب الفيل	فمودعُ	لما رأته بنتي
57	عبد الله بن الحر الجعفي	يروعُ	أتاني وعيدُ
84	أمية بن أبي عائذ	راجعُ	منى أركب
93	الأحوص الأنصاري	نافعُ	أقول بعمَّان وهل
160, 98	العرجي	السواجعُ	ومما يهيج القلب
129	شاعر	وأوجعوا	رحل الأجابة
94	نصيب بن رباح	روانعةُ	سرى الهممُ
213	ابن زريق البغدادي	يسمعهُ	لا تعذليه فإنَّ
123	علي التهامي	ومرتعهُ	استودع الله
153, 114	علي بن الجهم	صنعا	وارحمتنا للغرب
91	الصمة القشيري	يودعا	قفا ودعا جُداً
156	الصمة القشيري	تدمعا	فلبست عشيات
176	الصمة القشيري	بلقعا	خليلي عوجا

42	تأبط شراً	المعى	قليلٌ أدخار
113	علي بن الجهم	منفعة	عمرك ما كل
164	شاعر	الجماعة	أكلت حنيفة ربها
212	أبو العلاء المعري	من اللذع	أودعكم يا أهل

(ف)

211	عبد الوهاب الثعلبي	المضاعف	سلام على بغداد
210	عبيد الله بن عبد الله	قصفاً	أبرحل ألفاً
28	ميسون بنت بحدل	منيفاً	لبيت خفق
87	أعشى همدان	سككشافاً	وإذا نصبتك
40	سحيم بني الحسحاس	الضعاف	لقد زاد الحياة

(ق)

86	الشمردل اليربوعي	وتعترق	يا أم حرب
100.60	طريح بن إسماعيل الثقفي	منطلق	تقول والعيس
225	معروف الرصافي	مُعرق	لعمرك أفصاني
159	الشمردل اليربوعي	الرفق	أرعى الثريا
158	العرجي	يخفق	أرقت بسلع
156	طريح بن إسماعيل الثقفي	تستبق	فاستبق عينك
196	الطغرائي	رقاق	يا حبذا جدد
118	الحسن بن محمد المهلبي	شائق	أحن إلى بغداد
207	شاعر	أحداقها	أها على بغدادها
188	الأبيوردي	رفقا	الأم على جدد
234	محمد رضا الشيبلي	التشوق	ببغداد أشتاق
49	سحيم	والورق	أشعار عبد بني
208	عبد الله بن طاهر بن الحسين	المهراق	ناحت مطوقة
219	راضي القزويني	التلاقي	أحببنا بزوراء
194	الشريف الرضي	الأشواق	أها على نفحات
104	بشار بن برد	المهراق	ناحت مطوقة
	أو عبد الله بن طاهر		

(ك)

91	عبد الله بن همام السلولي	وأوطانكا	بكينت العشيرة
219	عبد الرحمن السويدي	شجواك	لولاك يا بلدة

(ج)

159	قيس بن ذريح	جَوَلُ	لولاك يا
52	بلال الحبشي	وجليلُ	ألا ليت شعري
202	الأبيوردي	سيلُ	أضياء بريقُ
217	أبو الثناء الألويسي	سهلُ	حداني إلى الزوراء
204	الأبيوردي	النَّجَلُ	يا رمّ مالي
198	الطغرائي	مقيلُ	ألا حبّذا شدُّ
113	علي بن الجهم	سيلُ	أزید في الليل
123	أبو فراس الحمداني	بَدِيلُ	مصابي جليلُ
105	يحيى بن طالب الحنفي	سبيلُ	ألا هل إلى شَمِّ
106	أبو حيّة النميري	سبيلُ	ألا هل إلى نصِّ النواعج
150	أبو حيّان النوحيدي	ذليلُ	إنَّ الغريبَ
165	عبد الله بن كعب العموري	سبيلُ	أيا خلعتي مُرَّان
43	الشنفري الأزدي	لأَمِيلُ	أقيموا بني أمِّي
85	الشمردل اليربوعي	وابكُه	سقى جدنأ
34	شاعر	أشاككُه	وأنزنتي طولُ
160	الشمردل اليربوعي	حبائلُه	وهاتفه فوق
35	شاعر	الشملا	ألا ليت شعري
21	شاعر	أخوَلَا	أقيم بدار الحزَمِ
75	مالك بن الربيع	نزلا	أدجنت في مهممه
71	الراعي النميري	وعويلا	أبلغ أمير المؤمنين
111	أبو تمام	وموصيلا	سأقطع أمطاء
			المطايا
14	شاعر	الأهلا	وكل غريب
105	ابن المولى	ضلالا	ذهب الرجالُ
112	علي بن الجهم	مجهولا	لم ينصبوا بالشادباخ
25	مهلهل بن ربيعة التغلبي	القتالا	ليس مثلي
211	أبو العلاء المعري	كهولا	كلفنا بالعراق
29	شاعرة	الأمل	نظرت ودوني
22	عمرو بن هبيرة	يتذللُ	أبي الله للحيران
130	شاعر	المحلُ	نزلت على آل
31	شاعر	والأموال	مجن نفيك
212	أبو العلاء المعري	ومالي	طيرن لضوء

85	ابن قيس الرقيات	وقذال	إن تريني
167	عبد الرحمن الداخل	عن الأهل	يا لخل أنت فريدة
166	عبد الرحمن الداخل	بلد النخل	تبدت لنا
103	ابن ميادة	أهلي	ألا ليت شعري
157	جميل بن معمر	النحول	أبا ريح الشمال
151	ذو الرمة	البلابل	لعل انحدار الدمع
157	الصمة القشيري	المتناول	نظرت وطرفاً
84	ابن قيس الرقيات	الرحال	حبذا الحج
165	امرؤ القيس	التعكل	وفرع بعشي
52	أبو بكر الصديق	نعله	كل امرئ مصبح

(م)

95	نصيب بن رباح	لنائم	لقد هتفت
165	أبو دواد الإيادي	السهم	وتراهن في الهواجج
241	سليم الزركلي	والمعالم	أحقاً ترى
95	سعيد بن عبد الرحمن بن حسان	فبعلم	برح الخفاء
172	أبو دواد الإيادي	السهم	وتراهن في
121	المتنبي	النمام	فؤاد ما
156	محمد بن بشير الخارجي	وهوموم	بانث لعينك
165	لبيد بن ربيعة	حزوم	فكان طعن
144	ابن الجوزي	المخيم	وحي على جنان
106	القمقام الأسدي	ذميم	اقرأ على الوشل
26	أسماء المرية	قدومها	أبا جبلي
38	عمرو بن قميئة	أعلامها	قد سألتني بنت
155	الحارث المخزومي	سجما	بالخيف هاجت
160	المتوكل الليثي	حماما	طربت وشاقني
22	هرم بن حبان العبدي	وظالما	وجدت الفتى
21	ربيعة بن مقروم	كرما	ودار الهوان
24	الشبظم الغساني	فهوما	لحي الله صعلوكاً
192	الأبيوردي	وسقاكما	خليلي هذا
159	المتوكل الليثي	سجاما	أزاعي الثالبات
169	وضاح اليمن	جناكما	أيا لختي وادي
21	ربيعة بن مقروم	كرما	ودار الهوان

229	الصافي النجفي	بالهَمَّ	توالت عليَّ
25	مهلهل بن ربيعة	أدم	أنكحها فقدما
183	الأبيوردي	والسَلَمِ	ولوعة بتَّ
121	المتنبي	الحَطَمِ	الدهرُ يعجبُ
55	عمرو بن أحمر	وجورِمِ	فيا راكباً إمَّا
181	الأبيوردي	للمراحِمِ	مزجنا دمأ
238	أحمد شوقي	التُّومِ	دعُ عنكَ
38	شاعر	للهماهِمِ	إذا ما ذكرتُ
132	شاعر	راغِمِ	قالوا غداة غد
129	محمد بن عبد الصمد	السهامِ	شردتني نواببُ
87	أعشى همدان	عديمِ	وكانت أصبهانُ

(ن)

200	قعب بن أم صاحب	والحَضَنُ	قد كنتُ
180	الأبيوردي	الحَزَنُ	الناس بالعبد
166	شاعر	أو عَدَنُ	لأرحلنَّ المطايا
10	عمر بن أبي ربيعة	الشَّجَنُ	قد هاج قلبك
101, 88	الحارث الخزومي	قَمَنُ	من كان يسأل
124	أسامة بن منقذ	ولا حُلانُ	أبن السُّلُو من
82	قيس بن الملوح	وهو كائنُ	وإني لمُفَن
120	المتنبي	سَكَنُ	بِسمِ التَّعَلُّلِ
151			
46	عبيد بن أيوب	مجنونُ	يا ربَّ عفوك
185	الأبيوردي	حنينُ	نظرت وللأدمِ
147	أبو الفتح البستي	أوطانُ	إذا نبا بكرمِ
62	كثير بن عبد الله التميمي	بالجوزجانِ	سقى مُزَنُ السحابِ
83	أبو قطيفة	القرائنُ	ألا ليت شعري
11	عمر بن أبي ربيعة	أوطانُهُ	ذكر البلاطُ
162, 158	الصمة القشيري	حنيبها	وحنتُ قلوصي
178			
39	شاعر	قَطَنًا	سَلَمُ على قَطَنِ
229	الصافي النجفي	وجيرانا	يا خل صيداء
213	الخطيب البغدادي	المتزهينا	على بغداد
112	علي بن الجهم	الوطننا	يشناقُ كلُّ غريبِ

224	عبد المحسن الكاظمي	مسكونا	سكنٌ بالحِمْى
13	شاعر	حيثما كانا	لا ترغبوا إخوتي
124	أسامة بن منقذ	والسكّن	أهكذا أنا
11	جميل بن معمر	شجنني	أنا جميل والحجاز
107	سفيان بن عيينة لالهالي	في الوطن	جسمي معي
115	شاعر	والحِمْن	لا تنهَرنُ غريباً
90	عمر بن أبي ربيعة	عَدَن	هيهات من أمة
114	الحسن بن مخلد بن الجراح	والحَزَن	مَنْ للغريب
189	الأبيوردي	أو حَضَن	أرضُ العَدَيِّبِ
186	الأبيوردي	الحَزَن	البلتُنا بالحَزَن
205	عمارة بن عقيل	ما حين	ما مثل بغداد
62	شاعر	الرَّعَانِ	وكيف أجيبُ
222	عبد المحسن الكاظمي	المعاني	عسى بغداد
109	أبو تمام	وأحزاني	ما اليوم أول
160	جحدر بن معاوية	جناوبان	ألا قد هاجني
27	امراة من بني أبان	لمغتربان	ألا أيها البكر
125	إبراهيم الصولي	وأوطان	لا بصرمئك من عزم
169 . 168	مطيع بن ياس	الزمان	أسعداني يا خلتي
171	شاعر	دعاني	أيها العاذلان
223	عبد المحسن الكاظمي	ما عراني	هل الزوراء تعلم
171	أحمد بن إبراهيم	مؤتلفان	فكذلك الزمان
231	الصفافي النجفي	عالم ثان	غريب ولو ما بين
80	قيس بن الملوح	رآني	وأجهشت للتوباد
171	حماد عجرد	حسوان	جعل الله
229	الصفافي النجفي	النسيان	جرح التغرب
85	طهمان بن عمرو الكلابي	مختلفان	وإني والعبسي
94	الطرماح بن حكيم	القاقزان	طربت وشاقك
35	شاعر من بني كلاب	عَرْضان	فمن يك لم يغررض
53	عروة بن حزام	لمختلفان	هوى ناقتي
228	الصفافي النجفي	التسعين	سني بروحي
226	معروف الرصافي	وتبليني	هي المواطن
11	عمر بن أبي ربيعة	الوطن	إن من تهوى
68	عوف بن محلم	المغربان	يا ابن الذي دان

131	الأحد المغتربين	المَحْنُ	فيا ليت شعري
126	البحثري، أو أبو نواس	الوطنُ	إذا نلتَ في
97	العرجي	اليَمَنُ	هاج قلبي
113	علي بن الجهم	الوطنُ	طلبُ المعاش
207	علي بن جبلة	جَنَّةُ	لهفي على بغداد

(ي)

210	علي بن محمد النيرماني	باليا	خليليَّ في بغداد
242	شاعر	ودياريا	فدى لك يا بغداد
162	شاعر	الفيافيا	وهل أترك العيس
158	السمهري العكلي	عنايبا	أعني على برقي
156.59	مالك بن الرب	مراعيبا	أقلبُ طرفي
159	مالك بن الرب	بداليا	أقول لأصحابي
194	الشريف الرضي	مداويا	عمت دوائي
77	مالك بن الرب	لا تدانبا	غريبٌ بعيد
67	الصمة القشيري	والمطالبا	ألا تسألن الله
81	مالك بن الرب	النواجبا	ألا ليت شعري
64	مالك بن الرب	وفاتبا	ولما تراءتُ
59	مالك بن الرب	باكبا	تذكرت من يبكي
41	عبيد بن أيوب العنبري	بنانبا	أذقني طعم
133	شاعر	والنُهبا	ولي همّة أدنى
190	الأبيوردي	يروها	وسرحة برّبا نجد

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي  
أسكنه الله الفردوس

## الكتب الصادرة للمؤلف

مكتبة النهضة، بغداد 1964.	(1) الإسلام والشعر.
مكتبة النهضة، بغداد 1964	(2) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه.
مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981، 1983، 1998.	
وزارة الإعلام، بغداد 1968 مؤسسة الرسالة، بيروت 1992.	(3) ديوان العباس بن مرداس السلمي.
مطبعة المعارف، بغداد 1968 دار القلم.	(4) الجاهلية (مقدمه في الحياة العربية لدراسة الشعر الجاهلي)
مطبعة المعارف، بغداد 1968 دار القلم، الكويت 1985	(5) شعر النعمان بن بشير الأنصاري
مكتبة الأندلس، بغداد 1970، دار القلم، الكويت 1981، 1983.	(6) شعر عروة بن أذينة.
مكتبة الأندلس، بغداد 1970	(7) ليبد بن ربيعة العامري.
دار القلم، الكويت 1981	
مكتبة الأندلس، بغداد 1971	(8) شعر المتوكل الليثي
مطبعة النعمان، النجف 1973، دار القلم، الكويت 1983	(9) شعر الحارث بن خالد الخزومي.
دار التربية، بغداد 1972، مؤسسة الرسالة بيروت 1997، 1982، 1985، 1990، 1995، 2000. جامعة قاريونس، بنغازي 1993	(10) الشعر الجاهلي -نصائمه وفنونه.

دار التربية، بغداد 1972	(11) شعر عبدة بن الطبيب.
وزارة الإعلام ، بغداد 1974	(12) شعر عبد الله بن الزبير الأسدي.
وزارة الثقافة، دمشق 1995	(13) شعر أبي حية النميري.
مطبعة الآداب، النجف 1976 دار القلم، الكويت 1983	(14) شعر عمرو بن شأس الأسدي.
مطبعة الحكومة، بغداد 1976 دار القلم، الكويت 1981.	(15) شعر عمر بن لجأ التيمي.
منشورات جامعة بغداد 1976	(16) الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العرب (ترجمة عن الإنجليزية)
مطبعة الحكومة، بغداد 1976 دار القلم، الكويت 1983	(17) ديوان الطغرائي (بالاشتراك)
وزارة الثقافة، دمشق 1976 دار القلم، الكويت 1985	(18) شعر هدبة بن الحشرم العذري.
مؤسسة الرسالة، بيروت، 1978، 1981، 1988 جامعة قار يونس، بنغازي 1994	(19) أصول الشعر العربي . د. س. مرجليوث (ترجمة عن الإنجليزية)
معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1978 مؤسسة الرسالة، بيروت 1981	(20) عبد الله بن الزبيرى حياته وتحقيق شعره
دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983 الطبعة الثانية 1988، الطبعة الثالثة 2006.	(21) كتاب الحن لأبي العرب التميمي. (تحقيق)
مركز الوثائق، جامعة قطر 1984	(22) ديوان أحمد بن يوسف الجابر. (الاشتراك) دراسة وتحقيق .
دار القلم، الكويت 1984	(23) الزينة في الشعر الجاهلي.
مؤسسة الرسالة، بيروت 1982، 1988	(24) قصائد جاهلية نادرة. (دراسة وتحقيق) ..

مجمع اللغة العربية، دمشق 1976	(25) شعر خدّاش بن زهير العامري. (دراسة وتحقيق) .
دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987	(26) الأقوال الكافية والفصول الشافية (في الخيل) للملك الرسولي (تحقيق)
دار الغرب الإسلامي، بيروت 1989	(27) الملابس العربية في الشعر الجاهلي .
دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990	(28) كتاب الردة للواقدي. (تحقيق)
دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991	(29) كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل للوشاء (تحقيق) .
دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993	(30) منهج البحث وتحقيق النصوص .
دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993	(31) الخط والكتابة في الحضارة العربية .
دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995	(32) أمالي المرزوقي. (تحقيق)
دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997	(33) المستشرقون والشعر الجاهلي (بين الشك والتوثيق) .
دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998	(34) الكتاب في الحضارة الإسلامية.
دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000	(35) كتاب المتخّل للميكالي. (تحقيق)
دار البشير، عمان 2002	(36) محمد بن عبد الملك الزيات . سيرته. أدبه. تحقيق ديوانه
دار الغرب الإسلامي، بيروت 2002	(37) المحاضرات والمحاورات للسيوطي. (تحقيق) .
دار الغرب الإسلامي، بيروت 2003	(38) محن الشعراء والأدباء وما أصابهم من السجن والتعذيب والقتل وبلاء

المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة 2003	(39) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. لأحمد بن فضل الله العمري (تحقيق) المجلد العاشر.
المجمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة. 2004	(40) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. لأحمد بن فضل الله العمري (تحقيق). المجلد الرابع والعشرون
دار البشير، عمان 2005	(41) الشعر الإسلامي والأموي.
دار البشير، عمان 2005	(42) الغزل العذري.
دار الغرب الإسلامي بيروت 2005	(43) المجموع اللبيب (تحقيق). للقاضي الألفسي الحسيني
دار الغرب الإسلامي بيروت 2005	(44) مجالس العلماء والأدباء والخلفاء. مرآة للحضارة العربية الإسلامية
دار الغرب الإسلامي بيروت 2006	(45) بيت الحكمة ودور العلم في الحضارة الإسلامية
دار مجدلاوي _ عمان 2008	(46) الحنين والغربة في الشعر العربي

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس



## **Nostalgia and Expatriation in the Arab Poetry**

Nostalgia is one of the basic instincts found both in man and animal. This phenomenon is seen in camels' nostalgia for their homelands and the place they live in. This can be seen also in birds' nostalgia when taken away from their nests, and whatever this period was. Birds go back to their nests and camels return to their homeland traveling for hundreds of miles or even thousands of miles just for finding their souls in their homelands. This can be said to all other animals such as dogs and cats. Dogs even have more nostalgia and more loyal than other animals. If this is the case for animals, what can be said for human beings? Human beings have greater nostalgia for their homelands even if they suffered in it. Human beings feel nostalgia for their homeland even if they were living in hunger, misery and tyranny in it. The most obvious evidence for this is expressed by the immigrants to the New World, who made a fortune in this New World; nonetheless felt that they were lacking something: this was their nostalgia to their homelands. They became rich, powerful and reached high classes in the New World, but feeling nostalgia to their homelands and feel sorry if their homelands suffered from aggression, injustice tyranny and catastrophes. Homeland has captured the mind and soul of those who lived away from their homeland. Arabic authors have written a lot about this issue.

Nostalgia is a human phenomenon, not restricted to any particular people or nation. Nostalgia is found in the soul of every human being. But one can say that this phenomenon is more obvious among Arabs as the Arabic poetry has recorded this phenomenon from the early stages of the Arabic history. Arabic poetry from Al- Jahilia( dark ages in the Arabic history) until our time has focused on this important issue with a little difference between the urban areas and the Bedouin areas. This study addressed nostalgia and expatriation in the Islamic and Arabic culture since Al- Jahilia until our times.

In this book, the study focused on some issues while studying the most important phenomenon related to these issues, represented by the following:

Studying nostalgia and expatriation, and the ancients' opinions about this issue while focusing mainly on word and meaning. We also tried to identify the most important books addressing nostalgia and expatriation, identify concept of expatriation and alienation and the features of both these concepts during the different eras (from Al-Jahilia until the modern ages). We studied nostalgia as a general term and the causes that make persons leave their homeland in each period, then clarifying the sufferings caused by the nostalgia and how poets described this phenomenon, especially pauper poets who suffered several kinds of alienation such as: color, belonging and the refusal of the society at that time for thieves and bandits. Some poets have expressed their deep nostalgia when they were dying and when realizing that the moment of

death has approached whether the poet was dying between his own people or whether he was dying away from his homeland, or dying while traveling or in the war. Lineation suffering was obvious among the soldiers who were fighting in the Islamic armies away from their homelands. These soldiers spent months or even years away from their homeland and some of them were not able to return to their homeland for several reasons. A woman who marry a man out of her own tribe also suffered nostalgia or her husband leave her alone for several months. Some women felt nostalgia because they changed their way of living when marrying a man out of their tribe: changing way of life from Bedouin to city life. Some of these women have even mourned for leaving their tribes and for having to live in other tribe.

The study also addressed the case of some of the immigrants who had to leave their homeland for one reason or another, who started to feel nostalgia for their homelands and who started complaining from the hardships of expatriation. They expressed their feelings by writing poetry and some of the most known proverbs and wisdoms addressing this issue on walls and buildings in the expatriation countries. This was some kind of relief for them as it was a kind of expressing of what the immigrant feels of nostalgia and hardships in the expatriation countries.

Returning to the nature and the life, there are some kinds of simulations for expatriation and nostalgia. These simulations motivate the poets create in them the need for expressing their feelings using poetry. For example, tears dropping from one's eye, wind blowing from the homeland or from the side in which the homeland is located simulates the person to express his feelings of expatriation and nostalgia. Lightning in the sky which comes from the side in which the homeland is located is another kind of simulation. Stars that the person watches in the sky are also a simulation for that person to start thinking of his own homeland. These stars remind him of his people and beloved ones in his homeland. When he contemplates in the stars and his eyes meet the eyes of his beloved, which motivates in turn the person to think of his beloved ones. Pigeons are another kind of simulation for nostalgia. Pigeons' cooing makes the person feel tired reminding him of his hardships and suffering in the expatriation countries. The person feels that these pigeons share him his hardships and sufferings.

Camels feel nostalgia for their homelands like human beings. They turn their heads towards their homelands, thus making its owner feel expatriation and nostalgia himself. Palm trees were always linked with to expatriation and nostalgia. They were always a symbol for expatriation and nostalgia and they motivate feelings of expatriation and nostalgia in the person. In some countries, where palm trees are very rare, and in these countries there were some famous palm trees who witnessed some of the most famous poetry said in expatriation and nostalgia in Arab history. For example, Murran, Karman and Al- Rassafah

palm trees in Al Andalusia were an eye witness of Abdel Rahman Al- Dakhel who said one of the most beautiful poetry in expatriation and nostalgia. Caliphs and poets have made songs and poems about Hilwan tow palm trees.

Location was an important element in the poems written by different poets. Najd, for example, was one of the most distinguished locations in the hearts and souls of Arabs. They said and wrote poems about the land, nature and beautiful women. They expressed their nostalgia and longing towards these homelands. Many poems have mentioned Najd and Al- Hijaz in the different time periods. We have mentioned and listed such poets as they represent an important aspect of nostalgia and longing in the Arab poetry.

The study concluded with mentioning the most important poems said in expatriation and nostalgia about Iraq, land of richness luxury and civilization. Poets in different time periods, and even from the Abbasids era, have expressed their nostalgia. In the time being, poems have expressed their expatriation and nostalgia to Iraq. These poets have addressed the beauty and civilization of Baghdad. They wrote several poems talking about luxury and richness in this great city.

*Professor Yahia Al Jubouri*

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس